



# بُحُوثُ

الملتقى الأول للمهتمين

بالسيرة النبوية



## مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد؛  
ففي ظل المتغيرات التي تمر بها الأمة اليوم، أصبح من الضرورة بمكان تسليط الضوء على السيرة النبوية، والتأمل في تفاصيل حياته صلى الله عليه وآله وسلم، واستنباط القيم والمهارات والآداب النبوية، والتأسي بها في واقع الحياة اليومية وقد حرصت إدارة الملتقى من خلال هذا اللقاء إلى توحيد جهود العاملين في خدمة السيرة النبوية، وإبراز النماذج المتميزة في هذا المجال، وقد قام المشاركون بإرسال بحوثهم المميزة في إثراء هذا المجال، كتب الله أجرهم، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وقد رأت إدارة الملتقى جمع هذه البحوث في هذا الكتاب، ليعم النفع وينتشر الخير، والله نسأل التوفيق والسداد في القول والعمل.

إدارة الملتقى

**الرؤية:** الريادة في تقديم الخدمات المتعلقة بالسيرة النبوية.

**الرسالة:** ملتقى علمي دوري يسعى لتأسيس صياغة موحدة لجهود العاملين في السيرة النبوية، وإقامة علاقات تكاملية، وتطوير أداء العاملين فيها.

**الأهداف:**

- تعميق فهم الناس للإسلام والرسالة النبوية من خلال استكشاف ودراسة حياة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم.
- تعزيز الوعي الديني والروحي بين المشاركين والمجتمع عن طريق تسليط الضوء على أخلاقيات وقيم السيرة النبوية..
- توثيق ودراسة السيرة النبوية كجزء من التراث الإسلامي الغني والثري.
- تحفيز التأثير الاجتماعي الإيجابي من خلال تقديم النموذج النبوي كقدوة للمجتمع.

- التشجيع على الدراسات الأكاديمية والبحوث التي تتناول السيرة النبوية ومختلف جوانبها.
- الإسهام في تعزيز الهوية الإسلامية للمشاركين وتعزيز شعورهم بالانتماء للأمة الإسلامية.
- توفير منصة للمشاركين لدراسة ومناقشة مختلف جوانب السيرة النبوية وتأثيرها الإيجابي على الفرد والمجتمع.

## جدل المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
١	المقدمة
٨	الجهود الإعلامية في خدمة السيرة أ.د/ عبد العزيز العمري
٣٣	ملخصات مختصرة حول بعض مؤلفات أ.د سليمان بن حمد العودة
٥٤	المؤلفات الموسوعية في السيرة النبوية د. محمد سالم الخضر
٦٩	الجهود الأكاديمية في خدمة السيرة النبوية أ.د/ محمد بن صامل السلمي

- ٩٧ كتب السيرة المفرد  
د. يوسف علي حسن بدر
- ١٢٣ المنظومات السيرية أصولها وفصولها  
د. محمد محمود بن جلال الطلبة
- ١٥٣ "السيرة النبوية والطفل"  
د. علي محمد عمر المختار
- ١٧٣ السيرة النبوية والشباب  
أ.د عبد الله بن محمد العسكر
- ٢٣٤ السيرة النبوية والمرأة  
الشيخ/ علي التميمي
- ٣٠١ السيرة النبوية وبناء الشخصية المؤثرة  
أ. أحمد بن إسماعيل كتبي
- ٣١٣ السيرة النبوية والصحة الأسرية  
د. سليمان بن عوض قيمان

٣٣٧ السيرة النبوية والعناية بذوي الاحتياجات الخاصة  
أ. محمد نبيل محمد عبد الخالق

٣٥٣ السيرة النبوية في رعاية المرضى  
د. أحمد إبراهيم الحامولي

# الجهود الإعلامية في خدمة السيرة النبوية (نماذج من الجهود المبذولة لخدمة السيرة والشمائل النبوية)

أ. د. عبد العزيز بن إبراهيم العُمري  
أستاذ التاريخ والدراسات العليا  
بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (سابقاً)



**مقدمة:**

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الجهود المبذولة للتأليف في السيرة النبوية كثيرة، وما صدر منها في أزمان مختلفة جُل أن يحصى، وفضلها كبير، وقد غُطيت السيرة والشئائل إجمالاً دروساً وأدباً وعلماً، شارك في ذلك جميع من كتب وألف فيها، حيث جرى تحبيبها إلى الناس وعرضها بأساليب مختلفة ولغات متعددة ومستويات شتى حسب ما تقتضيه ظروف كل عصر.

وما تزال الأعمال الإعلامية قاصرة في هذا الجانب، وعزوف أدوات الإعلام عنها واضح وجلي.

ومما يلفت النظر عند مطالعة السيرة النبوية أو الكتابة فيها أنها تؤدي إلى محبته ﷺ، في كل أحواله وأعماله، فأنت حينما تقرأ سيرته وجهده أو أوصافه ﷺ تشعر بالحب الحقيقي له في قلبك، وبالروح الإيمانية تزداد قوة ويقيناً، تجد سيرته قريبة صادقة سهلة التناول والتطبيق فيما يقتدي به الناس، وليست خاصة بفئة معينة أو قوم دون آخرين أو طبقة محددة.

ولا أزعجني عالم آتي بجديد، لكنني أطمع في أن أفيد من يقرأ في السيرة، كما أستفيد من مطالعة مصادرها.

وقد حاولت جهدي أن أسلك منهجاً معيناً في أعمالي واضعاً أمام عيني أن أخدم نفسي والمحبين لسيرة النبي ﷺ من عامة المسلمين، بالحقائق دون زيادة. مع استشعار ما له ﷺ من حقوق.

وقد اخترت منهجاً في كتاباتي وأعمالي يقوم على الاستفادة من الآيات القرآنية ومصادر السنة النبوية في الروايات المرتبطة بالسيرة وتقديمها على غيرها، وخصوصاً ما يرتبط بأحكام شرعية، وأشارت إليه بالتفصيل في مواضعه في هوامش كتاباتي.

وحاولت الدمج في التأليف وما تفرع منه، بين ذكر الحدث وفقهه والاستفادة من دروسه في حياة الناس عامتهم وخاصتهم، وأبرزت الجوانب الحضارية العالمية والتنظيم والإدارة في السيرة النبوية.

وتطرق في كتابي: "رسول الله وخاتم النبيين" ومختصره للنظم الإسلامية في العصر النبوي، وتأسيسه ﷺ لدولة الإسلام، والقيم

التنموية والمدنية التي بثها في المجتمع البشري ﷺ، وأدارها بنجاح وتميز، وصارت نبراساً للبشرية، وللإدارة الإنسانية الشاملة.

ربطت السيرة النبوية بعهد الراشدين من خلال بيعة أبي بكر الصديق ؓ يوم وفاة الرسول ﷺ، ونجاحه في قيادة الأمة بعد رسول الله ﷺ. وأتبع ذلك بمؤلفات عن كل خليفة على حدة.

ولأن لم أنل شرف رؤيته ﷺ وأصحابه، فإني آمل ألا يفوتني شرف صحبة سيرته وحياته، عبر ونبض القلم، وفيضان الحب والمشاعر، ونقل ذلك لأحبابه المؤمنين به، ومن يرغب التعرف عليه ﷺ بالكتابة والترجمة والدورات والمواقع الإلكترونية. والبرامج الإعلامية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ومع بعد الزمان فقد كنت أحس بقربي منه ﷺ وارتباطي بالزمن الذي أعتقت فيه الإنسانية من رباط الوثنية ودخل الناس في توحيد الله تعالى ودينه والخضوع له وعبوديته، وأردت أن يشاركني الآخريين في هذا الشعور والإحساس.

فالنبي ﷺ أحب الخلق إلى الله اصطفاه من خلقه، وحمله رسالته، فمحبته  
الله وحبنا له تدفع لمعرفة ودراسة سيرته وخدمتها.  
وهذا جزء من حقه علينا ﷺ وعلامة حقيقية لمحبه ومحبته الله سبحانه  
وتعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ  
رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران].

البحث:

القدوة:

دراسة سيرة المصطفى ﷺ فيها معرفة ما كان عليه ﷺ من تجسيد حي للإسلام، حيث عاش ﷺ عبداً لله مصطفى بالرسالة جمع بين الدنيا والآخرة، وهذا ماثلاً في سلوكه ﷺ في تطبيق عملي للإسلام ولشريعته وأحكامه، وبذل للنفس والمال في سبيل الله.

والسيرة دراسة لتاريخ أعظم البشر وأفضلهم، والناس فطروا على دراسة سير العظماء على وجه العموم، ومعرفة سيرهم وحياتهم وقصصهم، ولذلك فكل أمة من الأمم تحاول أن تبرز عظماءها، وتغزو بهم وبسيرهم العالم، يلمعونهم وينسجون حولهم القصص الكاذبة أحياناً، ليظهروا للناس أن لديهم من يفتخرون به من الأعلام والرجال. أما نحن المسلمين فحبيبنا ونبينا وزعيمنا وقائدنا ﷺ هو أحسن وأفضل البشر سيد ولد آدم، ولذلك فإننا بدراسة سيرة المصطفى ﷺ نلبي هذه النزعة الإنسانية الموجودة طبيعياً عند الناس، بالمعلومات الصادقة الصحيحة، التي يحرص الناس بطبيعتهم على الاطلاع عليها.

ونغطينها بمن يجب علينا حيث ننشر حياته وسيرته لكي نتعلق به. وهنا لا بُدَّ من التأكيد على أن غير المسلمين جعلوا النبي ﷺ أبرز البشر، فكيف بنا نحن أتباعه ﷺ، الذين ينبغي أن لا نقدم أي إنسان عليه ولا نتعلم سيرة أحد أو تاريخ بشر قبله، لا ملكاً ولا وزيراً ولا عالماً ولا عظيماً ولا كائناً من كان قبل رسول الله ﷺ.

ومايكل هارت مؤرخ أمريكي زعم انه يؤرخ للإنسانية في كتابه: أعظم مائة رجل في تاريخ البشرية "The 100 A Ranking of the most influential persons in history" وضع رسول الله ﷺ أول إنسان في تاريخ البشرية، (١) وهذا يذكرنا بقول الله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح].

وقد قال عنه جوستاف لوبون في كتابه: حضارة العرب: ((إذا قيست قيمة الرجال بجليل أعمالهم كان محمد أعظم من عرفه التاريخ)). (٢) عبادة:

(١) مايكل هارت، أعظم مائة رجل في التاريخ، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري، القاهرة، ص: ١٤.

(٢) جوستاف، لوبون، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٩هـ، ص: ١٤.

والله سبحانه وتعالى تعبد الأمة الإسلامية بدراسة حياة الأنبياء السابقين وسنن الله في الأمم الماضية تبعاً لموقفهم من أنبيائهم ودعوتهم لله، وقد جعلهم نبراساً يحتذى وذكرأ يتلى، وقدوة وتثباتاً لرسوله ﷺ، وبالتالي فقصص النبي ﷺ وسيرته تثبت لمن يتعلمها من المسلمين، خصوصاً أنها مرتبطة بكتاب الله وسنة نبيه ورسوله ﷺ حيث جعلهم الله نبراساً.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ نَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف].

كل الآيات تؤكد أن دراسة ما جرى للأنبياء السابقين جزء من القرآن والدين والعلم الشرعي، الذي يوجه حياة محمد ﷺ وحياة أمته معه، وبالتالي فإن في دراسة حياته تربية للأمة، وعلم لا غنى عنه إلى يوم القيامة.

كما أن في دراسة سيرته امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى وعبودية له ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب].

تربية وتعليم:

معلمنا الأول ﷺ بأمر الله ﷻ ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا  
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا  
لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) [البقرة].

وبالطبع فإن التأسى لا يكون إلا بعلم سنته، وسيرته وشمائله جزء من سنته، فيها قدوة للمؤمنين به في سائر أحوالهم، فهو قدوة للدعاة في حمل الهم والعمل الجاد وسمو الأهداف والغايات، وحب الخير للناس والرحمة بهم.

وللأزواج في التعامل والرحمة والعطف والحنان والحب الحقيقي.  
وللزعماء والقادة قدوة في الإدارة وتقديم مصلحة الأمة، والرحمة بالناس والبعد عن الأنانية، والأمانة والإخلاص والسياسة بما يرضي الله، واستعمال الأصلح للناس في أعمالهم.  
وللجيران قدوة في معرفة حقوقهم.



وللمصلحين قدوة في الصبر والتحمل، وسمو الأهداف وترتيب الأولويات، والتغيير الاجتماعي للأصلح بهدوء وفعالية. فهو للآباء قدوة في العطف، والتربية والرحمة، والحب الحقيقي والتعلم، وللفقراء قدوة في الصبر على الجوع والعفة والأمانة، وللأغنياء قدوة في الصدقة والتواضع، والإيثار والأمانة والوفاء بالعهد، وعدم الإسراف، وللمريض قدوة في الاحتساب، وطلب الأجر والبحث عن الدواء فيما أحل الله وعدم الإثقال على الآخرين. وعلى العموم فهو قدوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر. محبة (١): -

(١) انظر: سلسلة كتاب البيان، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، تقديم صالح بن فوزان الفوزان وآخرين، دار البيان، ط ١٠، الرياض ١٤٢٦هـ؛  
وعبد الله بن صالح الخضير وعبد اللطيف بن صالح الحسن، محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ط ١ - دار البيان، الرياض ١٤٢٧هـ؛  
وعصام محمد عطية، لماذا نحب محمدا، ط ١ - إدارة الدراسات والأبحاث الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ١٤٢٨هـ.

فمحبتة مقدمه على النفس ومحبتة محبة لأخلاقه وفضائله، وقد قال ﷺ: ((والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وفي رواية والناس أجمعين)). (١)

وكذلك يتبين لنا فضل الله على نبيه ﷺ وفضله سبحانه علينا.

في المعرفة بسيرة الرسول ﷺ نعرف الأمم المختلفة والأنظمة التي حكمت العالم وسادت قبل الإسلام، كما قال عمر ٧: (لا يعرف الإسلام من لا يعرف الجاهلية).

وذكره ﷺ سابق لزمانه، حيث إن الحديث عنه ﷺ كان في زمن الأمم السابقة، ففي زمن عيسى عليه السلام يقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرِسُوْلِ يَّآئِيْ مِنْ بَعْدِي اَسْمِعُوْهُ اَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿٦﴾ [الصف].

كما تحدث موسى عليه السلام في زمنه: ﴿الَّذِيْنَ يَتَّبِعُوْنَ الرَّسُوْلَ النَّبِيَّ الْاُمِّيَّ الَّذِيْ يَجِدُوْنَهُ مَكْتُوْبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْاِنْجِيْلِ يَأْمُرُهُمْ

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيذان، باب "وحب الرسول ﷺ من الإيذان" (ج ١/٩).

بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَهُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحَدِّثُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ  
 الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ  
 ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ  
 الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف].

ولا تزال في بعض كتب النصارى إشارات قوية وواضحة لرسول الله ﷺ  
 نبي آخر الزمان. (١)  
 معرفة القرآن وعلومه:

بدراسة السيرة نتعرف على كتاب الله، (٢) فحياة الرسول ﷺ مليئة  
 بالأحداث التي نزلت فيها آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى في  
 مناسبات مختلفة.

(١) انظر: الموضوع المتعلق بـ (العالم وانتظار الرسول ﷺ) من كتابي رسول الله وخاتم  
 النبيين (القسم الأول).  
 (٢) انظر: صالح أحمد الشامي، أضواء على دراسة السيرة، ط ١ — المكتب الإسلامي،  
 بيروت ١٤١١هـ ص ٢١.

كما أن بعض أسماء سور القرآن الكريم ارتبطت بأحداث السيرة، كما في الأنفال والتوبة، والإسراء، وطه، والأحزاب، والشرح، والعلق، والهزيمة والفيل، وقريش والكوثر، والكافرون، والنصر، والفلق.

معرفة الصحابة (p):

في دراسة السيرة معرفة جيل الصحابة وفضلهم وتنمية محبتهم ومعرفة درجاتهم التي أشار الله إليها في قوله تعالى:

﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَن أنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتَلُوا أَوْ كَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ [الحديد].

هم تلاميذ محمد ﷺ الذين كان منهم خلفاء راشدون، وقادة محنكون وسياسيون وأبطال فاتحون وعلماء قادوا العالم وأظهروا فيه العدل والتوحيد والرحمة.

وبدراسة السيرة نعرف الخصائص النبوية (١) التي أنعم الله بها على رسوله المصطفى.

فهو رحمة للعالمين ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء].

﴿ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ [الأنعام].

معرفة معجزاته ﷺ.

خاتم الأنبياء، وأرحم الناس، وأكرم الناس، وصدق الناس، وأنظف الناس، وأطهر الناس.

أيد بالمعجزات والبيئات والبراهين والكرامات، شاهدها معاصروه وأدركها العلماء ومحبه، علا ذكره على سائر الخلق بما له من حق، وبما وعده الحق تبارك وتعالى.

(١) لمزيد من التوسع انظر: كتاب الخصائص النبوية للإمام السيوطي (رحمه الله)؛ وأبو بكر الجزائري، هذا الحبيب يا محمد.

صلى الله عليه والملائكة وأمر العباد بذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

تقوي العزيمة:

إن دراسة السيرة النبوية تقوي عزائم المؤمنين وتعلمهم الصبر وتفتح لهم الأمل بانتصار الحق على الباطل، وبغلبة دين الله على ما سواه وبالقوة بعد الضعف وبأن الله ناصر دينه ونبيه وأمته إلى يوم الدين.

السيرة النبوية علم بذاته ومفتاح لعلوم متعددة فمن خلالها يتعلم المسلم الأخلاق وتطبيقها والعقيدة وأصولها، والأحكام الشرعية والآداب المرعية، والعدل والنظم الإسلامية وسياساتها الشرعية وكسب الناس لدين الله.

وعلى دارس السيرة أن يلتزم الأدب مع النبي ﷺ.

المعرفة بحقوقه ﷺ:

حين الحديث عنه ﷺ وعن سيرته وحقه ويجب أن ترتبط بالأدلة الشرعية، ونتذكر ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى وما أخبر به رسول

الله ﷺ من أنه عبد لله ورسوله، وأنه بشر من البشر، لكنه أفضل البشر كما قال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض). (١)

ففي مصاف العظماء هو الأول لا يسبقه أحد، لكنه صلوات ربي وسلامه عليه أكد أنه عبد من عباد الله تعالى، وقد ورد ذلك في آيات عديدة من كتاب الله كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء].

مع التأكيد على مقام العبودية الذي هو تكريم له ولسائر البشر، كما جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَبِحَدِّهِ كَانَ يُرْجَىٰ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ②﴾ [الكهف] مذكراً

(١) رواه الترمذي في صحيحه، باب فضل النبي ﷺ رقم (٣٦١٥)، وروى البخاري أجزاءً منه في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الإسراء، ومسلم في كتاب الإيمان.  
انظر: تفاصيل تخريجه عند: أحمد الحداد في كتاب أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، (ج ١ / ٤٦٠).

وانظر: ابن كثير، تفسير سورة الإسراء ج ٢ / ١٠٨٥.

بعبوديته ﷺ لله ومع ذلك فإن مقامه لا يصل إليه أحدٌ، من البشر فلا يقدم المسلم أحد من البشر لا من الأهل ولا من الولد ولا غيرهم على محبة رسول الله ﷺ .

وقد أكرمه الله بالعبودية مع اصطفائه بالوحي والرسالة.  
معرفة فضله ﷺ:

قال صلوات ربي وسلامه عليه لأُم المؤمنين عائشة 1 حينما رآته يقف من الليل يصلي حتى تتفطر قدماه فكأنها أشارت على الرسول ﷺ أن يكفيه بعض ذلك فقال ﷺ: (أفلا أكون عبداً شكوراً)، (١) لم يقل نبياً شكوراً ولا رسولاً شكوراً، لأنه يرى أن من كمال نبوته ﷺ أن يكون عبداً لله، وذلك تصديقاً لقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهِ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٦) [الزمر].

لكنه سيد البشر ﷺ قدوة الناس، في لعبودية الحققة لله تعالى وحده.

(١) من حديث البخاري، في التمهيد، باب قيام الليل، ومسلم في صفة القيامة " باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة " برقم: ٢٨٢٠.



وكان ﷺ يعيش حياة البشر، يأكل وينام ويتزوج ويبيع ويشترى يصادق ويعادي كل ذلك داخل عبوديته لله. ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام].

ينبغي استشعار العصر الذي عاشه النبي ﷺ وإمكاناته وظروفه، ليدرك الصعوبات التي واجهها ﷺ وأصحابه، يدرك المناخ ودرجة الحرارة، وحجم الإنتاج الزراعي والحيواني والاقتصادي في منطقتة ومحدودية الإمكانيات المادية والبشرية والثروات الطبيعية في بيئته مقارنة بغيرها.

معرفة بيئته ﷺ:

مع معرفة الظروف الجغرافية والعادات والتقاليد وأحوال العرب قبل الإسلام، كما يدرك المراحل المختلفة لسيرة النبي ﷺ ولدعوته. ينبغي ربط السيرة بالحوادث المعاصرة في المجتمعات الإسلامية والإنسانية، (١) وتأثير العصر النبوي علينا في زماننا، ومعرفة سنن الله في الخلق.

(١) انظر: سر الختم عثمان علي، تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٢هـ ص ٣٥.

اصطفاه الله سبحانه وتعالى وحرم الكذب عليه قال ﷺ: (من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار). (١)

وقد عد كثير من العلماء علم السيرة علماً قائماً بذاته، وهو قسم من السنة النبوية.

علو المصدرية في هذه السيرة النبوية المؤيدة بآيات القرآن الكريم في أغلب حوادثها وعامة مغازي المصطفى ﷺ وخلقه وسجاياه. هي أدق سير الأنبياء والصالحين تفصيلاً ودقة حيث تابع الصحابة كافة جوانب حياته الخاصة والعامة ونقلوها لنا بدقة متناهية، كما لم تنقل سيرة بشر آخر من قبله ﷺ.

جمعت في ثناياها أعمال الرسول ﷺ التعبديّة والدينيّة، وسياسته الشرعية وجهاده ومغازيه، ومن عاصره من أصحاب وأمم وأقوام. ارتبطت أحداثها بمعالم جغرافية محددة ومعروفة، تدعمها وتؤكد مصداقيتها وتمكننا من متابعة أحداثها.

نالت السيرة اهتماماً عظيماً من الأمة فقهاؤها وعلماؤها ومحدثيها.

(١) متفق عليه: من رواية البخاري في صحيحه، كتاب العلم باب إثم من كذب على الرسول ﷺ ج ١/ ٣٦

معرفة سنن الله في الكون:

تساعد في معرفة سنن الله في الكون والحياة ونصر الله لنبيه ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر].  
السيرة تؤرخ لعصر انقلاب عالمي وتغير في حياة البشرية، نُقل فيها الناس من الوثنية إلى التوحيد، ومن الشرك إلى عبادة الله وحده ومن الجاهلية إلى الإسلام.

وما دفعني وغيري للكتابة في السيرة والشئائل وخدمتها محبة الرسول ﷺ والتقرب إلى الله بذلك، وهذا شرف افتخر به وأذكره وأريده وأردده، وأطمع من ذلك في محبة الله ومحبة من رسوله ﷺ حين أُرِد حوضه - بإذن الله ورحمته - ودعاء المؤمنين.

فأردت أن أنضم إلى العاملين لخدمة السيرة النبوية، لعلني أفيد نفس قبل غيري وأخدم سيرة (إمام المرسلين ﷺ). لعلني أنال بها شفاعته وأحظى بلقائه وإني لأرجو من الله ذلك.

وأنا هنا أعرض بعض ما حاولت أن أخدم فيه سيرة الرسول ﷺ في مجال التأليف والإعلام، مع نقص وتقصير مني أسأل الله المغفرة والقبول.



## المصادر والمراجع:

- البخاري، الحافظ أبو عبد الله محمد إسماعيل بن إبراهيم (ت، ٢٥٦هـ).  
 صحيح البخاري (الجامع الصحيح) - الرياض: دار إشبيلية - ط ١ -  
 بيروت: دار الفكر ١٤١١هـ. (بالصفحات).  
 الرياض، دار السلام ١٤١٧هـ (بالأرقام) حسب المعجم المفهرس.  
 الأدب المفرد - بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٠٦هـ.  
 الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت، ٢٧٩هـ).  
 أوصاف النبي، تحقيق سميح عباس، ط ١ - بيروت: دار الجيل (د. ت).  
 سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمود شاكر - بيروت: دار إحياء التراث  
 العربي (د. ت).  
 شمائل النبي ﷺ، تحقيق ماهر ياسين فحل، ط ١ - بيروت: دار الغرب  
 الإسلامي ١٤٢٣هـ.  
 الجامع الصحيح (صحيح الترمذي)، تحقيق أحمد محمود شاكر -  
 بيروت: دار إحياء التراث العربي (د. ت).  
 ابن كثير، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء الدمشقي (ت، ٧٧٤هـ).

- البداية والنهاية، ط ٢ - بيروت: مكتبة المعارف ١٩٧٧ م.
- تفسير القرآن العظيم، ط ٢ - الرياض: دار كنوز إشبيليا ١٤٣٠ هـ.
- السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد - بيروت: دار المعرفة ١٣٩٦ هـ.
- شمائل الرسول ﷺ، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط ١ - القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ٢٠١٠ م.
- الفصول في اختصار سيرة الرسول، تحقيق محمد العيد الخطراوي ومحبي الدين مستو، ط ١ - دمشق: مؤسسة علوم القرآن ١٣٩٩ هـ.
- مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت، ٢٦١ هـ).
- الجامع الصحيح - بيروت: دار الآفاق الجديدة (د. ت). الحداد، أحمد.
- في كتاب أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة، (ج ١ / ٤٦٠).
- الخصيري، عبد الله بن صالح، عبد اللطيف بن صالح الحسن.
- محبة النبي ﷺ وتعظيمه، ط ١ - دار البيان، الرياض ١٤٢٧ هـ.

الإمام السيوطي (رحمه الله)؛ وأبو بكر الجزائري.

كتاب الخصائص النبوية، هذا الحبيب يا محمد.

الشامي، صالح أحمد الشامي.

أضواء على دراسة السيرة، ط ١ - المكتب الإسلامي، بيروت ١٤١١ هـ

ص ٢١.

عطية، عصام محمد عطية.

لماذا نحب محمدا، ط ١ - إدارة الدراسات والأبحاث الندوة العالمية

للشباب الإسلامي الرياض ١٤٢٨ هـ.

علي، سر الختم عثمان.

تدريس السيرة النبوية في مناهج التاريخ المدرسية، دار العلوم، الرياض،

١٤٠٢ هـ - ص ٣٥.

العُمري، عبدالعزيز بن إبراهيم.

رسول الله وخاتم النبيين، - دين ودولة، ط ١ - بيروت: مكتبة بيسان

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

ابن فوزان، صالح.

سلسلة كتاب البيان، حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، تقديم صالح بن فوزان الفوزان وآخرين، دار البيان، ط ١٠، الرياض ١٤٢٦ .  
لوبون، جوستاف.

حضارة العرب، ترجمة، عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت،  
١٣٩٩هـ، ص: ١٤.

هارت، مايكل.

أعظم مائة رجل في التاريخ، ترجمة أنيس منصور، المكتب المصري،  
القاهرة، ص: ١٤.



## ملخصات مختصرة حول بعض مؤلفات

أ.د. سليمان بن حمد العودة

في السيرة النبوية

أولاً: كتاب (السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق) دراسة مقارنة في العهد المكي:

غبرت على الباحثين والمختصين في حقل التأريخ الإسلامي سنون دون أن يفيدوا من كتب السنة الفائدة المرجوة، ولا شك أنها تمثل مصدراً مهماً من مصادر التأريخ الإسلامي بشكل عام، وأحداث السيرة على الخصوص، وهي وإن كانت لا تقدم الحادثة في قالب كالذي تقدمه به كتب التأريخ - لاختلاف طبيعة المنهج - إلا أنها ربما رصدت حدثاً كان نصيبه الإهمال في المدونات التاريخية، وربما أوردته من مصدر آخر فزاد توثيق الخبر، وربما زادت عليه، أو أوضحت إشكالاته، أو نحو ذلك، ولهذا فالبعد عنها وعدم الاستفادة منها يبقي نتائج البحوث والدراسات ناقصة في هذا الميدان. ويأتي الصحيحان (صحيح البخاري، وصحيح مسلم) في الذؤابة من كتب السنة، فالإجماع منعقد على أنها أصح الكتب بعد كتاب الله، وهما وإن اشترطا في تدوين الروايات - بشكل عام - علواً في الإسناد أسقطا بسببه كما من الروايات التاريخية لا ترقى إلى هذا الشرط، فقد حفلا بنصوص كثيرة للسيرة، وجمع هذه الروايات ومن ثم

الموازنة بينها وبين ما ساقه ابن إسحاق في السيرة يكشف نتائج طيبة،  
أشرت إلى بعضها في خاتمة البحث.

ولهذه الأسباب وغيرها تبدو أهمية الموضوع السيرة النبوية في  
الصحيحين وعند ابن إسحاق، دراسة مقارنة في العهد المكي، وأهمية  
البحث ليست المجرد جمع وترتيب وقائع السيرة في الصحيحين في العهد  
المكي- مع ما لهذه من أهمية وليست لمقابلة النصوص بين الصحيحين  
وابن إسحاق وبيان المؤلف والمختلف فيها فحسب- وهذه هي الأخرى  
لها أهميتها- وإنما تهدف الدراسة فوق هذا وذاك، إلى نقد النصوص التي  
يقع فيها التعارض والاختلاف وسبر أغوارها، وغالباً ما تنتهي ببيان  
ضعف إسنادها وسقوط الرواية من أصلها، وأحياناً أمور أخرى  
ستتضح في ثنايا البحث بمشيئة الله.

ومن خلال المقارنة بين رواية الصحيحين، وابن إسحاق في أحداث  
السيرة نستطيع أن نسجل الملاحظات الآتية:

أولاً: كثرة أحداث السيرة في الصحيحين- خاصة في البخاري- بشكل  
لا يتوقعه الباحث- لكن جمع ذلك يحتاج إلى نوع من التقصي تعرضه

طبيعة منهجها- التي سبق الحديث عنها- وهذا المنهج من الدقة أحياناً، وعدم الوضوح أحياناً بحيث يحتاج إلى إمعان نظر، والرجوع إلى الشروح المعتمدة لتسهم في بيان المجمل وإيضاح المشكل.

ومع هذه الكثرة تنتظم رواية الصحيحين جميع أحداث السيرة، ولعل من أبرز الأسباب في ذلك أن الشيخين اشترطا للتدوين في صحيحيهما علواً في الإسناد تقصر دونه بعض الأحداث في السيرة، وقبلها غيرهما كابن إسحاق وغيره من أرباب السير، بل وأصحاب كتب الحديث الأخرى الذين لم يلتزموا بشرط الشيخين.

ومن هذه الأحداث التي أغفلتها رواية الصحيحين- في الفترة الملكية- حديث إرضاع حليلة السعدية للنبي ﷺ، وفترة إقامته في بادية بني سعد، يستثنى من ذلك حديث مسلم عن شق الصدر في تلك الفترة . ومنها حديث ذهاب النبي ﷺ - وهو غلام- مع عمه إلى الشام، وقصته مع «بحيرى» الراهب .

ومنها: خبر إسلام عمه حمزة بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه.

ومنها: الروايات في عرض النبي ﷺ نفسه على القبائل.

ثانياً: وهناك نوع من الحوادث في السيرة وردت الإشارة إليها في الصحيحين بشكل مجمل دون الإسهاب في تفصيلاتها، وهذا النوع نستفيد منه بتوثيق أصل الحادثة الواردة عند ابن إسحاق-لورودها في الصحيحين أو أحدهما-ونحتاج في تفصيلاتها إلى نوع من الدراسة المنهجية الناقدة لتبين الصحيح من الضعيف.

ومن نماذج هذا النوع حادثة حصار الشعب، وتزويج خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ، وإسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، والهجرة إلى الحبشة. ونحوها.

ثالثاً: وفي مقابل هذا نجد في الصحيحين روايات لا وجود لها عند ابن إسحاق، وهذه تضيف إلى نصوص السيرة المشهورة نصوصاً أخرى ربما غفل عنها بعض الباحثين، ففي «شق الصدر» مثلاً تتفق رواية الصحيحين مع ابن إسحاق على شق صدره وهو في بني سعد، وتزيد رواية الصحيحين بذكر الواقعة مرة أخرى عند الإسراء والمعراج، وكذا «انشقاق القمر» وهو من معجزات النبوة في مكة تثبته رواية الصحيحين، ولم أجد له ذكراً عند ابن إسحاق.

ومثال ذلك يقال في صعوده ﷺ جبل حراء بمكة وهو نفر من أصحابه، وإخباره حينها عن أمور غيبية وقعت كما أخبر، وهذه ليس لها ذكر عند ابن إسحاق وهي من روايات «مسلم»، وفي وقائع الهجرة إلى المدينة تضيف رواية الصحيحين- في طريق الهجرة- أحداثاً لم تأت عليها رواية «ابن إسحاق» كخبر الراعي ولقيا النبي ﷺ للزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، هذا فضلاً عما في قصة «سراقة» لا تذكرها رواية ابن إسحاق، كما سبق بيان ذلك.

ثانياً: كتاب (المختصر من صحيح السيرة النبوية). دراسة علمية  
وَوَقَّاتُ تَرْبَوِيَّة:

يحق لكاتب هذه السيرة -وهو يتأمل أحداثها- أن يكتبها بقلبه قبل أن يسبق قلمه، وأن تسبق دموعه قبل أن يسطر مداده؛ تعظيماً وإجلالاً لصاحب هذه السيرة، وحباً وتقديراً لأصحابه البررة الذين شاركوه جهده وجهاده، حتى بلغ هذا الدين ما بلغ.

و حين يسر الله لي كتابة هذه السيرة - في خريف عمري - وقد بلغت الستين عاما، فقد كانت فكرة تأليف كتاب في السيرة تراودني منذ زمن، لكن ما ساعد في تحقيقها- بعد فضل الله وتوفيقه- إلحاح عدد من الزملاء علي بذلك، ثم جاء تكليف اللجنة العلمية لكرسي الشيخ عبد الله بن صالح الراشد الحميد لخدمة السيرة والرسول ﷺ - حين كنت مشرفاً على الكرسي - دافعا قويا، وقد أحسن الزملاء بي الظن، وكان مقترحهم يتجاوز التأليف في السيرة باللغة العربية إلى ترجمة الكتاب إلى عدد من اللغات الحية، ليعم نفعه، وأسأل الله أن يبشر ذلك قريبا، وأن أكون عند حسن ظنهم، وأنا أحسن الظن بربي.

و حيث أمضيت بفضل الله في تدريس هذه السيرة والقراءة فيها والكتابة في بعض أحداثها قرابة أربعين عاما .. فأرجو أن تكون هذه الكتابة خلاصة تجربة، وبلوغ مرحلة من العمر اشتعل الرأس شيئا، واشتقت إلى مرافقة صاحب هذه الرسالة وصحبه، ما جعلني أودع هذا المؤلف من الوقفات والدروس والعبر ما يحسن به الكتابة عن هذه السيرة، دون تكلف أو مبالغة.. لكنها السيرة العظيمة توحى لمن قرأها بعمق

وإخلاص بمزيد من الدروس والعبر والأسوة وحسين الاقتداء، وهو ثمرة العلم، وحق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: **سَمَحَ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ سَجَى [الأحزاب: ٢١]**.

ورب قائل يقول: وما الجديد في التأليف في السيرة النبوية اليوم؟ فأقول: نعم، لقد كثرت الكتابات والمصنفات في السيرة، وتنوعت مناهجها، قبليات واختلفت أساليب مؤلفيها، حتى تجاوز التأليف في أحداثها إلى التأليف في الأسماء المصنفات فيها ولكن تظل السيرة معينا لا ينضب.

ومن خلال بحثي واطلاعي رأيت اختلافا في العرض، وتنوعا في الأسلوب والدروس والعبر والاستنباطات بين مؤلف وآخر في القديم أو الحديث وهذا مؤشر إلى عظمة سيرة محمد ﷺ، وعمق أحداثها، بحيث يجد كل كاتب فيها ما يسعفه للدرس والتحليل والاستنباط، ولئن كنتُ وقفت على ما وقع تحت يدي من كتابات المتقدمين والمتأخرين، فقد حرصت على أن أستفيد مما كتبوا، وأضيف ما استطعت بما فتح الله به عليّ، وأرجو أن يجد القارئ جديداً فيما كتبت - إن في الأسلوب، أو في العبر، أو في محاولة ربط السيرة بواقعنا المعاصر - فتلك



قيمة كبرى حتى لا تظل السيرة النبوية نصوصاً جامدة في زمنها، فالأسوة في السيرة محل اعتبار نص عليها الوحي بقوله تعالى: **سَمَّحَ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْثُ اللَّهَ** سيرة محمد ﷺ لمدة زمنية مضت، بل هي علم للسائرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: كتاب (بدريون) تراجم علمية وتربوية مختصرة لأهل بدر رضي الله عنهم:

هذا الكتاب فصل مهم من فصول السيرة النبوية؛ فهو يدور حول الغزوة بدر، وإن لم يتعرض للغزوة بالتفصيل، وهو مختصر في السير والتراجم، حيث يترجم لبعض من شهد بدرًا من الصحابة - وإن لم يستقص كل جوانب من ترجم له، بل ركز على ووقفات ومعالم فيها .

الكتاب (بدريون) محطات (إيمانية) ووقفات (علمية) ولفقات (تربوية) اجتهد المؤلف في توثيق مادتها العلمية، وتصحيح ما استطاع تصحيحه منها، والمؤمل أن يجد فيه المربي مادة تعينه على التربية، ويجد الخطيب فيه

وقفات تسعفه في كتابة الخطبة، كما هو مؤمل أن يجد فيه الباحث ما يفيد  
والقارئ مادة لسلوته مع النفع والفائدة.

والكتاب- كما سبق- موثق في مادته العلمية حيث يعتمد المصادر الأولى  
من كتب السنة والسيرة النبوية، والطبقات والتراجم ونحوها، وفيه  
تنبيهات إلى الصحيح والضعيف أحياناً.

وهو مختصر بحيث يكون في متناول طالب العلم المبتدئ، والصغير  
والكبير، والذكر والأنثى.

ولا تتوفر الكتابة الخاصة عن البدرين على هيئة كتاب جامع لحياتهم  
ومناقبهم، فهذا لم أجده مفرداً عند المتقدمين، وإنما جاء الحديث عنهم  
كغيرهم في ترتيب الصحابة، أو اقتصروا على سرد أسمائهم مع  
الاختلاف في ذلك - كما أسلفت ولم أجد في الكتابات المعاصرة -  
بحدود اطلاعي- من خصهم بالبحث العلمي المعمق وجمعهم في دفعة  
كتاب، ولئن كان أحمد با وزير في مرويات غزوة بدر جاء على ذكر  
البدرين فقد كانت تراجمه بسيطة- كما نص على ذلك-، وهي على صعيد  
الواقع لا تتجاوز الأسطر، وقد اعتمد كثيراً على الإصابة لابن حجر في

ذكر الخلاف بينهم، وأحياناً يكتفي بالقول: شهد بدرًا، وقد جمع (ثلاثمائة وأربعين) اسمًا، وهو ما يعني أنه لم يتحقق بدرية كل من ذكر حتى تجاوز العدد عنده عدد البدرين المشهور في النصوص الصحيحة.

ثم وقفت بعد جمعي للجزء الثاني (بدريون) على كتاب اسمه: أبطال بدر رضي الله عنهم للدكتور عبد الحميد الكندح، طبعته الأولى ١٤٣٥هـ، ويظهر أنه معاصر لكتابتي عن الجزء الأول (بدريون)، وقد ترجم لـ (٣٢٠) بدرياً، المهاجرون (٨٣)، والأوس (٦١)، والخزرج (١٧٦)، ويغلب عليه الاختصار، والنقل، وعدم التحقيق، ومن أدلة ذلك ترجمته لثعلبة بن حاطب الأوسي ص ٣٢٣، وذكره قصته في منعه الزكاة دون تحقيق وبكل حال فهو جهد وجمع مشكور.

ولهذا فقد بدأت حديثي عن البدرين بالرجوع إلى المصادر والمقارنة بين المعلومات الواردة، واستفدت من كتب الحديث والتفسير ونحوها خاصة إذا كان الصحابي طرفاً في قصة، أو وردت له أو عنه رواية ومنقبة. وحرصت ما استطعت أن أحقق ما قدرت على تحقيقه كتصحيح رواية أو نص، أو تضعيفها مستفيداً بذلك ممن سبقني من أهل العلم

والتحقيق، وإن كنت واضعاً في ذهني التسامح في قبول الرواية التاريخية أكثر من الرواية الحديثة، حيث الأولى لا ينبنى عليها حكم شرعي بعكس الثانية، وهذا المنهج سار عليه المتقدمون، فإذا جاءت رواية الأحاديث اشترطوا الثقات، بينما يتساهلون في رواية المغازي والتاريخ عن دونهم.

كما حرصت على إثبات عدد من الوقفات الإيمانية والتربوية في شخصيات هؤلاء البدرين، وإبراز هذه وتلك من أهم ما يفيد قارئ الكتاب، إذ ليس القضية مجرد تراجم مجردة، بل معها دروس وعبر ووقفات وتنبهات أرجو أن ينفع الله بها، كيف لا وهذا الجيل خيرة القرون، والبدريون منهم خيار الخيار بشهادة النبي ﷺ (وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

وقد حرصت على ألا أتكلف هذه الوقفات والدروس، ولا أخلي الترجمة منها قدر الإمكان، وإن لم أبرزها بعنوان، أو أقطعها بأرقام.

ورغم الاجتهاد والجهد المبذول وهو قليل في حق هؤلاء البدرين فيظل عملي تحكمه طبيعة البشر، ولا يخلو من تقصير أو خطأ، فأستغفر ربي من

كل خطأ، وأشكر لكل من سدد ونصح، والله من وراء القصد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، اللهم إنا نشهدك على محبة هؤلاء الأخيار من الرجال فاحشرنا معهم، وارفع درجاتنا بحبنا لهم، وارزقنا التأسى بجليل أفعالهم.

رابعاً: (معالم مضيئة في السيرة النبوية) عشرون معلماً:

إذا لم يكن بإمكان أحد أن يضيف على هذه السيرة العطرة فوق ما كتُب عنها من نصوص ومرويات مما وقفنا عليه وما لم نقف، فإن بالإمكان الكتابة عن هذه السيرة بأكثر من وجه وأسلوب والتجديد في العرض، واستخراج أحداثها عبر الزمان واختلاف المكان، وذلك سرّ آخر من أسرار هذه السيرة، وفرصة للدارسين والباحثين والمؤلفين أن يُجددوا في عرضها للناس، شريطة أن لا يخرجوا النصوص عن مدلولاتها، أو يعتمدوا على نصوص لا تثبت صحتها سنداً أو متناً.

وهذه محاولة وإسهام في رصد عدد من المعالم والدروس والوقفات لهذه السيرة الزكية سأحاول جهدي الاعتماد على ما صح من أحداثها، وأجتهد في تحليل مدلولاتها، وأضيف المتشابه إلى بعضه دون التزام

بتسلسله الزمني، مؤكداً على موضوعه ومحتواه أياً كان زمنه في سيرته وحياته عليه الصلاة والسلام.

ولعل من المفيد ربط أحداث السيرة الماضية بحياتنا المعاصرة دون تكلف أو شطط في الرؤية والتأويل، فذلك هدف عظيم من أهداف ودراسة السيرة والوقوف على أحداثها، وقد نبّه الله على أهمية الاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

بل في سير الأنبياء عموماً حيث هداهم الله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

على أن هذا الكتاب ليس حصراً لمعالم السيرة كلها، بل رصد شيء منها كحلقة أولى، كما أنه ليس حصراً لأدلة كل معلم، بل استدلال بشيء مما تيسر من أدلة كل معلم، ومن رام المزيد وجده في بابه ومصادره، وقد حرصت على توثيق أحداثها، وركزت أكثر على ما صح منها، وأعطيت نفسي فرصة التعليق والربط بين الماضي والحاضر حتى تتصل الحلقات، ويُستفاد من أحداث السيرة ومعالمها، والله أسأل التسديد والقبول.

وأردت أن تكون هذه الصفحات المحدودة، والمعالم الموسومة دليلاً بين يدي العلماء، والدعاة، والمربين، والمعلمين، والمصلحين لينهلوا من (معين السيرة) ما يساعدهم على التعليم والدعوة والتربية والإصلاح، وأرجوا أن تكن هذه (المعالم) بمثابة ورقة يُستفاد منها في (محاضرات) في السيرة أو (ندوات) أو (تعليم) أو (درس) أو (خطب) أو (مسابقات) أو نحو ذلك من (أنشطة تعليمية) في السيرة النبوية.

وقد (وثقت) مادتها قدر الإمكان، وركزت على ما صحَّح من الأحداث، وتسامحت أحياناً قليلة في قبول مرويات تُقبل في معيار قبول مرويات السيرة والتاريخ، كما سيتضح في تمهيد (بين يدي المعالم)، واجتهدت في صياغتها حتى يعيها (العالم) و (المتعلم)، و (المربي)، و (الرجل)، و (المرأة)، كما حاولت قدر الإمكان ربطها بواقعنا المعاصر حتى لا يفهم أنها (معالم لحقبة سلفت)، ودون تكلف أو تعسف في تحميل النصوص فوق ما تحتمل، بل من أغراض السيرة النبوية وأهدافها الاقتداء والاعتبار، وصلاح آخر هذه الأمة بما صلح به أولها، ومع ذلك كله فإنني أعتذر عن الخلل والتقصير، وأسأله التسديد والقبول، وأن لا أُحرم

بدعوة في ظهر الغيب، وأُسْرُ بَأَي توجيهه أو مقترح مفيد، وصلى الله  
وسلم على محمد وآله وصحبه.

خامساً: المرأة في السيرة النبوية بين الدعوة والمناوأة:

أولاً: النساء المناوئات للدعوة في عصر النبوة:

الحديث عن خصوم الدعوة في زمن النبوة يطول، ولكنني في هذا المبحث ركزت على فئة من الخصوم - قد يكون نصيبها من الدراسة قليلاً - وقد تكون العناية بصويجباتها أقل اهتماماً وأكثر غموضاً.

والبحث في «النساء المناوئات للدعوة في عصر النبوة» هنا، لا يعني حصراً عددياً، ولا بياناً رقمياً دقيقاً لكل مناوئة للدعوة في عصر النبوة قدر ما يعني بيان نوع من المناوأة، ورصد نماذج للنساء المناوئات، تؤكد مشاركة المرأة للرجل في مناوئة الدعوة وعداوة الرسول ﷺ.



ويعني البحث بالإجابة على عدد من التساؤلات ومنها: ما نوعية المناوئات للدعوة في عصر النبوة مشركات، أم منافقات، أم كتابيات، أم كلهن؟

هل اقتضت العداوة والمناوأة على غرائب النساء وذوات النسب والحسب في قومهن، أم شملت الجواري والموالي وأمّهات الأولاد؟ وهل كانت المناوأة مقصورةً على المرحلة المكية، وفي حال ضعف المسلمين وقوة المشركين، أم تجاوزتها إلى المرحلة المدنية، وفي حال عزّ الإسلام وغلبة المسلمين؟ وهل حصرت المناوأة في أرض الحجاز - عموماً - وما حولها، أم تجاوز نطاقها إلى خارجها، وأين كانت؟ ما موقف الرسول ﷺ من هؤلاء المناونات، وهل اتفق أم اختلف أسلوبه في التعامل مع مناواتهن، وما نهاية هؤلاء المناونات؟

إلى غير ذلك من أسئلة، أرجو أن تجيب فصول البحث ومباحثه عنها، ويجد القارئ رسداً وجمعاً لها في خاتمة البحث ونتائجه.

وبكل حال فلئن كان البحث جديداً في تناوله - فيما ظهر لي - فقد اعتمدت مادته على المصادر الأساسية، بدءاً من آيات القرآن الكريم

وتفسيرها ومروراً بالنصوص في كتب السنة - وجاء التركيز على ما صح منها وشروحاتها - ووقوفاً عند مرويات كتب السيرة الأولى وما فيها من تفصيل قد لا يتوفر في غيرها، كما أفدت من كتب الطبقات والتراجم، والمبهمات، والأنساب والمعارف العامة نحوها، مما أرجو أن يوثق مادة البحث ويعمق دلالاته.

على أنني أفق في نهاية هذه المقدمة مشيراً إلى أن مادة هذا البحث لا تمس كرامة المرأة المسلمة، ولا تقلل من شأنها، أو تضعف مشاركتها في الدعوة في عصر النبوة، بل إنني أعتقد أن تصيّد مثل هذه المناهج المناوئة، يؤكد في المقابل على عظم دور المرأة في عصر النبوة، ومشاركتها الرجل في الجهاد والدعوة لدين الله، فالأصل أن المرأة شريكة الرجل في نصرة الدين ومحبة الرسول ﷺ، وفي تراجم النساء في كتب الطبقات والتراجم والسير والتاريخ ما يؤكد هذا ويجليه، وإذا شذت بعض النسوة عن هذا فالعبرة بالأغلب الأعم، وحصر المناوئات في هذا العدد القليل مؤشّر واضح على كثرة النساء المناصرات للدعوة في زمن النبوة، وهذا بدهي لا يحتاج لمزيد توضيح وإن لم يكن هو المقصود بالبحث فهو من نتائجه.

ثانيا: المرأة والدعوة في عصر النبوة:

التأمل في حياة المرأة في - زمن النبوة - يرى أنها كانت حاضرة ومشاركة لم تنفصل عن أحداثه ولم تنقطع أو تهمل في صياغة الحياة، جاءت الرسالة المحمدية فاستجابت لها، وبعث محمد صلى الله عليه وسلم فكانت أول المؤمنين به، وجاءت الهجرة للحبشة والمدينة فكانت في طلائع المهاجرين ووقع الأذى على المؤمنين ولم تستثن أو تسلم منه المرأة، وكانت الدعوة - وهو مجال حديثنا- فكان للمرأة إسهام وفضل .. إن في المرحلة المكية أو المدنية، وبمفهوم الدعوة الشامل ومجالاتها المتعددة .

فما حال إسهام المرأة في الدعوة في زمن النبوة؟ وكيف كانت أساليبها في الدعوة؟

وأي فئة استهدفتها المرأة في الدعوة؟ ما نتائج دعوتها؟ وهل من عقبات أو معوقات اعترضت سبيلها في الدعوة؟ وما هي الدروس أو العبر المستفادة والمستنبطة من دعوة المرأة؟

ولعلنا في بداية الحديث نطرح سؤالاً ونجيب عليه، والسؤال يقول: لماذا نُنعى ونؤكد على الدعوة في صفوف النساء؟ هذا سؤال مهم وبكل اختصار الإجابة على أهمية هذا الأمر في عدة أمور منها:

مساهمة المرأة في تحقيق الخيرية لهذه الأمة، فخيريتنا مربوطة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى دين الله، بنص القرآن والسنة. المرأة تمثل نصف المجتمع أو تزيد، ومن الخير توعية هذا النصف وإصلاحه، ومن الهدر والتقصير عدم العناية به.

وموقع المرأة في الأسرة المسلمة من الأهمية بمكان، فهي الحارس الأمين، وهي البوابة للحصون، وهي المدرسة الأولى للجيل، وصلاح المجتمع مرهون بصلاحها، ولذا توجهت سهام الموتورة إليها، والدعوة سبيل لحفظها ووقايتها بإذن الله من سهام الأعداء حتى لا تخترق حصوننا من داخلها.

تحتل قضايا المرأة أهمية كبرى لدى الأمم، وتعد من أجلها مؤتمرات، وتخرج فيها قرارات وتوصيات خطيرة ومؤثرة، وهي في غالبها تتنكر لشريعة الإسلام، وتلغي قيم المرأة المسلمة، وبالذات الدعوة والعناية بالمرأة

تكشف حقيقة هذه المؤتمرات والمؤامرات، والانطلاق من سيرة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم تؤصل هذه الدراسة، وتكسبها أهمية خاصة.

ضعف الدعوة في صفوف النساء بشكل عام، وضعف التجديد في الآليات والوسائل المواكبة للعصر، وتنشيط هذه واقتراح البرامج بات أمراً ملحاً.

عاطفة المرأة وسرعة استجابتها يؤكد الحاجة للدعوة، ويقدم لها البديل النافع عن الدعوات المشبوهة التي تتاجر بقضيتها.

المشاريع العلمانية المضللة للمرأة، بقي لها من الأثر ما يستدعي الكشف والمصارحة ورفض الفكر الوافد، وهذا يكشف بالدعوة ويجلي بالبرهان لا سيما في زمن باتت الهوية الدينية شعاراً للعالم، ومؤسف أن يتشبث اليهود والنصارى بهويتهم- وإن كانت محرفة- ويضل المسلم عن هويته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

# المؤلفات الموسوعية في السيرة النبوية

د. محمد سالم الخضر

## بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدُكَ اللهم يا مَنْ شَهِدْتَ لَكَ الْخَلَائِقُ بِأَنَّكَ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، وَعَظُمَتْ آوَاؤُكَ، وَوَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ فَضْلُكَ،  
لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ.

فَاللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْ رَجَاءَ مَنْ هُوَ مَنُوطٌ بِكَ، وَلَا تُصْفِرْ كَفَأً هِيَ مَمْدُودَةٌ  
إِلَيْكَ، وَلَا تُذِلَّ نَفْسًا هِيَ عَزِيزَةٌ بِمَعْرِفَتِكَ، وَلَا تَسْلِبْ عَقْلًا هُوَ مُسْتَضِيءٌ  
بِنُورِ هِدَايَتِكَ، وَلَا تَحْبَسْ لِسَانًا عَوَّدْتَهُ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ.

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَتَمَّانِ الْأَكْمَلَانِ عَلَى مَنْ أَرْسَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ،  
وَإِمَامًا لِّلْمُتَّقِينَ، وَحِجَّةً عَلَى الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَعِنَاونَ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ: (المؤلفات الموسوعية في السيرة

النبوية)، فما المراد من المؤلفات الموسوعية؟

تطلق «الموسوعة» أو «دائرة المعارف» أو «المعلمة» على المؤلف

الشامل للمعارف المتعلقة بعلم أو أكثر، معروضة من خلال عناوين

متعارفٌ عليها، بترتيبٍ معين، لا يحتاج - في العادة - إلى خبرةٍ وممارسةٍ، بل إلى حُسنِ جمعٍ وكتابةٍ وترتيبٍ.

### \* أهمية موسوعات السيرة النبوية

تكمن أهمية العمل الموسوعي في السيرة النبوية الشريفة في كون هذه

الموسوعات:

- ١- تحوي أطراف الفن الواحد المثورة في عشرات الكتب بين دفتي كتابٍ واحد - وإن تعددت أجزاءه -.
- ٢- تُسهّل على المشتغلين بعلوم السيرة النبوية والمُهتمين بمباحثها مراجعة ما يريدون مراجعته أو إعادة النظر فيه وتدبُّره من تلك العلوم.
- ٣- يُعتبر العمل الموسوعي مرآةً فكرِ الأمة، وهو - في العادة - مرحلةٌ لاحقةٌ لنضجِ فكرها، واتساعِ معارفها، فأن يكون هذا العملُ مبكراً، ومنذ القرن الثاني الهجري - كما سيأتي -، فإنّه دالٌّ على النضج المبكر للكتابة في السيرة النبوية، وهي مسألةٌ قلَّ من يتأملها.



## نماذج للعمل الموسوعي في السيرة النبوية الشريفة

لقد أدرك علماء السيرة النبوية منذ اللحظة الأولى ضرورة العمل الموسوعي، وكان هو الباعث لوضع التصنيف، بشكلٍ أو بآخر، وبهذا تختلف مُصنِّفاتُ كلِّ فنٍّ بحسبه.

ولأهمية الإسناد عند المُحدِّثين والأخباريين؛ إذ هو مدارُّ القبول والردِّ - وإن اختلفت مناهج أهل السير والتواريخ عن مناهج أهل الحديث - فإنَّ الموسوعات التي كتبها أئمة السيرة والمغازي في -القرنين الثاني والثالث الهجري تحديداً- اعتنت بالإسناد اعتناءً كبيراً.

وفيما يلي ذكرُ نماذجٍ للعمل الموسوعي في السيرة النبوية الشريفة مُرتبةً وفق تاريخها الزمني:

### \* القرن الثاني الهجري

مُبكرًا؛ في القرن الثاني الهجري ألف إمام السيرة والمغازي: الإمام مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المدني (المتوفى: ١٥١هـ) موسوعته في السيرة النبوية وأسماها: (المُبْتَدَأُ والمَبْعُثُ والمَغَازِي).

فأمَّا المُبتدأ؛ فيؤرِّخ فيه ابن إسحاق للأنبيا السَّابقين عليهم السلام،  
وأخبارِ العرب، وتاريخ مَكَّة وأجداد النبي ص.  
وأمَّا المبعث؛ فيؤرِّخُ فيه حياة النبي ص في مَكَّة والهجرة حتَّى غزوة  
بدر.

وأمَّا المغازي؛ فيؤرِّخُ فيه حياة النبي ص في المدينة، ملتزماً في ذلك  
بإيراد الأسانيد، والترتيب الزمني.

وابن إسحاق هو فارس هذا الميدان دون منازع، شهد له بذلك  
جماعة من أهل العلم، وعلى رأسهم: شيخه ابن شهاب الزُّهري، حيث  
قال: «من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق».

وقال عنه الإمام الشافعي: «من أراد التبخر في المغازي فهو عيال على  
ابن إسحاق».

ومن هنا قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ: ١ / ١٣٠» مترجماً  
له: «والذي تقرر عليه العمل أنَّ ابن إسحاق إليه المرجع في المغازي  
والأيام النبوية، ... وكان أحد أوعية العلم حَبِراً في معرفة المغازي  
والسير».

وإلى جانب كون ابن إسحاق أحد أوعية العلم، وكون مادة موسوعته في (السيرة) شاملة وغنيّة بالأخبار، فإن فصاحته أعطت بُعداً آخر لمُصنّفه.

قال الإمام السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ) في (الروض الأثف: ٦٩ / ٥):  
«وإنما أعجبتني فصاحة ابن إسحاق في قوله: بقية شهر كذا وشهر كذا  
وجمادين ورجباً وشعبان، ونزل الألفاظ عند منازلها عند أرباب اللغة  
الفاهمين لحقائقها، يرحمه الله».

وقال العلامة سليمان بن موسى الحميري الكلاعي الأندلسي  
(المتوفى: ٦٣٤هـ) في «الاكتفاء: ص ٥ من المقدمة»: «وقد وقفت على  
كتاب محمد بن عمر الواقدي في المغازي، ولم يحضرني الآن، لكنني رأيت  
كثيراً ما يجري مع ابن إسحاق، فاستغنيت عنه به لفضل فصاحة ابن  
إسحاق في الإيراد، وحسن بيانه الذي لا يُفقدُ معه استحسان الحديث  
المعاد».

ولسيرة ابن إسحاق روايتان مشهورتان هما:

- رواية زياد بن عبد الله البكائي (المتوفى: ١٨٣هـ).

- رواية يونس بن بكير (المتوفى: ١٩٩هـ).

فأمّا رواية يونس بن بكير؛ فإنّه لم يصلنا منها إلا قطعةً صغيرةً، لا تُشكّل معشار ما فُقد منها.

وأما رواية البكائي؛ فلولا أنّ الله تعالى قيّض لحفظها العلامة عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (المتوفى: ٢١٣هـ) والذي هدّبها واختصرها في موسوعته: (سيرة رسول الله ص)، لفُقد من تفاصيل سيرة نبينا ص الشيء الكثير.

ولهذا اكتسبت السيرة التي كتبها ابن هشام شهرةً وقبولاً بين أهل العلم، وزاد في أهميتها أنّ الذي هدّبها أديبٌ ولغويٌّ ونسابةٌ ومؤرّخٌ، فكان لهذا الأثر الكبير في تصويب بعض الأخطاء التي وقعت من ابن إسحاق، وحذف أو نقد الأشعار المنحولة التي أودعها ابن إسحاق في موسوعته، إلى غير ذلك مما قام به ابن هشام في تهذيب السيرة وتحرير مواطن النزاع فيها.

## \* القرن الثالث الهجري

وفي القرن الثالث الهجري؛ أَلَّفَ العَلَّامَةُ الأَخْبَارِيُّ مُحَمَّدُ بنِ عَمْرِ بنِ وَاقِدِ المَدَنِيِّ الشَّهِيرِ بِالوَاقِدِيِّ (المتوفى: ٢٠٦هـ) موسوعته في المغازي والسرايا وأسماها: (المغازي).

وأفرد مؤلفاً في (المبعث) سدَّ فيه النقص في موسوعته السيرية، وقد قال عن هذا المصنَّف العَلَّامَةُ سَلِيمَانُ بنِ مَوْسَى الحِمِيرِيِّ الكَلَاعِيِّ الأَنْدَلِسِيِّ (المتوفى: ٦٣٤هـ) في «الاكتفاء: ص ٥ من المقدمة»: «وللواقدي أيضاً كتاب المبعث، وهو مُشَبَّعٌ في بابه، مُتَمِّعٌ باستيفائه واستيعابه، قد نقلتُ هنا منه جُملاً تناسب الغرض المسطور، وتصدُّ المعترض أن يجور».

وقد نبغ الواقدي في علم المغازي والسير والتاريخ الإسلامي بصفة عامة، قال عنه الخطيب البغدادي: «وهو ممن طبق شرق الأرض وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف أخبار الناس أثره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم؛ من المغازي والسير والطبقات، وأخبار النبي ص والأحداث التي كانت في وقته، وبعد وفاته ص وكتب الفقه، واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك».

وحدّث هو عن نفسه فقال: «ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء، ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعانيه، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعانيه».

أعطت هذه السمة التي اتصف بها الواقدي في عرض الحوادث بمشاهدته لأماكن وقوعها حالة من الواقعية والصدق والابتعاد عن المبالغات والضبابية في وصف الحوادث، وذلك بتسليط الضوء على الدور الذي لعبه الموقع الجغرافي واتخاذ الخطط الحربية المناسبة له، ولم يقتصر على هذا الأمر حسب بل أخذ يعرض أيضاً المسارات التي تسلكها بعض الغزوات منذ الخروج من المدينة إلى أماكن حدوث وقائعها مع ذكر مناطق التوقف والمواقع التي يمرون بها.

## \* القرن الخامس الهجري

في القرن الخامس الهجري؛ أَلَّفَ العَلَّامة عبد الملك بن مُحَمَّد بن إبراهيم النيسابوري الشهير بالخرَّكوشي (المتوفى: ٤٠٦ هـ) موسوعته في السيرة والهدي النبوي وأسماها: (شَرَفُ الْمُصْطَفَى).

وموضوع الموسوعة: سيرة النبي ص من حيث أقواله وأفعاله وأحواله وأوصافه وما يتعلق بدلائل نبوته ص وعلاماتها وغير ذلك مما هو معدودٌ اعتقاده من أصول الدين.

ثُمَّ في القرن نفسه أَلَّفَ الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (المتوفى: ٤٥٨ هـ) موسوعته في السيرة النبوية ودلائل النبوة وأسماها: (دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة).

وقد قرَنَ الحافظ البيهقي -رحمه الله- في هذه الموسوعة بين علم (دلائل النبوة) وهو علمٌ خاصٌ من علوم السيرة النبوية، وبين علم السيرة والمغازي، وقد أشار إلى ذلك بمقدمته التي يقول فيها: "واستعنت به في إتمام ما قصدته مع ما نقل إلينا في شرف أصله وطهارته مولده وبيان أسماؤه وصفاته وقدري حياته ووقت وفاته وغير ذلك مما يتعلق بمعرفته ص ... والاعتماد على جملة ما تقدمه من الصحيح أو

المعروف عند أهل المغازي والتواريخ"، ولأجل ذلك كانت هذه الكلمات معبرة عن فحوى الكتاب ومضامينه التي جعلتنا نضعه ضمن مصنفات السيرة الشاملة.

### \* القرن الثامن الهجري

وفي القرن الثامن الهجري؛ ألف العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) موسوعته في الهدى النبوي وفقه السيرة النبوية وأسمائها: (زاد المعاد في هدي خير العباد). وقد عبّر ابن القيم عن غرضه من تأليفه هذه الموسوعة في عدة مواضع من كتابه، فقال في (٣/١٣٦): «وَالْمَقْصُودُ: التَّنْبِيهُ عَلَى هَدْيِهِ وَاقْتِبَاسُ الْأَحْكَامِ مِنْ سِيرَتِهِ، وَمَغَازِيهِ، وَوَقَائِعِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامُهُ».

وقال في موضع آخر في كلام مهم في (١/٣١٨): «وَلَيْسَ مَقْصُودُنَا إِلَّا ذِكْرَ هَدْيِهِ صَ الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ هُوَ، فَإِنَّهُ قِبْلَةُ الْقَصْدِ، وَإِلَيْهِ التَّوَجُّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَعَلَيْهِ مَدَارُ التَّفْتِيْشِ وَالطَّلَبِ».



## \* القرن التاسع الهجري

وفي القرن التاسع الهجري؛ أَلَّفَ الحافظُ مُحَمَّدُ بن عبد الله بن مُحَمَّد القيسي الدَّمشقي الشهير بابن ناصر الدِّين الدَّمشقي موسوعته في السيرة النبوية وأسماها: (جامعُ الآثار في السِّيرِ ومولد المختار)، وهي إلى كونها موسوعةً في السيرة النبوية إلا أنَّها أيضاً أكبر موسوعة عن مولد النبي ص وما يتعلق به من بشارات وإرهاصات وأحداث وأخبار.

ثمَّ أَلَّفَ تقي الدِّين أحمد بن عليّ بن عبد القادر المقرئزي (نسبة لمقرئز من مدينة (بعلبك)) أصلاً، المصري (مولداً ومسكناً) (المتوفى: ٨٤٥هـ) موسوعته في السيرة النبوية وأسماها: (إمتاعُ الأسماعِ بما للنبي ص من الأحوال والأموالِ والحفدةِ والمتاع).

ذكر د. محمد يسري سلامة - رحمه الله - في كتابه (مصادر السيرة النبوية) أن طبعته الكاملة عن دار الكتب العلمية تصرّف فيها المحقق بالنصوص بمحض هواه فأسقط منها غالبَ مراثي النبي ص التي أثبت المقرئزيُّ الكثيرَ منها، ومنها ما لا يوجد عند غيره، وأنَّ الإمتاعَ اشتمل

على نصوصٍ من كتبٍ مفقودة، ونُقولٍ مُحَرَّرَةٍ وأسانيد، وإن ذكر الحافظ السَّخاويُّ في (الإعلانِ بالتوبيخ) أنَّ فيه الكثيرَ مما يُنتقد.

### \* القرن العاشر الهجري

وفي القرن العاشر الهجري؛ أَلَّفَ مُحَمَّدُ بن يوسُفِ الصَّالِحِي الشَّامِي (المتوفى: ٩٤٢هـ) موسوعته في السيرة النبوية وأسماها: (سُبُلُ الهدى والرَّشادِ في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلامِ نبوتهِ وأفعالهِ وأحوالهِ في المبدأ والمعاد).

جمع مادة هذه الموسوعة من أكثر من ثلاثمائة كتاب، واعتنى بتبويبها وترتيبها عناية حسنة.

### \* القرن الحادي عشر الهجري

وفي القرن الحادي عشر الهجري؛ أَلَّفَ عَلِيُّ بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشهير بنور الدِّين الحلبي (المتوفى: ١٠٤٤هـ) موسوعته في السيرة النبوية وأسماها: «إنسانُ العيونِ في سيرةِ الأمينِ المأمونِ ص»، وهو المشهور باسم (السيرة الحلبية).

جَمَعَ مادَّته من (عيون الأثر) لابن سيِّد النَّاس - مع حذف أسانيده-،  
ومن (سُبل الهدى والرَّشاد) للصَّاحي، مع توزيع هَمْزِيَّة البوصيرِيِّ على  
حوادثِ السيرة، وشيئاً من أبيات تائيَّة السُّبكيِّ، وأبيات ابن سيِّد النَّاس  
في ديوانه (بُشْرَى اللَّيْبِ بِذِكْرَى الحَبِيب).

### \* القرن الرابع عشر الهجري

وفي القرن الرابع عشر الهجري؛ أَلَّفَ العَلَّامة مُحَمَّدُ شِبْلِي بن حبيب  
الله الهندي المشهور بشبلي النُّعماني (المتوفى: ١٣٣٢هـ) بالأوردية: (دائرةُ  
معارفٍ في سيرة النبي ص)، وهو الذي قال فيه الشيخ محمد رشيد رضا  
في (مجلة المنار) تحت عنوان: (مُصابُّ الهندِ والعالمِ الإسلاميِّ بالشيخ  
شِبْلِي النُّعماني): (وقد أتقنَ عِلْمَ التاريخِ إتقاناً لعلَّه لا يوجدُ في العالمِ  
الإسلامي كُلِّهِ من يُساويه فيه الآن).

وكان شِبْلِي قد خطط لإكمال هذه الموسوعة العلمية في خمسة أجزاء  
كما صرَّح بذلك في مقدمتها، لكنه - رحمه الله - ما إن أكمل من الكتاب

الجزأين الأولين حتى وافته المنية، فقام بإكمال الموسوعة تلميذه الشيخ سليمان الندوي (المتوفى: ١٣٧٣هـ) فأتمها حتى خرجت في سبعة أجزاء. وقد تُرجمت هذه الموسوعة إلى عدة لغات، آخرها: اللغة العربية، فطُبعت بمصر سنة ٢٠٠٥ من الميلاد، وفيها أخطاء وسقط كثير، ولدار القلم بدمشق طبعةً جديدةً خرجت في هذه السنة، نرجو أن تكون قد صوّبت أخطاء الطبعة القديمة، والله تعالى أعلم.

### \* في هذا العصر

ألف د. همّام عبد الرّحيم وابنه د. محمّد همّام، بالاشتراك مع هشام عبد الغفور ود. معن بديع: (موسوعة أحاديث الشّائل النبوية الشّريفة)، وهي موسوعةٌ تصنيفيةٌ لأحاديث الشّائل النبوية الشّريفة من كتب السنّة، بلغت الألفي صفحة.

وأخيراً.. فالله نسال، وعليه التّكلان، أن يوفّقنا لما فيه رضاه، وأن يستعملنا في خدمة سيرة نبيه ص على الوجه الذي يرضاه عنا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# الجهود الأكاديمية في خدمة السيرة النبوية

د. محمد بن صامل السلمي

جمعية أسوة لخدمة السيرة النبوية بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

## الجهود الأكاديمية في خدمة السيرة النبوية

مقدمة:

السيرة النبوية ليست ضرباً من ضروب التاريخ فحسب؛ إنما هي منهج متميز، وعِبْرٌ متجددة، وسلوك يُقتفى، فهي متجددة العطاء لأنها سيرة الرسول الأُسوة، والنبي المتَّبِعِ ﷺ، والإمام القدوة الذي لا يصح عملٌ ولا عبادةٌ إلا باتباعه ﷺ.

فسيرته ﷺ معيار، تُقاس إليه جميع السَّيرِ والمواقف والأحداث، وهي صالحة لكل زمان ومكان، وامتسعة لجميع القدرات البشرية، وقد جمع الله في شخصيته الشريفة جميع الكمالات البشرية حتى يتمكن من الاقتداء به جميع المسلمين، على مختلف أزمانهم وأوطانهم ومواقعهم الإدارية والسياسية والاقتصادية والعلمية والتربوية... إلخ.

والسيرة من أهم المصادر في فهم الإسلام إذ هي في حقيقتها تطبيق عملي لنصوص الكتاب والسنة، وهي مادة تربوية تُنمِّي السلوك الحسن، ولذا يجب أن تُتَلَقَّى ويتعلمها المتعلمون لتحقيق هذا الهدف التربوي

الإيماني الذي يؤدي إلى تنمية السلوك البشري وتقويمه، وفق الهدى النبوي الثابت في الكتاب والسنة.

إن المشكلة الواقعة في دراسة السيرة النبوية أنها تجرّ على الطريقة التقليدية في سرد الحوادث وحفظ الوقائع دون نقد وتمحيص لثبوتها، ودون التنبّه إلى أهميتها التربوية والسلوكية، وطلب أثرها في تقوية الإيمان وترسيخه، وفي بناء الجيل والأمة وفق السنن الشرعية والاجتماعية. وهذه الورقة ترصد الجهود الأكاديمية لخدمة السيرة النبوية ودراساتها المعاصرة.

ونقصد بالأكاديمية؛ الدراسات والأبحاث التي أُعدّت في الجامعات، ومراكز الأبحاث العلمية، والاهتمام بتدريسها، ونشر مصادرها وتحقيقها والتأليف فيها، وهي أعمال جليّة تستحق الرصد والاستفادة منها.

وقد ربّبتُ البحث على عدد من المسائل والأنحاء، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على رسوله الأمين.

أ/ الجهود التأسيسية في تدوين السيرة النبوية.

بدأت هذه الجهود في زمن الصحابة رضي الله عنهم من خلال تدوين أحاديث النبي ﷺ، وقد تضمنت شيئاً من وقائع السيرة وأخبارها، ثم تبعهم التابعون مما أدى إلى تكوين المصادر الأولية في السيرة النبوية، على يد عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ) ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، ولكن لم يصل إلينا شيء من مصنفاتهم، وإنما هي روايات مبثوثة في كتب السنن والمسانيد.

ثم ظهر التأليف على يد طبقة المؤسسين في التأليف في السيرة النبوية مفردة، ومن أبرزهم محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت ١٥١هـ)، ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ)، وعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ) وهو الذي رتب وهذب السيرة النبوية لابن إسحاق.



## ب/ الجهود الأكاديمية المعاصرة عن السيرة

تأسست منذ القرن الرابع عشر العديد من الجامعات في العالم العربي والإسلامي، كما أنشئت مراكز أبحاث وأقسام في الجامعات الغربية تهتم بالدراسات الإسلامية، ومنها السيرة النبوية.

وفي بعض الجامعات العربية والإسلامية أقسام ومراكز تهتم بالسيرة النبوية وأبحاثها، ولذا فقد تنوعت الاهتمامات في العناية بالسيرة النبوية بين مواد تدريسية وأبحاث على مستويات متعددة؛ بحوث تخرج، ودبلوم عالي، ورسائل ماجستير ودكتوراة، وأبحاث علمية يُعدّها المتخصصون لغرض الترقيات العلمية والنشر في المجلات العلمية للجامعات، ومن ذلك عقد ندوات ومؤتمرات محلية أو دولية عن السيرة.

وفيما مضى من هذا القرن (الخامس عشر الهجري) زاد الاهتمام بالسيرة النبوية وكثرت الجامعات العربية والإسلامية، والمؤسسات والبرامج والهيئات التي جعلت السيرة النبوية محور اهتمامها، خاصة بعد حادثة الرسوم المسيئة لجناب المصطفى ﷺ من بعض الدول الغربية، مما أثار

الحمية الدينية للمسلمين، فتداعوا لنصرته ﷺ فعقدت المؤتمرات والندوات، ونتج عن ذلك عدد من الهيئات والكراسي العلمية لنشر علوم السيرة، وأحدثت تلك الهيئات والكراسي تجديداً في دراسة السيرة النبوية مناسبة للعصر، ومظهرة لمكانة السيرة وشمولها لمناحي الحياة، ولم يعد مفهوم السيرة قاصراً على الجانب التاريخي وسرده مجرداً، وإنما استنطقت مواقف النبي ﷺ وأحواله وحللت في الجوانب الإدارية والقيادية والاقتصادية والاجتماعية وفي المعاني الإنسانية من الرحمة وبناء القيم، والاهتمام بالبيئة وتنميتها، والحفاظ على مصادر المياه.. إلخ.

وقد كانت تلك الجهود على النحو التالي:

أولاً: تحقيق مصادر السيرة وإعادة نشرها

في ظل اهتمام الجامعات بالسيرة النبوية قُدم عدد من الرسائل العلمية (ماجستير ودكتوراة) لتحقيق المصادر الأساسية للسيرة النبوية، وتقديمها في صورة محررة ومحقة على أصولها الخطية، مع التوثيق والتخريج للنصوص والأحاديث النبوية، وقد أعيد نشر السيرة النبوية

لابن هشام محققة ومخرجة، كما قام على سيرة ابن إسحاق عدد من الدراسات، تهدف إلى توثيق نصوصها ومقارنتها بالصحاح من كتب السنة النبوية، ومن ذلك:

- ١ - رسالة دكتوراة في جامعة الإمام محمد بن سعود، بعنوان: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (العهد المكي) دراسة مقارنة د. سليمان العودة.
- ٢ - السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (العهد المدني من سنة ١-٥٦هـ) دراسة مقارنة، جامعة أم القرى.
- ٣ - السيرة النبوية عند ابن إسحاق، (من ٦-١١هـ) دراسة مقارنة مع مصادر السنة النبوية، جامعة أم القرى.
- ٤ - محمد ابن إسحاق ودوره في تدوين السيرة النبوية، قحطان الكبيسي، معهد التاريخ العربي ببغداد.
- ٥ - محمد ابن إسحاق ويوسف بن عبد البر ومنهجهما في السيرة النبوية، كريمة عمر، جامعة محمد الخامس بالمغرب.

٦- السيرة النبوية: دراسة سردية: سيرة ابن هشام أنموذجا،  
جعفر جمعة زبون، الجامعة المستنصرية ببغداد.

٧- مرويات محمد ابن إسحاق في أسباب النزول من خلال  
السيرة النبوية لابن هشام جمعاً ودراسة، شريف عبد العليم  
محمود، جامعة الأزهر.

ومن مصادر السيرة التي حُقِّقت في رسائل علمية:

١- كتاب دلائل النبوة للإمام البيهقي، حُقِّق (في عدة رسائل بجامعة أم  
القرى).

٢- كتاب الزهر الباسم في سير أبي القاسم، للحافظ علاء الدين  
مغلطاي، حُقِّق (في ثلاث رسائل بجامعة أم القرى).

٣- كتاب طِبُّ النبي ﷺ للإمام أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري،  
(ت ٤٣٢هـ) (حقق في أربع رسائل بجامعة الملك سعود)،

٤- كتاب نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس، للإمام سبط ابن  
العجمي، حُقِّق (في ست رسائل علمية بجامعة أم القرى).

- ٥- كتاب مختصر سيرة ابن هشام لعلماد الدين الواسطي، (ت ٧١١هـ)  
(حقق في أربع رسائل علمية بجامعة أم القرى).
- ٦- مشكاة الأنوار في فضائل النبي المختار لأبي الحسين البغوي، حُقِّق  
(في رسالتين بجامعة أم القرى).
- ٧- دلائل النبوة لأبي نعيم، حُقِّق (في ثمان رسائل علمية بجامعة أم  
القرى).
- ٨- الشمائل المحمدية للترمذي، دراسة وتحقيق، أحمد عبد المطلب،  
جامعة الأزهر،
- ٩- جمع الوسائل في شرح الشمائل لملا علي القاري، حُقِّق (في ثلاث  
رسائل علمية بجامعة أم القرى)
- ١٠- عيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس، حُقِّق (في  
رسالتين بجامعة الأزهر)
- ١١- إمتاع الأسماع لأحمد بن علي المقرئ، حُقِّق (في أربع رسائل علمية  
بالجامعة الإسلامية)

١٢- الخصائص الكبرى للسيوطي، حُقِّق (في أربع رسائل علمية بجامعة أم القرى).

١٣- المبعث والمغازي لأبي القاسم قوام السنة، حُقِّق (في رسالة علمية بالجامعة الإسلامية).

١٤- الطبقات الكبرى لابن سعد، حقق ما لم ينشر منه عدة رسائل؛ رسالتان في جامعة أم القرى، (الطبقة الرابعة من الصحابة، والطبقة الخامسة من الصحابة)، ورسالتان في جامعة ويلز البريطانية (إكمال الطبقة الثالثة من الصحابة)، الأولى: الصحابة المضربون، والثانية: الصحابة اليمينيون، ورسالة في الجامعة الإسلامية (إكمال طبقات تابعي أهل المدينة).

١٥- المورد العذب الهني في الكلام على السيرة للحافظ عبد الغني، قطب الدين عبد الكريم الحلبي، حُقِّق (في رسالتان بجامعة أم القرى).

ثانيا: العناية بروايات السيرة النبوية وتحقيقها وبيان صحيحها من سقيمها

في هذا الباب أعدت مئات الرسائل والأبحاث بإشراف عدد من التخصصات الأكاديمية؛ حيث أن السيرة النبوية تتميز بالشمول والتكامل، فقد قُدمت رسائل علمية في تخصص التاريخ، وتخصص الدعوة، وتخصص الدراسات الإسلامية، وفي تخصص السياسة الشرعية، وفي تخصص العقيدة والفِرَق، وتخصص التربية والسلوك، وتخصص الإعلام والنشر.

كما تنوعت اهتمامات الدراسات والرسائل بالأحوال الاجتماعية (المرأة والطفل والشباب) والأحوال الاقتصادية وما يلحق بها، والجوانب الحضارية المعنوية والمادية.

ومن النماذج في ذلك:

١- أحاديث السيرة النبوية من خلال الكتب التسعة، جمع

ودراسة وتحقيق، محمد موسى، جامعة الأزهر.

٢- أحاديث الهجرة، نقد وتخرّيج، سليمان السعود، الجامعة

الإسلامية.

- ٣- أحاديث غزوة تبوك، دراسة وتخرّيج، عبد القادر حبيب الله  
السندي، جامعة أم القرى.
- ٤- الأحاديث المروية فيما وقع للنبي ﷺ من خوارق العادات،  
دراسة نقدية تحليلية، علي الكبيسي، جامعة صدام.
- ٥- الأحاديث الواردة في مرض النبي ﷺ ووفاته، علي النهاري،  
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٦- الأحاديث والآثار الواردة في كتاب السيرة الحلبية، يحيى  
دهشوش، جامعة أم درمان.
- ٧- الأحاديث والآثار الواردة في كتاب سبل الهدى والرشاد في  
سيرة خير العباد ﷺ للصالحى، في ستة عشر رسالة علمية،  
جامعة أم درمان.
- ٨- السرايا والبعوث في العهد النبوي، دراسة نقدية تحليلية،  
بريك أبو مايلة، الجامعة الإسلامية.



- ٩ - غزوة مؤتة والسرايا الشمالية، دراسة نقدية، بريك أبو مائلة،  
الجامعة الإسلامية.
- ١٠ - السيرة النبوية من خلال تفسير الثعلبي، دراسة مقارنة،  
رسالتان بجامعة أم القرى.
- ١١ - تخريج أحاديث الطبقات الكبرى، في عدد من الرسائل،  
جامعة أم القرى.
- ١٢ - مرويات تاريخية في المستدرک للحاكم عن الأنبياء والسيرة  
النبوية، محمد عبد العال، جامعة الأزهر.
- ١٣ - دراسة مرويات العهد المكي من السيرة، دراسة وتخریج،  
عادل الدمهوري، الجامعة الإسلامية.
- ١٤ - دراسة مقارنة للنصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد، من  
سنة (١-٥٦هـ)، عبد الرحمن الزهراني، جامعة أم القرى.
- ١٥ - دراسة مقارنة للنصوص التاريخية في مسند الإمام أحمد، من  
سنة (٧-١١١هـ)، مرزوقة النفيعي، جامعة أم القرى.

- ١٦ - صحيفة المدينة، دراسة حديثة مقارنة، هارون إسحاق،  
جامعة الملك سعود.
- ١٧ - مرويات الزهري في المغازي النبوية جمعاً ودراسة، محمد علي  
عواجي، الجامعة الإسلامية.
- ١٨ - مرويات السرايا والبعوث النبوية، دراسة حديثة تحليلية،  
محمد عبد الستار، الجامعة المنوفية.
- ١٩ - مرويات تاريخ يهود المدينة في عهد النبوة، أكرم حسين  
السندي، الجامعة الإسلامية.
- ٢٠ - مرويات عروة بن الزبير في السيرة والمغازي، جمع ودراسة،  
عادل الدمهوري، الجامعة الإسلامية.
- ٢١ - مرويات غزوة الحديبية، حافظ محمد الحكمي، الجامعة  
الإسلامية.
- ٢٢ - مرويات غزوة الخندق، إبراهيم عمير، الجامعة الإسلامية.

٢٣- مرويات غزوة أحد، حسين أحمد الباكري، الجامعة الإسلامية.

٢٤- مرويات غزوة بدر، أحمد العليمي، الجامعة الإسلامية.

٢٥- مرويات غزوة بني المصطلق، إبراهيم قريبي، الجامعة الإسلامية.

٢٦- مرويات غزوة حنين، إبراهيم قريبي، الجامعة الإسلامية.

٢٧- مرويات غزوة خيبر، عوض الشهري، الجامعة الإسلامية.

٢٨- مرويات فتح مكة، محسن الدوم، الجامعة الإسلامية.

٢٩- مرويات موسى بن عقبة في المغازي، جمع وتخرّيج، باقشيش محمد، الجامعة الإسلامية.

٣٠- أخبار الوفود التي قدمت المدينة في العهد النبوي، عبدالرحمن الدخيل، الجامعة الإسلامية.

٣١- أبو المعتمر التيمي ومروياته في السيرة، عبد العزيز محمد العجلان، دراسة تحليلية، جامعة الإمام محمد بن سعود.

ثالثاً: نقد الدراسات التي تناولت السيرة من المستشرقين والاتجاهات الفكرية الأخرى.

وقد قُدم في هذا الاتجاه عدد من الرسائل العلمية، وهذه نماذج منها:

- ١- اتجاهات كتابة السيرة النبوية في العراق خلال القرن الرابع عشر، دراسة مقارنة بالمصادر الأصلية، علي بانافع، جامعة أم القرى.
- ٢- اتجاهات كتابة السيرة النبوية في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر، دراسة مقارنة بالمصادر الأصلية، أمل الشبتي، جامعة أم القرى.
- ٣- اتجاهات كتابة السيرة النبوية في بلاد الشام خلال القرن السابع الهجري، عرض ونقد، صالح الضويحي، جامعة أم القرى.

- ٤ - اتجاهات كتابة السيرة النبوية في المشرق الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، بسام الخراشي، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٥ - الاتجاهات العربية المعاصرة في كتابة السيرة النبوية، أحمد فكير، جامعة محمد الخامس بالمغرب،
- ٦ - اتجاهات كتابة السيرة النبوية في مصر خلال القرن الرابع عشر، دراسة نقدية، تهاني الخضيرى، جامعة أم القرى.
- ٧ - الاستشراق الأمريكي والسيرة النبوية: أرفنج نموذجاً، سامي أحمد، جامعة تكريت.
- ٨ - الاستشراق الفرنسي وموقفه من تاريخ عهد النبوة، مصطفى الحاج، الجامعة الإسلامية.

- ٩- الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية، لآراء:  
«وات» - «بروكلمان» - «فلهاوزن». الباحث/ عبد  
الله النعيم، جامعة الخرطوم.
- ١٠- نقد القراءة العلمانية للسيرة النبوية في الدراسات  
العربية المعاصرة، منير البقمي، جامعة أم القرى.
- ١١- الرؤية الاستشراقية للسيرة النبوية من خلال دائرة  
المعارف، عرض ونقد، طارق عبد الحميد، جامعة  
الأزهر.
- ١٢- السيرة النبوية في فكر (مونتجمري وات، وكارين،  
أرمسترونج) دراسة تقويمية، رائد محمد، جامعة  
الأزهر.
- ١٣- السيرة النبوية في كتابات المستشرقين البريطانيين،  
دراسة نقدية لآراء: (توماس كارلايل، توماس

أرنولد، إلفريد جيوم) أمل الثبتي، جامعة أم  
القرى.

رابعاً: الموضوعات المستنبطة من السيرة النبوية  
أعد الفريق العلمي بكرسي المهندس عبد المحسن الدريس للسيرة  
النبوية ودراساتها المعاصرة بجامعة الملك سعود كشافاً للرسائل العلمية  
عن السيرة النبوية حتى عام ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.  
وقد تنوعت تلك الرسائل بين دبلوم عالي، وماجستير، ودكتوراة،  
وشملت الجامعات في العالم العربي، وبعض الجامعات الإسلامية  
الأخرى، وقد بلغ عددها (٥٩٧) رسالة، وهذه نماذج من العناوين  
الجاذبة والدراسات المعاصرة:

١- مؤهلات القيادة في شخصية الرسول ﷺ، جامعة  
الأزهر (١٩٩٦م).

٢- نظرية القيادة النبوية التحويلية، دراسة مقارنة، جامعة الشرق  
الأوسط، (٢٠١٥م).

- ٣- وظيفة العلاقات العامة في إدارة الأزمات، دراسة تطبيقية على نماذج الأزمات في العهد النبوي، جامعة أم درمان (٢٠١١م).
- ٤- منهجية التغيير عند الرسول ﷺ في ضوء القرآن والسنة، دراسة تحليلية، جامعة أم درمان (٢٠١٢هـ)
- ٥- منهج النبي ﷺ في حماية الدعوة والمحافظة على منجزاتها في الفترة المكية، جامعة ماليزيا، ١٩٩٧م.
- ٦- منهج النبي ﷺ في توظيف الطاقات البشرية من خلال السيرة النبوية، الجامعة الإسلامية بغزة (٢٠٠٨م).
- ٧- منهج النبي ﷺ التربوي في معالجة المواقف التي أشكلت على الصحابة في الغزوات، جامعة اليرموك، (٢٠١٤هـ).
- ٨- مفهوم الأمن الشامل في دولة المدينة، دراسة تحليلية من خلال السيرة العطرة، جامعة أم درمان، (١٩٩٤م).
- ٩- المعالم الجغرافية والتاريخية في السيرة النبوية، جامعة البنجاب، (١٤١٥هـ).



- ١٠ - معالم المنهج النبوي في اتخاذ القرارات وتطبيقاتها، جامعة أم القرى، (١٤٢٤هـ).
- ١١ - مضامين تربوية مستنبطة من غزوتي بدر وتبوك، جامعة أم القرى (١٤٢١هـ).
- ١٢ - مسائل العقيدة المستنبطة من غزوة بني قريظة، الجامعة الإسلامية بغزة (٢٠١٤م).
- ١٣ - مبادئ حقوق الإنسان في خطبة حجة الوداع، جامعة نايف للعلوم الأمنية، (١٤٣٢هـ).
- ١٤ - كتب السيرة النبوية نموذج في نشأة الكتابة التاريخية، جامعة تونس (٢٠١٢م).
- ١٥ - فاعلية برنامج كمبيوتر في تدريس السيرة النبوية، جامعة الأزهر (٢٠١٥م).
- ١٦ - فاعلية برنامج استراتيجيات التدريس للسيرة النبوية، جامعة الأزهر (٢٠٠٦م).

- ١٧ - غزوة الحديبية وآثارها في مجال السياسة الشرعية، جامعة الإمام محمد، (١٤٠٤هـ).
- ١٨ - صلح الحديبية وأبعاده في نشر الإسلام (٦-١١هـ)، جامعة أم القرى، (١٤٠٦).
- ١٩ - دور المرأة الاقتصادي في العصر النبوي، جامعة القصيم.
- ٢٠ - الرعاية الاجتماعية في مكة والمدينة في عصر الرسول ﷺ، جامعة الإمام محمد.
- ٢١ - العمل الخيري وأثره في العصر النبوي، دراسة تاريخية، جامعة القصيم.
- ٢٢ - رعاية الطفل في السيرة النبوية، كرسي السيرة النبوية بجامعة القصيم.
- ٢٣ - القضاء على الوثنية ومظاهر الشرك زمن النبي ﷺ، جامعة أم القرى.

- ٢٤- دور التربية في مواجهة الأزمات من خلال السيرة النبوية،  
جامعة أم القرى (١٤٢٨هـ).
- ٢٥- دور الحرب النفسية في غزوتي الأحد والأحزاب، جامعة  
الأزهر، (١٩٨٥م)
- ٢٦- دور الهجرة في نشر الإسلام، دراسة تحليلية في وسائل  
الاتصال في العهد النبوي، جامعة القران الكريم، (٢٠١٣هـ).
- ٢٧- دراسة جغرافية لمواقع غزوات الرسول ﷺ، جامعة الأردن.
- ٢٨- خصائص القيادة عند الرسول ﷺ، دراسة نفسية اجتماعية،  
جامعة الجزائر، (١٤١٥م).
- ٢٩- حقوق الأسرى في الدولة الإسلامية (١-٤٤٠هـ)، الجامعة  
الإسلامية بغزة، (٢١١٦م).
- ٣٠- توظيف السيرة النبوية في أدب الأطفال، جامعة الأزهر،  
(٢٠١٢م)

- ٣١- تربية القيادات العسكرية عند الرسول، دراسة تحليلية، جامعة أم القرى (١٩٩٧م).
- ٣٢- أسس النهضة والتقدم الاقتصادي في السيرة، جامعة الإمام، (١٤٣٠هـ).
- ٣٣- أحكام التعامل مع اليهود في السيرة النبوية، دراسة مقارنة بالقانون الدولي، جامعة أم درمان (٢٠١٢م)
- ٣٤- أثر التدريس بالخرائط المفاهيمية والسرديات القصصية في تحصيل السيرة النبوية، جامعة عمّان، (٢٠١٠م).
- ٣٥- الوثائق السياسية في العهد النبوي، دراسة تحليلية، الجامعة الإسلامية (١٤١٥هـ).
- ٣٦- القيمة الغذائية والوقائية في الأشربة والأطعمة النبوية، جامعة الإيمان، صنعاء.
- ٣٧- الكتمان ومفهومه في السيرة النبوية، جامعة الإيمان، صنعاء.

٣٨- العلاقات الدولية في السيرة النبوية، دكتوراه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.

٣٩- العلاقة بين دولة الرسول ﷺ والقبائل حول المدينة (١-١١)، دكتوراه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات.

٤٠- العلاقات الإنسانية في عصر الرسول ﷺ وأثرها في نشر الإسلام، جامعة أم درمان (٢٠٠٣م).

٤١- العدل والرحمة في الجهاد في العهد النبوي، جامعة أم القرى.

٤٢- أخلاق النبي ﷺ وأثرها في قبول الإسلام ونشره، جامعة أم القرى،

٤٣- دلائل النبوة وأثرها على نشر الإسلام وثبات المسلمين، جامعة أم القرى.

ومن الأبحاث المحكمة:

١- السيرة النبوية، أهميتها، ومنهج دراستها، د. محمد بن صامل السلمي.

- ٢- مسائل في منهج دراسة السيرة النبوية، د. محمد بن صامل السلمي.
- ٣- منهجية التأليف في السيرة النبوية عند ابن كثير، د. عبد الرحمن السنيدي.
- ٤- مراجعات ابن كثير ونقده لمتون مرويات السيرة النبوية، د. عبد الرحمن السنيدي.
- ٥- مرافق المدينة في عهد النبي ﷺ من خلال وفاء الوفاء للسهمودي، د. حصة الشمري.
- ٦- المسائل العقدية في روايات وفد نجران، د. عبد الرحيم السلمي.

خامسا: تدريس السيرة النبوية في كثير من الجامعات والأقسام العلمية تنوعت منهجية الدراسة للسيرة النبوية في الجامعات بين المعرفة التاريخية، وفقه السيرة لاستنباط الأحكام والتوجيهات والدروس والعبر الإيمانية والتربوية، ومن ثمّ أعدت مقررات وكتب تخدم المادة، وتثري محتوياتها، مع ما يصاحب ذلك من البحوث والزيارات الميدانية، لمشاهدة مواقع أحداث السيرة على الطبيعة، وإعداد الخرائط والأشكال المفاهيمية والرسوم المُقرّبة لمعانيها وفهمها، ومن تلك المقررات:

١- السيرة الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة، د. أكرم العمري. الجامعة الإسلامية.

٢\_ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، د. مهدي رزق الله، جامعة الملك سعود.

٣- صحيح الأثر وجميل العبر من سيرة خير البشر ﷺ، إعداد مجموعة من أساتذة جامعة أم القرى.

ومما يذكر في هذا الاتجاه مشروع الأطلس التاريخي للسيرة النبوية، الذي قامت عليه دار الملك عبد العزيز بالرياض، وهو مشروع كبير،

وقد أجريت عشرات اللقاءات والندوات بين المتخصصين لمناقشة أمكنة السيرة ومسارات الغزوات والسرايا ومواقعها، والزيارة الميدانية لأماكنها، وجمع المادة العلمية عن كل غزوة، أو موضع وقعت فيه حادثة من حوادث السيرة، وسيخرج إن شاء الله في عدة منتجات ورقية، وإلكترونية، ورسوم متحركة، ويترجم لعدد من اللغات الحية.



## كتب السيرة المفردة

د. يوسف علي حسن بدر

## بين يدي البحث:

تعتمد دراسة السيرة النبوية على مصادر متنوعة، منها الأصلية ومنها التكميلية، فمن المصادر الأصلية في دراسة السيرة النبوية القرآن الكريم والحديث الشريف وكتب الدلائل والشمائل وكتب السيرة المختصة والتواريخ العامة، أما المصادر التكميلية فهي لا تختص بالسيرة أو التاريخ، بل تتناول موضوعات أخرى لكنها تفيد في حقل دراسة السيرة، مثل كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب الرجال والتراجم وكتب الجغرافية التاريخية وكتب الفقه وكتب الأنساب ومعاجم اللغة... إلخ.

ولا شك أن استيعاب هذه المصادر عند دراسة السيرة يعطي (أكمل صورة ممكنة) وهي صورة واضحة فيها كثير من التفاصيل. أما كتب السيرة المختصة فإنها تلي من حيث الدقة القرآن الكريم والحديث الشريف، ومما يعطيها قيمة علمية كبيرة أن أوائلها كتبت في وقت مبكر جدا، وعلى وجه التحديد في جيل التابعين حيث كان الصحابة موجودين فلم ينكروا على كتاب السيرة؛ مما يدل على إقرارهم

لما كتبه، والصحابة على علم دقيق وواسع بالسيرة لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، وكانت محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وتعلقهم به ورغبتهم في اتباعه وأخذهم بسنته في الأحكام سببا في ذبوع أخبار السيرة ومذكراتهم فيها وحفظهم لها، فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام.

وفي هذه الورقة يذكر الباحث نماذج من الكتب التي أفردت للسيرة النبوية، وقد يكون في بعضها استطراد بذكر الخلفاء الراشدين مختصرا. وسيكون ذلك في أربعة مباحث.

## المبحث الأول:

علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم المهتمون بالسيرة:

(لقد حفظ الله تعالى سيرة نبيه صلى الله عليه وسلم من الضياع والتحريف والمبالغة والتهويل بأن هيا لها جهاذة المحدثين ليُعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى قبل أن تتناولها أقلام المؤرخين والقصاصين، وهذه ميزة لمصادر السيرة لم تتوافر لغيرها من كتب التاريخ والأخبار. ميزة لكون المحدثين ثقات مأمونين في الرواية، وميزة لكونهم علماء لهم مناهج واضحة في نقد الروايات سندا ومتنا، ولهم أسلوب يتسم بالجدية والبعد عن الحشو والمبالغة<sup>(١)</sup>).

وذكرت كتب التراجم أسماء عدد من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن تلاهم ووصفتهم بالعلم بالسيرة والاهتمام بها، مثل:

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية.

المؤلف: د. أكرم ضياء العمري. الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة:

السادسة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

١ - عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص والبراء

بن عازب. ومن التابعين ومن بعدهم:

٢ - عكرمة مولى ابن عباس الذي قال عنه الطحاوي "عكرمة

مولى ابن عباس والزهري عليهما يدور أكثر أخبار المغازي".

٣ - أبو إسحق عمرو بن عبد الله السَّبيعي (ت ١٢٧ هـ).

٤ - يعقوب بن عتبة بن المغيرة المدني (ت ١٢٨ هـ).

٥ - داود بن الحسين الأموي (ت ١٣٥ هـ).

٦ - وعبد الرحمن بن عبد العزيز الحنفي (ت ١٦٢ هـ).

٧ - محمد بن صالح بن دينار (ت ١٦٨ هـ).

٨ - عبد الله بن جعفر المخرمي المدني (ت ١٧٠ هـ).

وهؤلاء لم تصرح المصادر بتأليفهم كتباً في السيرة بل أشارت إلى

عنايتهم واهتمامهم بالتحديث بها<sup>(١)</sup>.

(١) السيرة النبوية الصحيحة.

## المبحث الثاني:

### مصادر السيرة النبوية في القرون الثلاثة الأولى<sup>(١)</sup>:

إن التبكير في كتابة السيرة قلل - إلى حد كبير - من احتمال تعرضها للتحريف أو للمبالغة والتهويل أو للضياع. وهم:

١ - أبان بن عثمان بن عفان (ت ١٠١ - ١٠٥ هـ) وهو محدث ثقة من التابعين.

٢ - عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤ هـ) وهو محدث ثقة من التابعين، ويعد أحد الفقهاء السبعة المشهورين في المدينة. جمع الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الأعظمي مرويات عروة من رواية أبي الأسود عن عروة فقط، ونشرت من قبل مكتب التربية العربي لدول الخليج. وقد نص على تأليف عروة في المغازي كل

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (ص ٤٧ - ٦٩)

من ابن النديم (الفهرست ١٢٣) والذهبي: (سير أعلام النبلاء

٦ / ١٥٠) وابن حجر: (فتح الباري ٥ / ٣٣٣) وغيرهم<sup>(١)</sup>.

٣- عامر بن شراحيل الشعبي (ت ١٠٣ هـ). وهو محدث ثقة له كتاب المغازي.

٤- عصام بن عمر بن قتادة (ت ١١٩ هـ) وهو محدث ثقة.

٥- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) وهو من

كبار المحدثين في عصره وثقة الجهابذة من علماء الجرح والتعديل،

وهو أول من استخدم طريقة جمع الأسانيد ليكتمل السياق

وتتصل الأحداث دون أن تقطعها الأسانيد، وقد انتقد الزهري

لتلفيقه الحديث أحيانا عن عدد من شيوخه دون أن يُفرد حديث

كل واحد منهم عن الآخر، لكن هذا الانتقاد الذي حكاه القاضي

(١) رجح محقق مغازي ابن عقبة أن عروة بن الزبير لم يؤلف كتابا مستقلا في المغازي، بجمع

الحسن بن عثمان الزيادي (ت ٢٤٣ هـ) لمغازيه، ثم ذكر أن الدكتور عادل عبد الغفور جمع

ما روي عنه في المغازي وأخرجها في أطروحة دكتوراه في الجامعة الإسلامية ١٤١٣ هـ في

نحو ٩٩٠ صفحة. ص ١٠٧.

عياض عن القدامى رده كبار العلماء مثل النووي والعراقي،  
حيث أوضح أن عمله جائز ما دام قد بين ذلك وما دام الجميع  
ثقات<sup>(١)</sup>.

- ٦- شرحبيل بن سعد المدني (ت ١٢٣) وهو صدوق اختلط  
بأخرة. وقد خرج ابن خزيمة وابن حبان حديثه في صحيحيهما،  
وقال ابن عيينة: لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدرين منه.
- ٧- يزيد بن هارون الأسدي المدني (ت ١٣٠ هـ) تابعي ثقة،  
ألف في المغازي معتمدا على عروة والزهري، يروي عنه ابن  
إسحق.
- ٨- عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥ هـ)، وهو  
محدث ثقة من التابعين.

---

(١) قال محقق مغازي ابن عقبة: لم يصلنا من مغازي الزهري شيء - يريد من تأليفه - وقد  
عمد إلى جمع المرويات عنه الدكتور محمد بن محمد عواجي في مجلدين وسماه مرويات الإمام  
الزهري في المغازي. ط الجامعة الإسلامية في المدينة ١٤٣٠ هـ. ص ١٠٩.



٩- موسى بن عقبة (ت ١٤٠ هـ) وهو محدث ثقة من تلاميذ

الزهري، وقد أثنى الإمام مالك على كتابه في المغازي وقال إنه أصح المغازي. وقال يحيى ابن معين: "كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب". وقال الإمام الشافعي: "ليس في المغازي أصح من كتاب موسى بن عقبة مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره".

قلت: قد طبعت مغازي موسى بن عقبة في الهيئة العامة للعناية بطباع ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية في الكويت. في ثلاثة مجلدات: الأول منها دراسة عن كتب السيرة عموماً وعن هذا الكتاب ومؤلفه خصوصاً، ووصف نسخته الخطية، والمجلدان الآخران في تحقيق الكتاب الذي وجد منه من أثناء تحويل القبلة إلى أثناء خطبة الوداع. وحققه محمد الطبراني وطبع ١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م.

١٠- سليمان بن طرخان التيمي أبو المعتمر (ت ١٤٣ هـ) وهو

محدث ثقة من التابعين، ويعتبر من علماء الجرح والتعديل، وقد

اطلع الحافظ ابن حجر على سيرته. له كتاب (السيرة الصحيحة) مفقود إلا قسماً. قلت: قال محقق مغازي موسى بن عقبة إن منه قطعتين، مطبوعة ومخطوطة (ص ١٠٠)

١١ - معمر بن راشد (ت ١٥٣ هـ) وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهري أيضاً. "كان من أوعية العلم مع الصدق والتحري والورع والجلالة وحسن التصنيف".

١٢ - محمد بن إسحق (ت ١٥١ هـ)، وكتابه: "السيرة والمبتدأ والمغازي" من تلاميذ الزهري، إمام في المغازي لكن مروياته لا ترقى إلى درجة الصحيح بل الحسن بشرط أن يصرح بالتحديث لأنه مدلس. إن رواية السيرة عن ابن إسحق هم:

أ. زياد بن عبد الله البكائي - ومن طريقه رواها ابن هشام، وسيرة ابن هشام تهذيب لسيرة ابن إسحق، حيث حذف ابن هشام منها كثيراً من الإسرائيليات والأشعار المتحولة وأضاف إليها معلومات في اللغة والأنساب، مما جعلها - بعد التهذيب

- تنال رضا جمهور العلماء فليس من مؤلف بعده إلا كان عيالا عليه. والحق أن الصورة التي تعطيها مغازيه عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة مما يعطي سيرته توثيقا كبيرا<sup>(١)</sup>. وقد شرح سيرة ابن هشام الحافظ السهيلي (ت ٥٨١ هـ) في كتابه "الروض الأنف" وهو مطبوع<sup>(٢)</sup>. كما اختصر سيرة ابن هشام عدد من أهل العلم منهم عماد الدين الواسطي (ت ٧١١ هـ) ومحمد بن عبد الوهاب (ت ١٢٠٦ هـ) وعبد السلام هارون (ت ١٤٠٨ هـ)، رحمهم الله وغيرهم.

(١) طبعت بتحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، في مطبعة البابي

الخلبي، وأعدت صفها بنفس التحقيق عدة مطابع أجودها دار ابن كثير. دمشق.

(٢) قلت: قال محقق مغازي ابن عقبة: على شدة خطر الكتاب -يعني ابن إسحاق- وقيمته

فقد زواه التهذيب الهشامي عن التداول الواسع، فلم تصلنا منه إلا قطعتان حققها د. محمد

حميد الله ونشره معهد الدراسات والأبحاث والتعريب بالرباط ١٣٩٦ هـ، ونشرته أفضل

من نشرة الدكتور سهيل زكار. ص ١٠١.

ب. وبكر بن سليمان - ومن طريقه يروي خليفة بن خياط في

التاريخ -

ت. وسلمة بن الفضل الأبرش -.

ث. ويونس بن بكير (ت ١٩٥ هـ) - ويرى ابن حجر أنه

صدوق يخطئ

ج. وإبراهيم بن سعد الزهري (ت ١٨٥ هـ) - ومن طريقه يروي

أحمد بن محمد بن أيوب صاحب المغازي - وهي الرواية التي

اقتبس بواسطتها الحاكم النيسابوري في المستدرک. -

ح. وهارون بن أبي عيسى - حيث اعتمد ابن سعد على روايته -

خ. وعبد الله بن إدريس الأودي - ومن طريقه أخذ ابن سعد

أيضا.

د. ويحيى بن سعد الأموي الذي تحصل على المغازي عن ابن

اسحق سماعا وزاد فيها. وتوجد بعض الاختلافات بين هذه

الروايات للسيرة، مما يدل على أن ابن إسحق كان ينقح في

سيرته مع الأيام. ويبدو أن رواية يونس بن بكير من أقدم هذه الروايات، وأن البكائي حمل نسخة كان ابن إسحق قد نقحها.. الخ

١٣ - محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧ هـ). وهو ضعيف عند المحدثين مع غزارة مادته العلمية، ويقدم أحيانا إضافات على سيرة ابن إسحق، ويبيد رأيه في الروايات ويرجح بينها. ولم يقتصر على ما في الكتب بل تتبع مواضع الأحداث التاريخية بنفسه ووصفها، ولا تصلح مروياته للاحتجاج بها فيما يتعلق بالعبادة والشريعة، ولكنها تنفع في وصف تفاصيل الأحداث مما لا يتصل بالعبادة والشريعة، خاصة إذا لم يخالف الأخبار الصحيحة.

وقد دافع ابن سيد الناس عن الواقدي فقال: "إن سعة العلم مظنة لكثرة الإغراب، وكثرة الإغراب مظنة للتهمة، والواقدي غير مدفوع عن سعة العلم فكثرت غرائب". ومال إلى صدقه الحافظ ابن كثير

فقال: "الواقدي عنده زيادات حسنة وتاريخ محرر غالباً، فإنه من أئمة هذا الشأن الكبار، وهو صدوق في نفسه مكثار"<sup>(١)</sup>.

١٤ - المغازي<sup>(٢)</sup> لعبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)

وهو من جملة المصنف وأفردت بالذكر قديماً. كما جرد سهيل زكار من المصنف مرويات عبد الرزاق عن معمر عن ابن شهاب في المغازي في سُفير صغير. وتكاد تكون في مجملها من مغازي معمر بن راشد.

١٥ - محمد بن عائذ الدمشقي (ت ٢٣٤هـ) محدث ثقة. سمع

الحافظ الذهبي معظم كتاب المغازي له. وقرأ الحافظ ابن حجر جزءاً منتقى من مغازيه.

---

(١) قال محقق مغازي ابن عقبة: حققها مارسدن جونسون ومن طبعتها طبعة عالم الكتب.

ص ١٠٣.

(٢) محقق مغازي ابن عقبة ص ١٠٤.

- ١٦ - علي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ) ورد في ترجمته ما يدل على صدقه في الأخبار. قال عنه الطبري: "كان عالما بأيام الناس صدوقا في ذلك"
- ١٧ - صالح بن إسحق الجرمي النحوي (ت ٢٢٥ هـ) "كان جليلا في الحديث والأخبار، وله كتاب في السيرة عجيب".
- ١٨ - وإسماعيل بن جميع (ت ٢٧٧ هـ) في كتابه (أخبار النبي ومغازيه وسراياه).
- ١٩ - سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي (ت ٢٤٩ هـ) محدث ثقة صنف المغازي.
- ٢٠ - أحمد بن الحارث الخراز (ت ٢٥٨ هـ) في كتابه (مغازي النبي وسراياه وأزواجه).
- ٢١ - عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه (المغازي) وهو صدوق يخطئ.

٢٢- إبراهيم بن إسماعيل العنبري الطوسي (ت ٢٨٠ هـ) في

كتابه (المغازي).

٢٣- إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ هـ) في كتابه

(المغازي).



## المبحث الثالث:

مختارات من كتب السيرة المفردة بعد القرن الثالث إلى القرن

## العاشر

١- الدرر في اختصار المغازي والسير. لابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) وهو من أعلام المحدثين في عصره، وقد اعتمد على سيرة ابن إسحق وسيرة موسى بن عقبة وتاريخ ابن أبي خيثمة إضافة إلى كتب الحديث، ولم يصرح بالنقل عن الواقدي إلا في موضع واحد، لكنه أشار إلى روايته لمغازيه، وقد صرح بمتابعة ابن إسحق في البناء العام لكتابه، ولم يتقيد بذكر الإسناد كثيرا. طبع بتحقيق: الدكتور شوقي ضيف. نشرته وزارة الأوقاف المصرية. الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٢- جوامع السيرة. لابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) وقد تخلى عن طريقة ذكر الأسانيد ولم يشر إلى مصادره - لكنه صرح

بالنقل عن خليفة بن خياط في ثلاثة مواضع، وعن تاريخ أبي حسان الزيادي في ثلاثة مواضع أيضا، وعن الدرر لابن عبد البر في موضع واحد، ورأى محققو كتابه أنه نقل عن الدرر كثيرا بتصريف وقطع بذلك شوقي ضيف-، ورجح بين الروايات وأثبت في كتابه ما اختاره وحقق في تواريخ الأحداث، وغلبت عليه طريقة التلخيص فجرد السيرة من الأشعار والقصص.

٣- "الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم"<sup>(١)</sup>،  
للحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) وهو كتاب محقق ومنشور حقيقه  
مجموعة من الباحثين، ونشرته دار ابن كثير بدمشق وبيروت،  
وكذا مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة. والمتأمل في الكتاب يجد أنه  
احتوى على موضوعات كثيرة ومفيدة في سيرة الرسول صلى الله  
عليه وسلم منها: "ذكر نسبه صلى الله عليه وسلم، والهجرة،

(١) انظر: مصادر السيرة النبوية. ضيف الله بن يحيى الزهراني. مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف بالمدينة المنورة ص ٤١.

والجهاد، والمغازي، والبعوث، وأحواله وشيئله وخصائصه  
 صلى الله عليه وسلم، وركز ابن كثير على خصائص الرسول  
 وجعلها في قسمين مهمين "ويكاد ينفرد ابن كثير في كتابه هذا  
 بذكر خصائص الرسول عن غيره من مؤلفي السيرة

٤ - السيرة الحلبية. لبرهان الدين الحلبي (ت ٨٤١ هـ) فيه

حشو وقصص إسرائيلي. وقد حذف أسانيد الروايات واكتفى  
 بذكر راوي الخبر وشرح بعض الغريب وإضافة تعليقات أخرى.

٥ - "إمتاع الأسماع بما للرسول صلى الله عليه وسلم من الأبناء

والأموال والحفدة والمتاع" لتقي الدين أحمد بن علي  
 المقرئ (ت ٨٤٥ هـ)<sup>(١)</sup>. قد تضافرت الجهود العلمية على تحقيقه

من قبل ثلاثة من العلماء كل واحد منهم قام بجهد منفرد، وقد

اشتمل الجزء الأول من الكتاب على موضوعات عديدة منها:

(١) انظر: مصادر السيرة النبوية. ضيف الله بن يحيى الزهراني. مجمع الملك فهد لطباعة

المصحف الشريف بالمدينة المنورة ص ٤٣.

ذكر أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبه، وأسرته وأحداث السيرة إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، أما بقية معلومات الكتاب فكانت تدور حول أبناء الرسول وبناته وأبنائهم، ثم تناول سلالة آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أزواجه ونسب أزواجه وأهلهن وأسرهن بالكامل، ثم تناول الكتاب بعض الأمور الشخصية للرسول صلى الله عليه وسلم في ملبسه وخدامه وسلاحه وطيبه وفراشه وخلاف ذلك.

٦- "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية"، للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)<sup>(١)</sup> وهو من الكتب المتخصصة في السيرة النبوية، كتاب موسوعي شامل فيه استقصاء عجيب وجيد، وفيه إلمام واسع بأمور المصطفى صلى الله عليه وسلم. والقارئ لكتابه يدرك بأنه جمع بين أحداث السيرة النبوية والحديث عن أخلاق

(١) انظر: مصادر السيرة النبوية ص ٤٦ حققه صالح الشامي في أربعة أجزاء، وصدر عن

المكتب الإسلامي في طبعته الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.

الرسول وخصائصه صلى الله عليه وسلم، أي الشمائل النبوية. وقد اعتمد على أربعة مصادر تقريباً في دراسة كتابه منها: الشفا للقاضي عياض، وفتح الباري لابن حجر، وكتاب زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم. وعيون الأثر لابن سيد الناس، وغيرها من المصادر.

٧- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الصالحى الدمشقى الشامى (ت ٩٤٢ هـ) "انتخبها من أكثر من ٣٠٠ كتاب. وهو كتاب ضخيم خرج في اثني عشر مجلداً ١هـ.

---

(١) قام بتحقيقه عادل أحمد عبدالموجود، والشيخ علي فهد معوض، وقد صدر الكتاب عن دار الكتب العلمية ببيروت في طبعته الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. انظر السابق ص ٤٩

## المبحث الرابع:

### مختارات من كتب السيرة في القرنين الأخيرين:

- ١- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين. الشيخ محمد الخضري (ت ١٣٤٥هـ) طبع طبعات كثيرة لعل من أجودها طبعة عبده علي كوشك رحمه الله.
- ٢- خلاصة السيرة المحمدية، وحقيقة الدعوة الإسلامية وكرامات الدين وحكمه. تأليف السيد محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) وهو على وجازته نبه على ما أشار إليه في عنوان كتابه. طبعه المكتب الإسلامي بإشراف محمد زهير الشاويش.
- ٣- الدروس الأولية في السيرة النبوية. العلامة محمد شاکر وکیل الجامع الأزهر (ت ١٣٥٨هـ) وهو كتاب مختصر قسمه إلى ٢٤ درسا، منها ١٨ في السيرة وما يتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبقيتها عن الخلافة الراشدة ثم اختصر تاريخ

الإسلام إلى دولة مصر الحديثة. وقد طبع قديماً في ١٣٢٦هـ ثم أعاد مركز الراسخون ودار الظاهرية في الكويت طباعته مع شيء من العناية.

٤- سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. حسب منهج وزارة المعارف السعودية للمرحلة الابتدائية سنة ١٩٥٣هـ تأليف عمر عبد الجبار، وهو مختصر كذلك، وأعادت طباعته جمعية آيات في الكويت.

٥- السيرة النبوية دروس وعبر، وهو كتاب صغير الحجم اعتنى فيه مؤلفه الدكتور مصطفى السباعي (ت ١٣٨٤هـ) بمواقف من السيرة استخرج منها دروساً توبوية ودعوية. وطبع مراراً، من أحسن طباعته طبعة دار الوراق في بيروت.

٦- فقه السيرة النبوية. محمد الغزالي (ت ١٤١٦هـ) ولعله يقصد الفقه الحركي والدعوي المستنبط من السيرة النبوية، وقد استفاد كثير ممن ألف بعده من تأملاته في كتابه. وطبع مرات،

- وربما كانت طبعة دار القلم بدمشق من أحسن طبعاته. وقد حكم على أحاديث الكتاب الشيخ الألباني رحمه الله بطلب من المؤلف.
- ٧- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة. الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي. وقد اعتنى باستخراج الأحكام الفقهية وغيرها من أحداث السيرة، كما رد على بعض شبهات المستشرقين حول شخصية رسول الله وبعض مواقفه.
- ٨- الرحيق المختوم. لصفي الرحمن المباركفوري (ت ١٤٢٧هـ) وهو الكتاب الفائز في مسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي، ويكاد يكون أشهر كتب السيرة المتداولة اليوم، وطبع طبعات كثيرة جدا، وكتب له القبول، وهو يذكر أحداث السيرة مستعينا بكتب السنة وكتب السيرة القديمة، كما يستعين ببعض الكتب المعاصرة مع شروح السنة وكتب التفسير في استخراج الدروس والعبر. وللمؤلف كتاب أخصر منه سماه: روضة الأنوار، وكتاب أوسع منه بالمشاركة، ضمنه



السيرة والدلائل وبشارات الكتب السابقة وغير ذلك، وسماه "وإنك لعلى خلق عظيم". وطبعت وزارة الأوقاف بالكويت مختصره في ٣ أجزاء لطيفة.

٩- السيرة النبوية في فتح الباري. جمع وتوثيق محمد الأمين الشنقيطي، في ثلاثة مجلدات كبار، وهو كتاب مليء بالتحقيق والتوثيق والمقارنة.

١٠- دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة. الدكتور عبد الرحمن الشجاع. أظهر فيه سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ببناء تربوي وإداري منظم. ورجع في كتابته إلى مئات المصادر والمراجع. طبع في صنعاء.

١١- السيرة النبوية. عرض وقائع وتحليل أحداث. الدكتور علي الصلابي. وهو كتاب حافل جمعه من مصادر ومراجع كثيرة، أراد مؤلفه أن يكون مستوعبا لأحداث السيرة ولكثير من

الدروس المستفادة منها. وطبع مرارا، لعل أجود طبعته دار ابن كثير بدمشق في مجلدين.

١٢ - اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون. لموسى بن راشد العازمي. ورغم أن الكتاب يقع في ٤ مجلدات إلا أن طبعته كانت تنفذ سريعا، لاستيعابه أكثر أحداث السيرة، وقد ظل في تأليفه عشر سنين كما قال ذلك في لقاء له مسجل.

ولا شك أن استيعاب الكتب المؤلفة في السيرة النبوية يعسر إن لم يتعذر، ولكن هذه اختيارات أرجو أن أكون قد وفقت في انتقائها، وليس فيما لم يذكر من الكتب نقص عما ذكر، غير أن الوقت ومحدودية البحث فرضت الاقتصار على ما ذكر هنا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

د . يوسف علي حسن بدر.

# المنظومات السيرية أصولها وفصولها

إعداد

د. محمد محمود بن جلال الطلبة

### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد؛

فقد كانت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مبثوثة في القرآن الكريم ومحفوظة في صدور من شرف بصحبته صلى الله عليه وسلم من الناس، وعن أولئك الصحابة رضوان الله عليهم نقلها التابعون وأتباعهم؛ ولم يأل القوم جهدا في حفظها وضبطها، فقد كانوا يحفظونها كما يحفظون السورة من القرآن، ويعلمونها أبناءهم، حتى قال علي بن الحسين رضي الله عنه: " كنا نُعلم مغازي النبي صلى الله عليه وسلم كما نُعلم السورة من القرآن"، و كانوا يعدونها مآثر الآباء وزينة الأنداء، قال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: " كان أبي يعلمنا المغازي ويعدها علينا"، ويقول: " يا بني هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوها".

ثم جمع العلماء تلك السيرة، فمنهم من أوردتها في ثنايا كتبه، ونقلها بسنده، كالأئمة المحدثين المعروفين بعدالتهم وضبطهم؛ ومنهم من أفردها بمصنفات تضمّنت أصول مباحثها فصول مسائلها، وأقصد بأصول مباحث السيرة: شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، ومغازيه،

وخصائصه، ودلائل نبوته. ولما كانت المتونُ التنظيميةُ أُعلِقَ بالنفس، وأبقى في ذهن الطالب كما قال ابن عاصم الأندلسي في مقدمة كتابه مرتقى الأصول:

وبعدُ فالعلمُ أجْلٌ مُعتنى، به وكلُّ الخير منه يُجْتنى،  
والنظمُ مُدِنٌ منه كلُّ ما قصي، مذلٌّ من ممتطاه ما اعتصى،  
فهو من النثر لفهم أسبقُ ومقتضاه بالنفوس أعلَقُ

فقد قامت طائفةٌ أخرى من العلماء بجمع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في متون منظومة، جامعة وماتعة، ظلَّت على مرِّ الأيام معينا عذبا ينهل منه طلابُ السيرة ويسقي منه العلماء والمربون؛ وهذه الورقة البحثية تسعى إلى جمع تلك المنظومات وبيان أقسامها وخصائصها، فالله يوفق ويعين.

## المبحث الأول: مقدمات ممهّدة

### المطلب الأول: مفهوم السيرة النبوية وفوائدها

#### الفرع الأول: مفهوم السيرة النبوية

السيرة لغةً: الطريقة، والهيئة، أي هيئة السير وطريقته وحالته، وبه فسر قوله تعالى: {سنعيدها سيرتها الأولى} (طه: ٢٧)، ومن هذا المعنى أخذت السيرة النبوية، وأدخل فيها لفظ الغزوات وغير ذلك، إلحاقاً أو تأويلاً (١).

والسيرة النبوية اصطلاحاً: هي دراسة طريقة حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومعرفة كل آثاره وأخباره، وأطواره، ومعرفة صفاته الخلقية والخلقية ودلائل نبوته، وكل ما يتعلّق بحياته صلى الله عليه وسلم من قبل ولادته إلى ما وفاته، وتشمل كذلك دراسة أخبار أصحابه رضوان

---

(١) راجع تاج العروس، بغية الأبرار في شرح قرة الأبصار للشيخ محمد الحسن الخديم (ص: ٤).

الله عليهم الذين أزروه ونصروه من المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم، ومعرفة مناقبهم.

### الفرع الثاني: فوائد السيرة النبوية

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم جليلة النفع، ومحبوبة بالطبع، ومرغبة بها في الشرع؛ فيها يعرف رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وشأنه الحسان، فتثمر تلك المعرفة محبته صلى الله عليه وسلم في قلب المؤمن به، ذلك أن محبته صلى الله عليه وسلم شرط في الإيمان. وبها يزيد الإيمان بصدق رسالة رسول صلى الله عليه وسلم، إذ قد تضمنت السيرة الثابتة إخباره صلى الله عليه وسلم بكثير من المغيبات التي وقعت، كالإخبار بفتح كنوز كسرى وقيصر وإنفاقهما في سبيل الله. وبها يحصل الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه في الصبر على طاعة الله وعلى قضاء الله وقدره، وبها يعرف هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور

كلها وخاصةً في معاملة الخلق، والوقوف على كمال عدله ورحمته ورأفته بهم<sup>(١)</sup>.

### المطلب الثاني: تدوين السيرة النبوية

سارع التابعون وأتباعهم إلى تدوين سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وحفظها قبل أن تذهب بذهاب الصحابة، فوصلوا بذلك حبلَ المحبة والاتباع، وكان أول من كتب في السيرة عروة بن الزبير رضي الله عنه المتوفى سنة ٩٢ هـ، وأسمى كتابه في السيرة: "مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ثم تتابع الناس فيما بعد، فألف ابن إسحاق مغازيه المعروفة بـ "سيرة ابن إسحاق"، وقد خدمها واختصرها ابن هشام فأصبحت معروفةً بـ «سيرة ابن هشام»، وشرحها السهيلي المسمى بـ "الروض الأنف"، وألف الترمذي "شئائل النبي صلى الله عليه وسلم"، وألف للقاضي عياض كتاب "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" وألف ابن

---

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (١١ / ١١٤).



دحية السبتي "نهاية السؤل في خصائص الرسول"، و البيهقي "دلائل النبوة".

وقد كان للمحدثين من تدوين السيرة نصيبٌ وافر، بيد أنهم لم يفردوها بالتأليف وإنما خلطوها بغيرها، فتجد البخاري - مثلاً - في صحيحه يذكرها في كتاب بدء الخلق، وفي كتاب أحاديث الأنبياء، وكتاب المغازي، وكتاب المناقب والفضائل<sup>(١)</sup>.

وسن الطبري في تاريخه طريقةً تعنى بسرد أحداث السيرة مجردة من أسانيدها، مع كثير من التساهل في الراوي والمروي، وتبعه ابن الأثير في تاريخه، وكذا الذهبي في تاريخ الإسلام، والحافظ ابن كثير في مختصره في السيرة، وابن سيد الناس اليعمري في كتابه "عيون الأثر في المغازي والشمال والسير"، وغيرهم، إلا أن ابن سيد الناس كان من أحسن هذه الكتب وأدقها تعبيراً وأحسنها ترتيباً، وقد خدمه من جاء بعده اختصاراً ونظماً.

(١) مصادر السيرة النبوية (ص: ١٧).

ثم أصبحت تلك سنةً ماضية في السيرة حتى قال الإمام أحمد: «ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازي»، ومراده أنه يغلب فيها رواية المراسيل، والمنقطعات، والبلاغات ونحوها<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثاني: المتون السيرية الجامعة

#### المطلب الأول: مباحث السيرة

الناظر في المنظومات السيرية يجدها تنقسم إلى قسمين: قسم جمع كل أو جُلَّ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في أنظام تفاوتت في القدر وفي كيفية الجمع، وقسم اختصَّ ببعض مباحث السيرة، فأفردتها بالنظم وبالتحقيق؛ وسأبدؤ أولاً ببيان المباحث التي حوتها المنظومات الجامعة، ثم أثني بالتعريف بها وبمؤلفيها تعريفاً مختصراً. يرجع ما جمعته هذه المنظومات إلى ستة أقسام:

**القسم الأول:** سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، ويذكرون فيه: أساءة الشريفة صلى الله عليه وسلم، ونسبه الطاهر صلى الله عليه

(١) راجع السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (١ / ٣٤).

وسلم، ومولده وإرضاعه صلى الله عليه وسلم، وشق صدره، ووفاة أمه صلى الله عليه وسلم، وكفالة جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب له صلى الله عليه وسلم، وقصة بناء الكعبة، ثم قصة زواجه صلى الله عليه وسلم من خديجة، وذكر أبنائه وبناته، وذكر أعمامه وعماته، وذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم.

**القسم الثاني:** سيرته بعد بدء الوحي، ويذكرون فيه نزول الوحي عليه بغار حراء وما قبل ذلك وما بعده من إرهاصات، وقدر إقامته بمكة بعد البعثة، ويذكرون السابقين للإسلام، واجتماع المسلمين بدار الأرقم، وذكر تأييده صلى الله عليه وسلم بمعجزة القرآن، وبانشقاق القمر، ويذكرون مشي قريش في أمره صلى الله عليه وسلم إلى أبي طالب، وخبر قدوم وفد نجران وقدوم ضماد بن ثعلبة وقدوم وفد الجن؛ ويذكرون أذى قريش لنبي الله وللمستضعفين، وقصة الهجرتين إلى النجاشي، وحصار بني هاشم في الشعب، وفاة عمه أبي طالب وزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ويذكرون قصة الإسراء، وذكر عرض النبي نفسه على القبائل وبيعة الأنصار له صلى الله عليه وسلم.

**القسم الثالث:** سيرته بعد الهجرة، ويذكرون فيها قصة الهجرة إلى المدينة ومروره صلى الله عليه وسلم بأم معبد ووصفها للنبي صلى الله عليه وسلم وصف هند بن أبي هالة له صلى الله عليه وسلم، وصفة خاتمه صلى الله عليه وسلم، ثم يذكرون وصوله إلى قباء ثم إلى المدينة، ويذكرون عدد مغازيه صلى الله عليه وسلم وعدد بعوثه وسراياه، وحجه وعمره صلى الله عليه وسلم، ويذكرون أمراءه كُتابه صلى الله عليه وسلم، ورسله إلى الملوك.

**القسم الرابع:** سيرته الخلقية، ويذكرون فيها خلقه صلى الله عليه وسلم في الطعام والشراب، وخلقته صلى الله عليه وسلم في اللباس، وخلقته صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، وخلقته صلى الله عليه وسلم مع بناته وأحفاده، وخلقته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، وخلقته صلى الله عليه وسلم مع جفاة العرب، وخلقته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين والمشركين. وذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم، وذكر خصائصه صلى الله عليه وسلم،

**القسم الخامس:** بيان ما يملكه صلى الله عليه وسلم: ويذكرون فيه فراشه صلى الله عليه وسلم، وطيبه وكحله صلى الله عليه وسلم، وخدامه

من الرجال والنساء مواليه صلى الله عليه وسلم، ويذكرون دوابه صلى الله عليه وسلم من أفراس ولقاح وجمال وبغال وحمير ومنايح وديكة، ثم يذكرون سلاحه صلى الله عليه وسلم، وأقداحه وآنيتة وركوته وسريره صلى الله عليه وسلم.

**القسم السادس:** خصائصه صلى الله عليه وسلم، ويذكرون فيها ما خصّه به الله تعالى من خصائص كونية كالإجلال والتعظيم فإنه ما رآه أحد قط إلا هابه، وما سائر أحدًا قط إلا طاله، وكالإكرام فإنه لم يكن يحس بجوع ولا بعطش مع وصال الصوم والله يطعمه الله ويسقيه، وكانت الغمامة تظله في مسيره في الصيف. ومن خصائص تشريعية وهي كثيرة جدًا، منها: ما يختص به وجوباً عليه، ومنها ما يختص به حرمة، ومنها ما يختص به إباحة.

ثم يختمون بذكر الوفود الذين وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم، وبذكر مرضه ووفاته صلى الله عليه وسلم، وسيرة خلفائه من بعد<sup>(١)</sup>.

(١) راجع سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٦ / ٣).

### المطلب الثاني: التعريف بالمنظومات الجامعة

أولاً: الفية العراقي في السيرة، المسماة الدرر "السنية في السير الزكية" للحافظ زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ هـ، وقد نظمها بالمدينة المنورة، وشرحها العلماء شروحا كثيرة، ومن أشهر شروحا عندنا شرح حفيده المناوي القاهري الشافعي. وقد اصطلح على تسميتها ب: "ألفية الإمام العراقي في السيرة" تميزا لها عن ألفيته في علوم الحديث. وقد بدأها العراقي بقوله:

يقول راجي من إليه المهرب	عبد الرحيم بن الحسين المذنب
أحمد ربي بآتم الحمد	وللصلاة والسلام أهدي
إلى نبيه وأرجو الله	في نوح ما سئلته شفاها
من نظم سيرة النبي الأجد	ألفية حاوية للمقصد،
وليعلم الطالب أن السير	تجمع ما صح وما قد أنكر،

والقصدُ ذكرُ ما أتى أهلُ السَّيرِ به، وإنَّ إسنادهُ لم يُعتَبَر (١)

ثانيا: منظومة ذات الشفا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء  
للشيخ المقرئ المحقق محمد بن محمد بن محمد بن الجزري الشافعي المتوفى  
سنة ٨٣٣ هـ، وهي نصف ألفية العراقي إذ تقع في ٥٠٠ بيتا تقريبا، لكنها  
مع ذلك زادت عليها بنظم سير الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان  
وعلى والحسن بن علي رضي الله عنهم، وكذا بذكر أهم ما جرى في عصر  
كل واحد منهم من الأحداث والفتوحات وشيء من أخلاقهم وصفاتهم  
رضى الله عنهم.

---

(١) راجع شرح المناوي على ألفية العراقي المسمى بالعجالة السنية (صك ١٦) - طبعة دار

وقد شرحها بعض العلماء منهم: الجلال السيوطي ومحمد ابن الحاج حسن الكردي في كشف الخفا. وقد بدأها ابن الجزري بقوله:

قال محمد بن الجزري، الحمد للمهيمن المقتدر،  
والشكر لله على ما قد هدى، من نظم سيرة النبي أحمدا،  
صلى عليه ربنا وسلم، وآله وصحبه وكرّما،  
وبعد إن خير شئ انتظم، سيرة خير مرسل إلى الأمم،  
وخلفائه الذين بعده الراشدين التابعين قصده<sup>(١)</sup>.

ثالثا: قرة الأبصار في سيرة المشفّع المختار للعلامة عبد العزيز بن عبد الواحد اللمطي المكناسي المتوفى سنة ٨٨٠ هـ، وهو نظم في حدود ٣٤٦ بيتا، وقد تناول مجمل سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جودة في التقسيم وجمال في السبك وخلو من الحشو. وهذا النظم أشهر المختصرات السيرية في الغرب الإسلامي عموما وعندنا في شنقيط

(١) انظر شرح ابن الحاج حسن الكردي - (ص: ١٢)، طبعة دار النهضة العربية، ١٩٨٧.



خصوصاً، فقد تداولته الكبارُ والصغارُ، وخدمه المشايخُ بالشرح والزيادة عليه، وقد قال الشيخ في مقدمته:

وَبَعْدُ فَاعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ مَا اقْتَفَى،      ذُو هِمَّةٍ سِيرَةٌ خَيْرٌ مَقْتَفَى،  
 وَهَا أَنَا أَذْكَرُ فِي هَذَا الرَّجْزِ،      مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ سِدَادٌ مِنْ عَوَزِ،  
 لِمَتَّبِعِي التَّحْصِيلِ مِنْ أُوْلِي الْهَدَى،      عَسَى بِنَفْعِهِمْ بِهِ أَنْ أُرْشَدَا،  
 سَمِيَتْهُ بَقْرَةٌ الْأَبْصَارِ      فِي سِيرَةِ الْمَشْفَعِ الْمُخْتَارِ<sup>(١)</sup>

رابعاً: نظم "مسرح الأفكار بسيرة النبي المختار للشيخ ماء العينين بن العتيق، وهو نظم شبيه بنظم بن الجزري في المحتوى وإن كان قد يكون أحسن منه سبكاً. يقول الشيخ في أوله بعد حمد الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

هَذَا وَذَا نَظْمٌ وَجِيزٌ اشْتَمَلُ،      بِالضَّبْطِ مِنْ سِيرَتِهِ عَلَى جُمْلُ،  
 فِي بَعْضِ مَا حَدَثَ فِي سَنِيهِ،      وَفِي جَدُودِهِ وَفِي بَنِيهِ،  
 وَمَا جَوَابُ الْأَصْدَقَا إِلَّا أَجْلُ

(١) بغية الأبرار في شرح قرة الأبصار للشيخ محمد الحسن الخديم (ص ٧).

طلبه مني صديق لي أجل<sup>(١)</sup>.

### المبحث الثالث: المنظومات السيرية المتخصصة

المطلب الأول: المنظومات الخاصة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم  
عني هذا القسم بضبط وجمع كل باب من أبواب السيرة في نظم خاص به،  
وذلك مثل نسبه الشريف صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وسراياه وبعوثه،  
والحوادث التي حدثت في حياته صلى الله عليه وسلم؛ وكل تلك الأنظمة أو  
جلها قد دبجها علماء القطر الشنقيطي رحمهم الله تعالى فأتوا من ذلك  
بالعجب العجيب، تحقيقا في المعنى وعدوبة في المبنى وجمعا لما تفرق وتقسما  
لما اختلط.

وقد قسمت هذه المنظومات - كما يظهر من العنوان - إلى قسمين: قسم  
خاص بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي سأذكره فيما يلي معرفا

(١) مخطوط بحوزتي

به وبمؤلفيه، مرتبا إياه بحسب كثرة الانتشار والاشتهار، وقسم خاص بسيرة أصحابه وسأذكره في المطلب اللاحق إن شاء الله.

أولا: نظم عمود النسب للعلامة أحمد البدوي المتوفى سنة ١٢٠٨هـ، وهو نظم جامع لنسب النبي صلى الله عليه وسلم وأنساب العرب، مع ذكر طائفة من ملح أخبارهم وأيامهم، وعدد أبياته: ١٢٧٢ بيتا. وقد نوه به علماء الغرب الإسلامي والمشرق وخدموه، يقول أحد عنه العلامة محمود شكري الألوسي في مقدمة شرحه له: "إني وجدت منظومة بديعة وأرجوزة كأنها عقود جمان، تتحلّى بفرائد فوائدها الأفواه والأذان، لم يسبق ناظمها إلى مثلها في عملها وعلمها. ويقول البدوي في مقدمة كتابه هذا:

وبعد فالعلوم من أعظمها فائدة فكان من أهمها  
علم عمود نسب المختار، ثم عمود نسب الأنصار،  
علم به يبحث عن نور النبي، إذ هو في منصبه المهذب،  
وبعد أن كان وعن صحابته وأهل مكة وأهل طابته<sup>(١)</sup>.

ثانياً: نظم الغزوات لأحمد البدوي المذكور سابقاً، وهو خاص ببيان  
غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع فيها، وكذا بعض بعوثه،  
وعدد أبيات النظم ٤٥٥ بيتاً؛ وقد شرح هذا النظم والذي قبله تلميذ  
الناظم وابن أخيه حماد بن ألمين رحمه الله تعالى أمين. ولما ظهر هذان  
النظمان انقطع الناس إليهما وجعلوهما كحل العيل وأنيس الفؤاد،  
وزهدوا في غيرهما، فعليهما أمارات الصدق لائحة، ومنها نسائم المحبة  
فائحة.

---

(١) راجع شرح عمود النسب للعلامة حماد بن ألمين (ص: ٣٣) بدون دار طباعة - ٢٠٠٢.  
ومقال للعلامة العراقي محمد بهجة الأثري ت ١٩٩٦ م خصصه للحديث نظم عمود النسب  
وشرحه، نشرته مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية صفحة ١٠٥ إلى ١١٠ سنة ١٩٢٣ م.

يقول البدوي في مقدمة نظمه الغزوات

وبعد فالعلم أهم ما الهمم،      تنافست فيه وخير مغتتم،  
 وخيره والعلم تسمو رتبته،      من فضل ما دل عليه  
 فهناك منها نبذة ليست تمل      سيرته، ولم تكن بمعظم  
 القصد      تخل<sup>(١)</sup>.

ثالثا: أنظام البعوث والسرايا، وهي أنظامٌ ثلاثة جمعت كل البعوث  
 والسرايا التي أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم للدعوة أو للقتال،  
 وللعلماء تفريق بين لفظ البعث والسرية، قال بعضهم:

بين "البعوث" و"السرايا" فرق،      عرفانه على الورى يحق،  
 ف"البعث" ما بعث طه الهادي،      في الدين مرشدا بلا عناد،  
 وبعثه رهطا إلى البرية      مقاتلا يدعونه السرية<sup>(٢)</sup>

(١) راجع روض الهات في شرح الغزوات لحماذ بن ألىن (ص ٢٠).

(٢) بغية الأبرار في شرح قرة الأبصار للشىخ محمأ الحسن الخألم (ص: ٥٣).

وهذه الأنظمة هي:

- نظم العلامة غالي بن المختار المتوفى في أواسط القرن الثالث عشر، وهو نظم يسمى بـ " وسيلة الخليل إلى بعوث صاحب الإكليل".

- نظم العلامة الحسن ولد ابا وسماه وسيلة الإرشاد إلى حقيقة بعوث الهاد في ٣١٢ بيتا.

- نظم العلامة قرابي بن أحمد يوره (١).

رابعا: نظم حوادث السنين: للعلامة ببها بن العاقل وزياداتنا لشيخنا ابا بن عبد الله حفظه الله تعالى، ومجموع أبياته ٢١٣ بيتا. وقد قال الناظم في أوله:

---

(١) راجع وسيلة الخليل - طبعة دار القبلة - ت ١٩٩١.

هذا وإني قد نظمتُ دررا، ذكرتُ فيها بعض ما كان طرا،  
من الطواري في حياة المصطفى صَلَّى عليه ربنا وشرفا.

خامسا: الأرجوزة الميئية في ذكر حال أشرف البرية لابن أبي العز المتوفى  
سنة ٧٣١هـ، وعدد أبياتها ١٠٠ بيت كما يظهر من عنوانها، وقد اشتهرت  
في المشرق وعم بها النفع.

سادسا: نظم طواريئ السنين العشرة للشيخ أحمد بن الفاضل، وهو نظم  
يتضمن أحداث السنوات العشر بعد الهجرة.

سابعا: نظم الهجرة النبوية للعلامة گراي ين أحمد يوره، وهو نظم جمع  
فيه الشيخ أحداث الهجرة النبوية كلها، ويقع في مائة وتسعة وعشرين  
بيتا

ثامنا: نظم خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم: وهو نظم جمعت فيه  
الشيخة أم الخيرات بنت أحمد المختار رحمها الله تعالى الخصائص الشرعية  
التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت في أوله:

الحمد لله الذي قد خصّنا، من خلقه ما شاء أن يخصّنا،  
 بما يشاؤه من الخيرات، فهو الكريم مجزل الهبات،  
 الفاعل المختار باليقين من غيرما شرك ولا  
 معين (١).

وقد شرح هذا النظم ابن أخيها العلامة أحمد بن أحمد المختار نزيل مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله تعالى شرحاً أسماه " وسائل القبول ونيل المأمون بشرح نظم أم الخيرات لخصائص الرسول صلى الله عليه وسلم.

تاسعا: منظومة جهد المقل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم: للشيخ عبد الله السالم بن حنبل المتوفى سنة ١٣٥٣، وهي منظومة في غاية الجمال والتحقيق، يقول الشيخ في أولها:

(١) راجع وسائل القبول ونيل المأمون - (ص: ٢٢)، طبعة دار الغرب الإسلامي - تاريخ



هذا ولما فاتنا مرأى النبي، وكان أسنى مطلبٍ  
 وكان في نعوته البهية، ومرغب،  
 قد دون الحفاظ منها جملا، مزية أعظم بها مزية،  
 جمعها كالجوهر المنظم، جليلاً تكسو الدراري  
 فقلت ناقلا عن الحفاظ، خجلاً،  
 قد كان أحسن الورى وأجملاً، برسم خدمة الجناب  
 وكان فخماً بادنا مفخماً، الأعظم،  
 ولا مكثها عظيم الهامة محافظا جهدي على  
 الألفاظ،  
 وكان أبهى صورة وأكملاً،  
 وكان ضرب اللحم  
 لامطهها،  
 ربعة قد في اعتدال القامة<sup>(١)</sup>.

(١) مخطوط بحوزتي.

عاشرا: فتح المجيب في شمائل الحبيب صلى الله عليه وسلم للأستاذ  
محمد بن أمّد، وهو أديب معاصر.

### المطلب الثاني: المنظومات الخاصة بسيرة الصحابة

جمع هذا القسمُ بعضاً من سيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناقبهم، وسأعرف به وبمؤلفيه فيما يلي:

أولاً: نظم أمهات المؤمنين وأزواجهن قبل النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ للعلامة محمد عال بن زياد رحمه الله المتوفى سنة ١٣٥٩هـ. ثانياً: نظم أسماء أهل بدر: لعبد الله بن سيدي محمود الملقب بـ"النهاه"، المتوفى سنة ١٢٥٥هـ، وقد جمع فيه الشيخ وضبط أسماء من حضر يوم من الصحابة.

ثالثاً: نظم الشهداء: للمرابط محمد بن متالي المتوفى سنة ١٢٨٧هـ وهو نظم عقد فيه الشيخ الشهداء في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. رابعاً: نظم شهداء بدر للشيخ الشريف محمد بن شيخنا محمد المختار بن امباله المتوفى سنة ١٤٣٣هـ.

خامساً: نظم أهل البقيع وشهداء أحد: نظم للشيخ محمد الحسن سيدي بن محمد امبارك القلقمي المتوفى، نظم فيه أهل البقيع وشهداء غزوة أحد.

سادسا: نظم المهاجرين إلى المدينة للعلامة قراي بن أحمد يورة المتوفى سنة ١٤٢١ هـ.

سابعا: نظم في الهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة للعلامة قراي بن أحمد يورة.

ثامنا: نظم نقباء الأنصار للشيخ محمد عال بن زياد رحمه الله تعالى.

تاسعا: نظم آخر من مات من الصحابة للقاضي محمد بن أحمد بن العاقل المتوفى سنة ١٣٨٥ هـ.

عاشرا: نظم في المؤاخاة بين الصحابة للعلامة باب بن أحمد بيَّب المتوفى سنة ١٢٧٦ هـ، وهو نظم فصل فيه المؤاخاة التي عقدها رسول الله بين أصحابه مرتين: مرة بمكة قبل الهجرة، ومرة بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار حين قدومه إلى المدينة بعد بنائه المسجد على المواسة والحق، فكانوا يتوارثون بذلك دون القرابات، حتى نزلت الآية: "وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله" <sup>(١)</sup>.

(١) راجع الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (ص: ٦٩). الناشر: الشركة الدولية للطباعة -

### الخاتمة

قدمت فيما تقدم مباحث حاولتُ فيها أن أفي بما وعدتُ به في التقديم؛  
 وها أنا في هذه الخاتمة أحاول أن أجمع للقارئ الكريم أهمّ النتائج  
 والخلاصات التي خلصتُ إليها من خلال هذا العمل البحثي المختصر،  
 ثم أثنى بذكر أهم التوصيات التي أوصى بها:

### النتائج:

- ١- التدوين السَّيرِي مبني على التساهل، ويقبل فيه ما لا يقبل في الحلال  
 والحرام، ولذا جمعت السيرة الصحيح والسقيم والضعيف والبلاغ  
 والمرسل والمنقطع والمعضل من المرويات.
- ٢- المؤلفات السيرية على قسمين: منشور سابق وهو الأصل، ومنظوم  
 لاحق وهو الفرع، لأنه نظم النشر وخدمه.

٣- المنظومات السيرية على قسمين: قسم جامع لعموم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقسم خاص بكل مبحث من مباحث السيرة.

٤- المنظومات السيرية الخاصة على قسمين: قسم خاص بنظم مباحث سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وقسم خاص ببعض مباحث سيرة أصحابه.

#### التوصيات:

١- يوصي البحثُ المؤسساتَ العلمية بإقامة دوراتٍ تثقيفية وتربوية تعرفُ الناسَ - وخاصةً الشبابَ - بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- يوصي البحثُ دورَ النشرِ والباحثين بخدمة منظومات السيرة النبوية بالتحقيق والطبع والنشر، وتعريف العامة والخاصة بها.

٣ يوصي المجامع الفقهية بعقد ندوات دورية تستخلص من السيرة النبوية أحكاماً وحِكماً تعين في نوازل العصر وواقعات الحياة.

## قائمة المصادر والمراجع

- ١- بغية الأبرار في شرح قرّة الأبصار- المؤلف محمد الحسن الخديم. (بدون درا وتاريخ)
- ٢- تاج العروس - المؤلف: مرتضى، الزبيدي - دار الفكر: ١٤٢٤ هـ.
- ٣- روض الهات على شرح نظم الغزوات - المؤلف حماد بن ألمين- الدار العالمية.
- ٤- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد- المؤلف: محمد بن يوسف- دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى ١٩٩٣ م
- ٥- السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، المؤلف: محمد بن سويلم أبو شُهبة- دار القلم - ١٤٢٧ هـ
- ٦- كشف الخفا- المؤلف: ابن الحاج حسن الكردي.
- ٧- شرح المناوي على ألفية العراقي - طبعة دار الكتب العلمية.
- ٨- مصادر السيرة النبوية - المؤلف: ضيف الله بن يحيى الزهراني

- ٩- مجلة المجمع العلمي العربي الدمشقية - سنة ١٩٢٣ م.
- ١٠- وسيلة الخليل - المؤلف غالي بن المختار - طبعة دار القبلة -  
ت ١٩٩١ .
- ١١- وسائل القبول ونيل المأمول - المؤلف أحمد المختار - طبعة  
دار الغرب الإسلامي - تاريخ النشر: ١٩٨٩ .
- ١٢- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط - المؤلف أحمد الأمين -  
الناشر: الشركة الدولية للطباعة ٢٠٠٢ م .



## ”السيرة النبوية والطفل”

د. علي محمد عمر المختار

## مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين  
نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين،  
كانت السيرة ولا تزال المعين الذي لا ينضب، للتطبيق الأمثل للقرآن  
الكريم وبيانه، فقد تكون في معناها مساوية للحديث الشريف من  
كونه: كلام الرسول ﷺ وفعله وتقريره وهيئته، وكلمة السيرة تساوي  
كلمة "الحياة" فسيرة شخص ما تعني حياته كلها بحلوها ومرها  
بأحداثها وردود الأفعال نحو هذه الأحداث، مما يجعلها صورة حية  
بأبعادها المتعددة تكشف جميع جوانب الشخصية.

ورسول الله ﷺ هو القدوة للبشر - فهو الرسول المبلغ، وهو الحاكم  
المسلم، والقائد المسلم، وهو القاضي المسلم بصلاحيات القضاء  
المتعددة، وهو الأب العطوف، وهو الزوج الكريم، وهو القدوة في كل  
شيء فكان الاهتمام بسيرته هو الاهتمام بالإسلام والتعريف به لجميع

البشر ، وهي سيرة مسجلة بكل صغيرة وكبيرة تصنع إحاطة بأحوال الرسول ﷺ وأقواله وأفعاله.

وبما أن الرسول ﷺ رسول لجميع البشر، فسيرته هُدي وارشاد لجميع الفئات البشرية: رجالاً ونساءً وأطفالاً سواءً أكانوا مؤمنين بزيادة إيمانهم وترسيخه أم كانوا كفاراً بدعوتهم إلى الإسلام وبالسيرة الحسنة في التعامل معهم، وقد أدرك الصَّحابة ي هذا الدور الكبير للسيرة النبوية، وارتباطها بالقرآن الكريم وضرورة تعليمها للأطفال لتظهر أمامهم القدوة الحسنة بصورتها الكاملة ﷺ فقد قال: سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ "السيرة النبوية" كما نعلمهم القرآن).

وللطفل في السيرة النبوية نصيب جليل، فقد خاطب النبي ﷺ الأطفال ذكوراً وإناثاً وتعامل معهم معاملة رسخت حبه في سويداء قلوبهم، فضلاً عن الجوانب الأخرى من السيرة، والتي تلهمهم في كل

جيل، فتزويدهم علمًا في عقولهم، وصفاءً وحبًا في وجدانهم، وسلوكيات إسلامية حسنة في مناحي حياتهم.

ولي كتاب منشور بعنوان: (كيف تحدث الرسول ﷺ مع الأطفال)، يشرح الأحاديث الموجهة إليهم شرحًا يبين خصائص هذا الخطاب الجمالية والتأثيرية في نفوس الأطفال وقد استهدفت به فئتين: الأولى: أولياء أمور الأطفال، ومعلميهم، ومن يكتب لهم، والثانية: الناشئة ممن هم في مرحلة الطفولة المتأخرة أو مقاربي البلوغ.

وورقة العمل هذه سرتُ فيها على النحو التالي: مقدمة - وعرض - وخاتمة وتوصيات. وسأتعرض فيها للمراحل الكتابية وغيرها في السيرة النبوية الموجهة للأطفال.

إنَّ المراحل التي تعرضها هذه الورقة، هي مراحل نظرية في العصر- الحليث، لا تُلغي ما قبلها من جهود العلماء والأدباء في خدمة السيرة النبوية منذ عهد الصحابة وحتى عصر- النهضة العلمية الحديثة، فمجالس السيرة النبوية والشمائل المحمدية، عدا من المؤلفات في كل قرن هجري تقريبًا - لم تتوقف في المراكز العلمية والحواضر الإسلامية،

فكانت تُقام المجالس، ويحضرها الفتيان والأطفال، فيحلقون بنعمة الخيال - الذي يختص به الإنسان - تحليقاً يجوب بهم الأماكن فيعانون أحداث السيرة، وكأنهم يرون الأشخاص ويرون القدوة الحسنة ببهائه وجماله الخُلقي والخُلقي ﷺ وقد كانت لهم تصورات وتساؤلات يجيب عليها العلماء والوالدان، وقسمت هذه المراحل إلى ثلاث: مرحلة الكتابة العصرية للسيرة النبوية، وما قامت عليه من أسس، ألهمت كتاباً آخرين، وأعانتهم بأسلوب عرضها الجديد للسيرة النبوية؛ لابتكار هذا الفرع المهم والحيوي "السيرة النبوية للأطفال" وتلك المرحلة الثانية - أما المرحلة الثالثة فهي الأكثر تخصصاً - إن صح التعبير - في هذا المجال لاستفادتها من المادة العلمية المنظمة والموضوعية للمرحلة الأولى ولاستخدامها التقنيات المناسبة والحديثة من الصور الملونة وصولاً إلى إنتاج أعمال فنية في هذا المجال.

واللهَ أسأل أن يوفق القائمين على هذا الملتقى، ويرزقهم الإخلاص والثبات، فهما سبيل القبول عند الله المؤذن بانتشار سيرة المصطفى

وهديه على المستويات البشرية كافة لتحسين حياتنا وتغييرها للأفضل بدءاً من المجتمعات المسلمة إلى الأوطان ووصولاً للعالمية.

### المرحلة الأولى: الكتابة التأصيلية العصرية المنظمة (المؤسسون)

قد يبدو غريباً إدراج هذه المرحلة في مراحل كتابة السيرة النبوية للطفل، ولكن لأسباب سأسرد لها - أجد جهود هذه المرحلة جديرة بالذكر والتنويه، منها:

١ - تشكيل قاعدة الانطلاق الموضوعية والسليمة لكل كاتب في السيرة النبوية.

٢ - تحديد السمات العامة والخاصة لمنهج الكتابة في السيرة النبوية.

٣ - توفير مادة علمية منظمة ومعنونة ووسطاً بين الإسهاب

والإيجاز.

٤- الإعلان الواضح عن الهدف الأسمى للسيرة النبوية تربية مفهوم

"القدوة الحسنة" ﷺ في وجدان المسلمين وخاصة الأطفال.

بدأت ملامح هذه الكتابة تبرز إبان النهضة العلمية الحديثة في مصر- الشقيقة، على يد الأديب العالم: رفاعه الطهطاوي ظ (١٨٧٢م) في كتابه: (نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ﷺ) فانتخب المادة العلمية من كتب السيرة النبوية المشهورة، ونظمها، وأعاد عرضها بأسلوب واضح يستوعبه المثقفون في عصره، وقد كان هذا الكتاب -حسب علمي- الأول في العصر الحديث باللغة العربية، وقد كان آخر مؤلفاته، مما يشير إلى أنه وضعه وقد تبلورت الفكرة في ذهنه واتضحت طريقة الكتابة المناسبة لمثقفي عصره.

ثم جاء الكاتب الثاني للأديب الشيخ: محمد أحمد جاد المولى ظ

(١٩٣١م) في كتابه: (محمد ﷺ المثل الكامل) - وقد تميز هذا الكتاب:

بدقة التحليل، وسلاسة اللغة وعرض الأدلة الواضحة العقلية بأسلوب جديد وجذاب.

أما الكتاب الثالث، فعنوانه (محمد رسول الله ﷺ) للكاتب الأديب: محمد رضا ظ (١٩٣٤ م) نظم فيه عرض السيرة بعناوين فرعية مشوقة للقارئ، مثل: شاعر يُحْكَم عقله ويُسلم - إلى الحبشة - تأثير خبر الإسراء في قريش... وهكذا وقد تميز كتابه بعرض شبهات المستشرقين والرد العلمي الهادئ عليها، وصناعة الفهارس المنوعة والمنظمة، واعتماده تفاسير القرآن، وكتب الحديث الموثوقة، وتراجم الصحابة، ومعاجم اللغة، فوسع دراسة السيرة، وربطها بالمصادر الضرورية لفهم السيرة النبوية، وتوثيقها.

وأما الكتاب الأخير، فهو كتاب، (السيرة النبوية) للعالم الأديب: أبو الحسن علي الحسيني الندوي ظ (١٩٧٥ م) وقد كان هذا الكتاب خلاصة هذه المرحلة والثمرة اليانعة والمس تفيدة من جهود السابقين،



وقد حدد المؤلف في مقدمته الخطوات التي ينبغي للكاتب في السيرة النبوية اتخاذها منهجاً له في خمس عشر- خطوة: سأذكر أهمها: البعد عن الأسلوب الموسوعي - مراعاة حال المخاطبين - المؤلف العصري للسيرة النبوية هو: المستعين بالحديث والأحدث في المؤلفات المرتبطة بالتاريخ والجغرافيا والمدراسات المقارنة- مراعاة عقلية الجيل الجديد وذوقه ونفسيته ومستوى فهمه - عدم إخضاع السيرة للأهواء، أو الشبه والاعتراضات التي يدفع إليها الجهل أو التعصب الديني.

وقد كانت هذه المقدمة (خارطة طريق) لمن ينوي التأليف في السيرة النبوية، وقد كان الندوي ظ ملتزماً بنودها في كتابه المؤصل إلى حد كبير.

يُلاحظ أن كُتّاب هذه المرحلة يجمعون إلى جانب علمهم الديني علومَ عصرهم التي هي وسيلة الخطاب المشترك الحي والمؤثر في كل عصر، وهم أدباء يحسنون أساليب الكتابة وفنون التعبير عن المشاعر

والأحداث بلغة تجمع إلى الإدراك العقلي مخاطبة وتحريك الجانب الوجداني فينبغي لمن ينوي الكتابة عن السيرة النبوية أن يكون: فقيهاً، أديباً، مثقفاً؛ لتمييز إنتاجه، ويؤثر في الفئات أو الفئة المستهدفة، وهذه المرحلة مفتوحة - نسبياً - لمن رغب في التأليف على منوالها، ما دام كتابها يجمعون بين الأصالة وموثوقية المصادر، والمعاصرة باستثمار العلوم الحديثة في الربط والتحليل واستخلاص النتائج (العبر والفوائد).

### المرحلة الثانية: الكتابة الموجهة للأطفال (مرحلة الرواد)

بدأ التأليف في هذه المرحلة التي تتسم بالريادة، فالرائد هو المغامر الذي يُقدم، ولا يُحجم، وقد كان أهم هذه الكتب أربعة:

الأول: بعنوان: (سيرة خاتم النبيين ﷺ للأطفال) للعلامة: أبو الحسن الندوي ظ (١٩٧٤م)، جعل الكاتب أحداث السيرة النبوية مشاهد مستقلة ومعنونة، ولم يورد في هذا الكتاب سوى النصوص والروايات لأن ذلك - حسب قوله - يعين على التشبع بروح السيرة

النبوية وتذوق جماها من الناشئة ويصلح هذا الكتاب للترجمة لغير المسلمين ويحوي الخرائط التفصيلية والأسئلة التطبيقية وحتى الموضوعية منها والصور الفوتوغرافية لمعالم السيرة النبوية كجبل حراء وغار ثور ومسجد قباء، والكتاب موجز ويصلح كمنهج دراسي وقد قررته دولة البحرين ليدرس في المعاهد الدينية الإعدادية، وقد استعان الكاتب بمختص في مجال التعليم، والندوي ظ هو آخر المؤسسين وأول الرواد، وكذلك عباقرة علماء المسلمين - عبر التاريخ - في الإنتاج والعطاء، فالعبودية والإخلاص هما شمسهم المشرقة الدافئة، والعلوم المعارف الأصيلة والحديثة هما أنهارهم وجداولهم الرافدة.

الثاني: بعنوان: (السيرة النبوية للأطفال والناشئة) (د. ت) للمؤلف: مسعد محمد حسين، فكتابه يُمثل بدايات الكتابة الواعدة للسيرة النبوية الموجهة للأطفال من حيث: تنظيم عرض للمادة العلمية - التبسيط - الرسومات البسيطة.

الثالث: بعنوان (السيرة النبوية للفتيان) (٢٠٠٠م) للشيخ: أحمد عمر هاشم، وهو عبارة عن عشر - كُتبيات كل منها يُقارب عدد

صفحاتها الخمسين ورقة، وقد وضع المؤلف لكل كُتيب عنواناً خاصاً به، وهي عناوين مشوقة.

الرابع: بعنوان: (سيرة الرسول ﷺ للأطفال) (٢٠١٠م) للكاتب: محمود المصري، وهو لا يختلف كثيراً في طريقة عرضه للسيرة عن أسلوب الكتاب الأول، ولكن المؤلف أدرج كلمتين وكرر الثانية كثيراً: (كان يا ما كان - حبايبي الحلوين) وباستحضار الجدل بين المختصين في الكتابة الأدبية حول استخدام "العامية" فيكادون يُجمعون على قبولها بشرطين: ١- أن تكون محدودة الاستعمال وليست فاشية في العمل كله. ٢- أن يستدعيها السياق، ويكون لاستخدامها وقعٌ في نفوس المخاطبين.

يُلاحظ أن كُتاب هذه المرحلة هم "رواد التجريب" وهذه ميزةٌ لا تنكر، بل تُعد وتُشكر، فلولا وجود المادة العلمية المناسبة والمنظمة والجاهزة للاستثمار الكتابي من خلال "المؤسسون" لما وجد هؤلاء الرواد قاعدةً ينطلقون منها للتجريب وللتأليف، وقد تميزت كتاباتهم، بما يلي:

- التشويق - الأسلوب القصصي - الجميل والمحبب - العبارات  
والجمل البسيطة

- التركيز على صناعة القدوة النبوية الحية في وجدان الطفل - الإيجاز  
المتوسط

- إن صح التعبير - وصلاحيتها لخطاب الأطفال في مرحلة الطفولة  
المتأخرة أو مقاربي البلوغ.

- وهذه المرحلة مغلقة - في تصوري - لأنها مرحلة انتقالية بين  
مرحلتين أساسيتين ومتفاعلتين هما: مرحلة " المؤسسون " ومرحلة  
" الممارسون " .

### المرحلة الثالثة: الكتابة العصرية للأطفال (مرحلة الممارسون)

تتميز هذه المرحلة بالتخصص، واستثمار تقنيات التعلم الحديثة نسبيًا  
بدءً من الرسومات الزاهية الألوان مرورًا بالأنشطة التعليمية من  
الأسئلة والأجوبة بالطرق المبتكرة الحديثة كاللصق والتلوين والتركيب  
الفسيفسائي لأجزاء الصور التي تنتج صورًا متكاملة في النهاية،

واستثمرت نظريات التعلم الحديثة بإشراك الطفل في صناعة المعلومات، وإخراجها بالشكل المتكامل، وتمددت هذه المرحلة وتوسعت، لتحظى بالترجمة للغات الإسلامية الحية وللغة الانجليزية، وفيما يلي نماذج دالة، ووصف مقتضب لكل منها:

١- "السيرة النبوية المصورة للأطفال"، تأليف: علي لبن - عبد الحميد توفيق - أحمد عبد الرزاق، صفحات هذا الكتاب (٦٥ صفحة) تعرض السيرة النبوية برسومات للشخصيات، وحديثها مسجل في دوائر بيضاء أمام كل شخصية، وهي استفادة واضحة من المجالات العربية المصورة إيجابية ومؤثرة.

٢- "قصص السيرة النبوية للأطفال" تأليف: منار النحاس، هذا المؤلف عبارة عن ثلاث كتيبات، كل كتيب يحوي (١٦ صفحة) هي سلسلة قصصية مصورة، بأسلوب قصصي بسيط وواضح، وتستهدف الفئة العمرية (٧-١٢) سنة.

## ٣- "مع المصطفى ﷺ في ٣٦٠ يوم"، تأليف: علي الشبيلي.

يجوي هذا الكتاب (٧٦٨ صفحة) فهو طويل، مليء بالأنشطة التعليمية والصور الملونة، مع التركيز على أسلوب الاستفهام المشوق، مناسب للمرحلة العمرية (٧-١٢) سنة.

٤- "٣٦٥ يوماً مع خاتم الأنبياء" تأليف: نور دان داملا (مترجم للعربية) يجوي (٣٦٥) قصة، مقسمة على (٣٨٨) صفحة، كل صفحة لقصة واحدة تقريباً، أسلوب حكايات مشوق، صور ملونة زاهية الألوان، مناسب للطفولة المبكرة.

تتميز هذه المرحلة بالاستمرارية، والعطاء المتجدد، ففي كل سنة تخرج مثل هذه الكتب أو الكتيبات، وميزتها التجديد، واستثمار وسائل التقنية الحديثة، - مما شجع البعض وهذا طبيعي - في عصر الانفجار المعرفي كل خمس سنوات أن يدخل وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في مجال خدمة السيرة النبوية للطفل، فالرسوم المتحركة وغيرها

وكذلك التطبيقات الإلكترونية اهتمت بهذا المجال وأسهمت، والتأثير الأبرز لهذا التطوير الأخير أنه ينشط الحواس مجتمعة السمع والبصر - وغيرها مما يخلص خيال الطفل، ويزيد من جيشان مشاعره، ويربط حياته وسلوكه برباط وثيق مع سيرة القدوة الحقيقية للإنسانية محمد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه.

وهذه المرحلة مفتوحة بالمطلق - في تصوري - ما دامت تنطلق من ثوابت المرحلة التأصيلية الأولى، لتمتد لتفيد من الحديث والأحداث من وسائل التعليم المتعددة والتطبيقات الإلكترونية.



## خاتمة وتوصيات

بدأت هذه الورقة بمقدمة عن مفهوم السيرة النبوية، وأهميتها في تنشئة وتربية الأجيال، ثم تعرضت لمراحل الكتابة في السيرة النبوية للطفل، فكتبت عن أهم المؤلفات في كل مرحلة، وتحدثت عن ميزات كل كتاب باقتضاب، ورسمت ملامح الخطوط العريضة المميزة لكل مرحلة، واستنبطت الروابط المنطقية بين المراحل، وخلصت هذه الورقة إلى توصيات، أبرزها:

- ١ - جعل دراسة السيرة النبوية من مصادرها الأصلية، وربطها بالقرآن الكريم وتفسيره، والسنة النبوية وشروحها أساساً تكوينياً لكل من يكتب السيرة النبوية للطفل.
- ٢ - الاهتمام بدراسة "أدب الأطفال" بتمعن أو الاستعانة بالمتخصصين في هذا الأدب، يُمكن المؤلفين من امتلاك الأساليب

والألفاظ والجمل التي تجذب انتباه الطفل، وتراعي الخصائص النفسية والسلوكية لكل مرحلة من مراحل الطفولة.

٣- تأليف معجم لألفاظ السيرة النبوية، يستخدم اللغة الفصحى المبسطة، ويراعي اللغة المتداولة، وثقافة العصر، بالاستعانة بالمختصين والخبراء في صناعة المعاجم اللغوية .

٤- تخصيص مؤلفات للطفل غير المسلم، باللغات الحية: الانجليزية والصينية والفرنسية وغيرها ودعم المشاريع الإعلامية بالأشكال الفنية: سينما وتلفاز والتطبيقات الإلكترونية الموجهة لهذه الفئة.

٥- إبراز أهمية دور الوالدين والإخوة الكبار والمعلمين والمعلمات في تواجدهم بجانب الأطفال عند قراءة أو مشاهدة أي محتوى مقروء أو مسموع أو مرئي عن السيرة النبوية، للإجابة السريعة والموجزة واللطيفة لتساؤلاتهم البريئة، ولو كانت غريبة أو جريئة.

٦- اعتماد النقاط الخمسة عشرة التي وردت في مقدمة كتاب "السيرة النبوية" للعلامة الندوي ظ لكل من ينوي الكتابة في السيرة النبوية مهما كانت الفئة العمرية المستهدفة، فقد أنشأ الندوي ظ (خارطة طريق) وورقة عمل محددة وواضحة للكتابة في السيرة النبوية بشكل عام، ولا مانع من تطوير هذه النقاط، حسب طبيعة كل عصر - وثقافته السائدة، فيكون هذا التطوير (اجتهاداً مقبولاً) - كما يقول العلماء - وذلك عندما لا يُبطل أو يصادم تلك النقاط، بل يكون امتداداً محموداً لها ينطلق من الثوابت: (قواعد الشريعة الإسلامية ومقاصدها) لتكييف النوازل "الأمر المستجدة" وليس العكس.

٧- المراجعة والتقييم المستمر كل خمس سنوات لإصدارات السيرة النبوية للطفل، واقتراح التوصيات النافعة والمواكبة لثقافة العصر - (الوسائلية) وطبيعة كل مرحلة زمنية من خلال لجنة أو جمعية أعضاؤها من: علماء المسلمين المهتمين بالسيرة النبوية، ومختصين بأدب الأطفال

وعلم نفس الأطفال ورجال تعليم متخصصين، وغيرهم ممن له علاقة بالكتابات والأعمال الفنية والتطبيقات الإلكترونية الموجهة للطفل.

٨- التركيز على تطوير وابتكار العناوين الفرعية؛ مراعاة لمفاهيم كل جيل جديد، وملامسة لوجدانهم، من خلال استعمال العناوين ذات اللغة الفصيحة السهلة والمتداولة والتي يعايشونها.

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

## السيرة النبوية والشباب

أ.د عبد الله بن محمد العسكر

أستاذ التفسير بجامعة الأمير سطاتم

السعودية - الخرج

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وصلاةُ الله وسلامُهُ الأتمانِ الأكملانِ على إمام المرسلين، وخيرة خلق الله أجمعين، نبيِّ الهدى، وقائدِ الغرِّ المحجلين، محمدِ بنِ عبدِ الله، صلى الله عليه وسلم وبارك، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، أما بعد:

فالسَّلام عليكم أيها الأخوة الكرام ورحمة الله وبركاته،،،  
لقاء طيبٌ مبارك، واجتماع حافلٌ بالخير والعلم إن شاء الله، ومجالسٌ نرجو بركتها، وندعو لمن كان سبباً في إقامتها بأن يبارك الله مساعيهم، ويحقق - فيما يرضيه - آمالهم، ويجعلنا وإياهم من أنصار هذا الدين، ويثبتنا عليه إلى أن نلقاه غير مضيعين ولا مبدلين.

هذه الورقة التي كلفني وشرفني الإخوة المنظمون لهذا المؤتمر بإعدادها ستكون حول جانب من جوانب العظمة في حياة رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وإن الحديث عن جوانب العظمة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أمرٌ يطول، وحديثٌ لا يُملُّ؛ لأنه حديثٌ عن أعظم إنسان،

وخير رسول، جمع الله فيه من صفات الكمال البشري ما لم يجتمع في أحد من البشر منذ أن خلق أبانا آدم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فما حملت من ناقةٍ فوق ظهرها أبرّ وأوفى ذمةً من محمدٍ

ولقد حمل هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، من كريم الأخلاق

ونبيل الصفات والسجايا ما أبهَرَ عقول محبيه وأعدائه في آن واحد!

ولم تكن تلك الصفات والخلال الحميدة بدعاً من تاريخه ما عرفها إلا

بعد النبوة، كلا؛ بل لقد نشأ عليها وتمثلها في حياته طفلاً وكهلاً حتى إذا

رزقه الله الرسالة، وعاش مع القرآن، وتأدب بأدابه صار أعجوبة الزمان

ومضرب الأمثال!

والحديث عن جوانب العظمة في سيرته صلى الله عليه وسلم لا يتسع

له المقام، وإنما سيكون حديثنا في هذا اللقاء عن جزئية واحدة تختص

بالشباب، كيف كان يعاملهم، وكيف كان حضورهم في سيرته، وكيف

صنع منهم رجالاً عقيمت أرحام النساء أن تُنجب مثلهم!

ولا بد في البداية من تقدمة يسيرة بين يدي حديثنا، ندلف بعدها إلى

صلب الموضوع.

وعليه فسيكون حديثنا في مطلبين:

المطلب الأول: تحديد المرحلة العمرية للشباب، وأهمية هذه المرحلة

في الإسلام

المطلب الثاني: سمات المنهج النبوي في التعامل مع الشباب



## المطلب الأول

تحديد المرحلة العمرية للشباب، وأهمية هذه المرحلة في الإسلام

أولاً: تحديد المرحلة العمرية للشباب:

تنازع العلماء في تحديد السن الذي تبدأ به مرحلة الشباب وتنتهي إليه، ولن نخوض في غمار هذا الخلاف وتفصيله، لأن المقام مقام اختصار، ويمكن أن نُجمل القول في هذه المسألة بأن نذكر ما يلي:

أولاً: مرحلة الشباب هي مرحلة عمرية تبدأ مع انتهاء مرحلة الطفولة، وذلك في سن البلوغ، وتنتهي مع بداية الكهولة.

فأما سن البلوغ في الإسلام فهو أمرٌ محسوم، ويكون ذلك بظهور إحدى العلامات الشرعية الدالة على البلوغ للذكر والأنثى، فإن لم تظهر فهو طفل حتى يبلغ عمره خمس عشرة سنةً، فحينها يكون بالغاً مكلفاً. ومن العلماء من يرى أن سن الشباب يبدأ بسن السادسة عشرة، وبعضهم يرى أنها السابعة عشرة.

والأقرب أن مرحلة الشباب تبدأ من سن البلوغ بما أشرنا إليه آنفاً من علامات البلوغ.

وأما نهايته فقليل إلى الثلاثين ، وهو اختيار النووي<sup>(١)</sup> وابن حجر<sup>(٢)</sup> .  
 وقيل إلى الاثنتين والثلاثين، كما أشار لذلك القرطبي في (المفهم) وحكاه  
 عن الزمخشري<sup>(٣)</sup> .

وبعدها تبدأ مرحلة الكهولة، فإذا بلغ الخمسين فهو شيخ عند  
 الأكثرين، وبعد الشيخوخة الهرم، أحسن الله لنا ولكم الختام .  
 ووجدت من الأقوال - وإن كان قول نادراً - من لا يجد الشباب بسناً،  
 وإنما يرجع ذلك إلى القوة والنشاط، وهذا القول وإن كانت النفس تهواه  
 وتتمناه إلا أن اللغة والعرف والواقع يردّه ويأباه! فاللهم أحسن عزاءنا!

كَبِرْنَا أَيُّهَا الْأَتْرَابُ حَتَّى      كَأَنَّا لَمْ نَكُنْ يَوْمًا شَبَابًا  
 وَكُنَّا كَالْغُصُونِ إِذَا تَثَنَّتْ      مِنْ الرِّيحَانِ مَوْنَقَةً رِطَابًا  
 أَلَا مَا لِلْكَهُولِ وَلِلتَّصَابِي      إِذَا مَا اغْتَرَّتْ مُكْتَهَلٌ تَصَابِي  
 فَزَعْتُ إِلَى خِضَابِ الشَّيْبِ مِنْهُ      وَإِنْ نُصُولُهُ فَضَحَ الْخِضَابَا!

(١) شرح النووي على مسلم (٩ / ١٧٣) .

(٢) فتح الباري (٩ / ١٠٨) .

(٣) لم أجده في المطبوع ونقلته من كلام ابن حجر عنه في: فتح الباري (٩ / ١٠٨) .

مَضَى عَنِّي الشَّبَابُ بِغَيْرِ وُدِّي فَعِنْدَ اللَّهِ أَحْتَسِبُ الشَّبَابَا

### ثانيا: أهمية الشباب في الإسلام

لا شك أن الشباب عنصرٌ مهمٌ في بناء الأمم، لأنهم عمادها الذي تقوم عليه، ولسانها الذي تنطق به، وقلبها الذي تحيا به، لذلك كانت عناية الإسلام بالشباب عنايةً كبيرة، وذلك يرجع لأسباب عديدة منها:

١- أن الشباب هم أسرع استجابة للأوامر، وأسبق اتباعا للحق، وأكثر قبولاً لدعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول الله تعالى عن أصحاب الكهف: (إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (الكهف: ١٣).

قال ابن كثير: "ذكر الله تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبلٌ للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله ولرسوله شباباً"<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٥ / ١٢٧).

وفي سنن النسائي وصححه شعيب الأرنؤوط عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في غزوة بدر: "مَنْ أَتَى مَكَانَ كَذَا وَكَذَا فَلَهُ كَذَا وَكَذَا، فَتَسَارِعْ إِلَيْهِ الشَّبَّانُ وَبَقِيَ الشُّيُوخُ تَحْتَ الرِّيَاطِ"<sup>(١)</sup>.

٢- ومما يدل على أهمية الشباب في الإسلام ما جاء في كثير من النصوص من التأكيد على هذه المرحلة العمرية وضرورة استثمارها في طاعة الله وإنها مما يسأل عنه المرء يوم القيامة، فمن ذلك: ما رواه الترمذي وحسنه الألباني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عَمْرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيْمَا عَلِمَ"<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١١١٣٣)، وقال شعيب الأرنؤوط في (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ١١ / ٤٩٠): "إسناده صحيح" (١١ / ٤٩٠)، وانظر: صحيح السيرة النبوية، للعلي (ص ١٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٢٤١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٢٥٥).

ومنها ما رواه النسائي وصححه الألباني عن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: "اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَأْنُ أَبِيكَ قَبْلَ أَيْمَانِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" (١).

٣- ومن الدلائل على أهمية الشباب أن وجود الشباب في أي منشط أو برنامج يضيفي على أجواء ذلك البرنامج الحيوية والنشاط؛ نظراً لطبيعة هذه المرحلة العمرية، وهذا له أثر كبير في نجاح هذه البرامج.

٤- يضاف إلى ذلك ما تتميز به عقول الشباب من الحدة والنباهة التي يحتاجها صاحب القرار، وهذا لا يعني بالطبع الاستغناء عن خبرة الشيوخ ونضج عقولهم.

يقول محمد بن شهاب الزهري لبعض طلابه: "لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشباب فاستشارهم بيتغي حدة عقولهم" (٢).

(١) رواه النسائي (١١٨٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣٣٥٥).

(٢) حلية الأولياء (٣/ ٣٦٤).

لأجل ما سبق - وغيره كثير - كان الشباب أكثر حضوراً في الصدر الأول من تاريخ هذه الأمة، وكان حضورهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم جلياً واضحاً لا تخطئه عينٌ كلُّ دارسٍ لسيرته عليه السلام، ويدل على ذلك:

١ - أن كثيراً من الشباب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم هم ممن حملوا لواء هذا الدين في ميادين الجهاد والدعوة إلى الله وتبليغ العلم، وجابوا الديار مشرقاً ومغرباً لنشر هذا الدين كما سنذكر إن شاء الله طرفاً من ذلك.

٢ - أكثر من تبع النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته هم الشباب.

يقول أنس رضي الله عنه كما رواه البخاري في صحيحه: "قدم النبي صلى الله عليه وسلم - يعني المدينة - وليس في أصحابه أشمطٌ غير أبي بكر" (١). والأشمط: هو من شاب شعر رأسه ولحيته.

---

(١) رواه البخاري (٣٩١٩).

٣- ومن دلائل حضور الشباب في السيرة النبوية أن أكثر رواة حديثه صلى الله عليه وسلم الذين بلغوه لنا هم من الشباب، من أمثال عائشة وأبي هريرة وابن عباس وابن عمر وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

كذلك أخرج الإسلام قومي شباباً مُخلصاً حراً أميناً  
وعلمه الكرامة كيف تُبنى فيأبى أن يذلّ وأن يهونا  
شبابٌ لم تُحطّمه الليالي ولم يُسلم إلى الخصم العرينا  
ولم تشهدهم الأقداح يوماً وقد ملأوا نواديهم مُجونا  
وما عرفوا الأغاني مائعاتٍ ولكنّ العلاء صيغت لحونا  
شبابٌ ذلّلوا سبل المعالي وما عرفوا سوى الإسلام دينا  
تعهدهم فأنبتهم نباتاً كريماً طاب في الدنيا غصونا  
إذا شهدوا الوغى كانوا كُماةً يدكّون المعاقل والحصونا  
وإن جنّ المساء فلا تراهم من الإشفاق إلا ساجديننا  
وما فتىء الزمانُ يدور حتى مضى بالمجد قومٌ آخرونا  
وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمتّه سنينا

وَأَلْمَنِي وَأَلْمَ كُلَّ حَرٍّ      سؤَالُ الدَّهْرِ: أَيْنَ الْمُسْلِمُونَ؟  
تُرَى هَلْ يَرْجِعُ الْمَاضِي فَايَ      أَذُوبُ لَذَلِكَ الْمَاضِي حِينَا

### المطلب الثاني

#### عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب

وهذا المطلب هو صلبُ البحث وعمادُه الرئيس.

وهذه العناية منه صلى الله عليه وسلم كانت عناية غامرة، واهتماماً خاصاً أخرج منهم جيلاً لم تعرف الدنيا له نظيراً في بذله وشجاعته وحسن أخلاقه وجميلِ سجاياه!

لقد كان صلى الله عليه وسلم قريباً من هؤلاء الشباب قريباً مَلَكَ به قلوبهم، فأحبُّوه كأشدَّ ما يكون الحب، وبذلوا حمايته وحماية دينه الغالي والنفيس، فكان صلى الله عليه وسلم ملء السمع والبصر في حياتهم، لا يُطيقون فراقه، ولا يَحْتَمِلون بَعاده.



ذكر السهيلي في (الروض الأنف) أن أم زيد بن حارثة سُعدى بنت ثعلبة كانت قد خرجت بزید لتزيره أهلها فأصابته خيلٌ من بني القين بن جسر، فباعوه بسوق حُباشة، وهو من أسواق العرب، وزيدٌ يومئذ ابنُ ثمانية أعوام، فجلس أبوه يبحث عنه زمنا طويلا يجوب الصحاري والقفار، ويسأل الغادي والرائح عن فلذة كبده، لعله أن يعرف مكانه، ومما ذكر عنه أبياتٌ قالها يتشوق فيها إلى ابنه زيد، ويذكر حزنه لفراقه، منها قوله:

بكيْتُ على زيد ولم أدري ما فعلٌ      أحيُّ فيرجى أم أتى دونه الأجلُ  
فوالله ما أدري وإن كنتُ سائلاً      أغالك سهلُ الأرض أم غالك  
الجبلُ

تذكرنيه الشمسُ عند طلوعها      ويعرض ذكره إذا غربها أفلُ  
وإن هبَّت الأرياح هيجنَ ذكره      فيا طولَ ما حزني عليه ويا وجلُ!  
وبعد طول بحث وعناء عشر حارثةُ على زيد، وعلم أنه عند رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فجاء هو وعمُّه كعب حتى وقفا على رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بمكة، وذلك قبل الإسلام فقالا له: يا ابن عبد

المطلب، يابن سيد قومه، أنتم جيران الله، وتفكون العاني، وتطمعون الجائع، وقد جئناكم في ابنا عبدك لتحسن إلينا في فدائه فقال صلى الله عليه وسلم: "أو غير ذلك؟" فقالوا: وما هو؟ فقال: "أدعوه وأخبره، فإن اختاركما فذاك، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا"، فقالوا له: قد زدت على النصف، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال لزيد: "من هذان؟" فقال: هذا أبي حارثة بن شراحيل وهذا عمي كعب ابن شراحيل، فقال: "قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما، وإن شئت أقيمت معي"، فكانت المفاجأة المذهلة أن قال: بل أقيم معك! فقال له أبوه: يا زيد أختار العبودية على الحرية وعلى أهلك وأهلك وقومك؟! فقال: إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا وما أنا بالذي أفارقه أبدا! فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقام به إلى الملاء من قريش فقال: "اشهدوا أن هذا ابني وارثا وموروثا"، فطابت نفس أبيه عند ذلك وكان يدعى: زيد بن محمد، حتى

أنزل الله تعالى: ( ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله )<sup>(١)</sup> (الأحزاب: ٥).  
.

هذا قبل النبوة فكيف سيكون بعدها؟!!

إن هذا الخلق الجسم، والنفس الطاهرة الرؤوم، والقلب المفعم بالمحبة والرحمة هي التي علقت قلوب أصحابه به وزادت من محبتهم له، وخاصة الشباب منهم، وهم مجال حديثنا اليوم، فقد كان لهم معه علائقٌ ووشائجٌ صنعت منهم رجالا صنعوا التاريخ، وكانوا مفخرة من أعظم مفاخر أمة الإسلام.

كيف استطاع النبي صلى الله عليه وسلم صناعة هؤلاء الشباب؟ وكيف كانت عنايته بهم؟ وكيف كان يعاملهم؟ هذا ما سنتناوله بمشيئة الله في هذا المطلب، سائلين الله لنا ولكم التوفيق وسلامة القصد، والله المستعان وعليه التكلان.

ويمكن لنا أن نستعرض أبرز جوانب عنايته صلى الله عليه وسلم بالشباب، ويتضح ذلك فيما يلي:

(١) الروض الأنف (١ / ١٢٧) (بتصرف).

## أولاً: رحمته بالشباب .

لقد كان صلى الله عليه وسلم شديد الرحمة بالشباب، كثير الحدب عليهم، يدرك طبيعة المرحلة التي يعيشونها، وما يعتورها من متغيرات وعواطف متقلبة تتطلب النظر إليهم بعين الشفقة والرحمة. وتتضح جوانب الرحمة في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم مع الشباب من خلال ما يأتي:

### ١ - حثهم على الزواج ومساعدتهم في تكاليفه:

فأما حثهم على الزواج فيدل عليه ما رواه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَالْيَتْرُوجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَخْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"<sup>(١)</sup>.  
وأما إعادتهم على الزواج فهنا قصتان تدلان على ذلك:  
الأولى: قصة تزويج ربيعة الأسلمي رضي الله عنه.

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠).

في السيرة النبوية لابن كثير أن ربيعة الأسلمية - وكان يخدم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاتَ يَوْمٍ: "يا ربيعةُ ألا تزوجُ؟" قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ ما أحبُّ أن يشغلني عن خدمتك شيء، وما عندي ما أعطي المرأة. قَالَ: فَقُلْتُ بعد ذلك: رَسُولُ اللهِ أعلم بما عندي مني، يدعوني إلى التزوج! لئن دعاني هذه المرأة لأجيبته. قَالَ: فَقَالَ لِي: "يا ربيعةُ ألا تزوجُ؟" قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ وَاَمِنْ يَأْزُوجُنِي، ما عندي ما أعطي المرأة. فَقَالَ لِي: انطلق إلى بني فلان فقل لهم: إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَزُوجُونِي فَتاتكمُ فلانة. قَالَ: فَاتَيْتُهُمْ فَقُلْتُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ لِتَزُوجُونِي فَتاتكمُ فلانة. قالوا: فلانة؟ قَالَ: نعم. قالوا: مرحباً برسول الله ومرحبا برسوله. فزوجوني. فَاتَيْتَ رَسُولَ اللهِ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ أَتَيْتَكَ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ بَيْتِ صَدَقُونِي وَزَوْجُونِي فَمِنْ أَيْنَ لِي ما أُعْطِي صَدَاقِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لِبُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيَّةِ: "اجمَعوا لِرَبِيعَةَ فِي صَدَاقِهَا فِي وَزْنِ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ". فَجَمَعُوها فَأَعْطَوْنِي فَاتَيْتُهُمْ فَقَبِلُوها، فَاتَيْتُ رَسُولَ اللهِ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ قَدْ قَبِلُوا، فَمِنْ أَيْنَ لِي ما أُؤْمِرُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ لِبُرَيْدَةَ: "اجمَعوا لِرَبِيعَةَ

فِي ثَمَنِ كَبْشٍ " قَالَ: فَجَمَعُوا وَقَالَ لِي: " انْطَلِقْ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْ لَهَا فَلْتَدْفَعْ إِلَيْكَ مَا عِنْدَهَا مِنَ الشَّعِيرِ " قَالَ: فَأَتَيْتُهَا فَدَفَعَتْ إِلَيَّ، فَاَنْطَلَقْتُ بِالْكَبْشِ وَالشَّعِيرِ فَقَالُوا: أَمَّا الشَّعِيرُ فَنَحْنُ نَكْفِيكَ، وَأَمَّا الْكَبْشُ فَمُرْ أَصْحَابَكَ فليذبحوه. وَعَمِلُوا الشَّعِيرَ، فَأَصْبَحَ وَاللَّهِ عِنْدَنَا خُبْزٌ وَحَمٌّ" (١).

القصة الثانية: تزويج جليبيب رضي الله عنه

عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ لِأَحَدِهِمْ أَيْمٌ لَمْ يُزَوِّجْهَا حَتَّى يَعْلَمَ أَلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا حَاجَةٌ أَمْ لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: " زَوِّجْنِي ابْنَتَكَ ". قَالَ: نَعَمْ وَنُعْمَى عَيْنٍ، قَالَ: " إِنِّي لَسْتُ لِنَفْسِي أُرِيدُهَا ". قَالَ: فَلِمَنْ؟ قَالَ: " لِجُلَيْبِيبٍ ". قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَتَّى أَسْتَأْمَرَ أُمَّهَا، فَأَتَاهَا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ ابْنَتَكَ. قَالَتْ: نَعَمْ وَنُعْمَى عَيْنٍ. قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَتْ

(١) السيرة النبوية من البداية والنهاية (٤ / ٦٦٠).

لِنَفْسِهِ يُرِيدُهَا. قَالَتْ: فَلِمَنْ يُرِيدُهَا؟ قَالَ: جُلَيْبٍ. قَالَتْ: حَلَقِي<sup>(١)</sup>!  
 جُلَيْبٍ؟! لَا لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا أُزَوِّجُ جُلَيْبًا. فَلَمَّا قَامَ أَبُوهَا لِيَأْتِيَ النَّبِيَّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ الْفَتَاةُ مِنْ خِدْرِهَا لِأَبِيهَا: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟. قَالَا:  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: أَتَرُدُّونَ عَلَيَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرُهُ؟! اذْفَعُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّهُ لَنْ  
 يُضَيِّعَنِي. فَذَهَبَ أَبُوهَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: شَأْنُكَ بِهَا،  
 فَزَوِّجْهَا جُلَيْبًا. فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ صَبِّ  
 الْحَيْرَ عَلَيْهَا صَبًّا، وَلَا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا"<sup>(٢)</sup>.

(١) العرب تقول: عَقَرَى وَحَلَقَى، وهو دعاءٌ على الغير بالعقر في الأرض وألم الحلق، ولكنه  
 دعاءٌ غير مراد، كما يقال: تربت يداك، وثكلتك أمك، وقد قالها النبي صلى الله عليه وسلم  
 كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري (٦١٥٧) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: أَرَادَ النَّبِيُّ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْفِرَ، فَرَأَى صَفِيَّةَ عَلَى بَابِ خِبَائِهَا كَثِيْبَةً حَزِيْنَةً، لِأَنَّهَا حَاصَتْ، فَقَالَ:  
 "عَقَرَى حَالِقَى إِنَّكَ لِحَابِسْتُنَا!" ثُمَّ قَالَ: "أَكُنْتِ أَفْضَتِ يَوْمَ النَّحْرِ؟ - يَعْنِي الطَّوَّافَ - قَالَتْ:  
 نَعَمْ، قَالَ: فَانْفِرِي إِذَا".

(٢) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٣٤٤ / ٩) وصحح إسناده شعيب الأرنؤوط

وفي رواية مسلم: "أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ فِي مَغْرَى لَهُ، فَأَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: نَعَمْ، فُلَانًا، وَفُلَانًا، وَفُلَانًا، ثُمَّ قَالَ: "هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ أَحَدٍ؟" قَالُوا: لَا، قَالَ: "لَكِنِّي أَفْقِدُ جَلِييًّا، فَاطْلُبُوهُ" فَطُلبَ فِي الْقَتْلِ، فَوَجَدُوهُ إِلَى جَنْبِ سَبْعَةٍ قَدْ قَتَلَهُمْ، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فَاتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "قَتَلَ سَابِعَةً، ثَلَاثًا قَاتَلُوهُ؟! هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، هَذَا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ!" فَوَضَعَهُ عَلَى سَاعِدَيْهِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا سَاعِدَا النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَفَرَ لَهُ وَوَضَعَ فِي قَبْرِهِ<sup>(١)</sup>.

٢- ومن جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم في التعامل مع الشباب تقديره لحاجاتهم الفطرية، والتسامح معهم في تلبية رغباتهم الغريزية .  
فلقد كان صلى الله عليه وسلم يدرك طبيعة المرحلة التي يعيشها الشباب، فكان يراعي ذلك، ويشفق عليهم إشفاق الأب الحنون . وعلى دلائل كثيرة منها:

(١) رواه مسلم (٢٤٧٢).



ما رواه البخاري عن مالك بن الحويرث، قال: أتينا النبي صلى الله عليه وسلم، ونحن شالبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظننا اشتقنا أهلنا، وسألنا ممن تركنا في أهلنا، فأخبرنا، وكان رفيقا رحيمًا، فقال: "ارجعوا إلى أهليكم، فعلموهم ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة، فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم" (١).

ومما يدل على تفهمه لحاجات الشباب ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس، قال: فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فكان ذلك الفتى يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالانصاف النهار فيرجع إلى أهله" (٢).

ومنها أيضا ما رواه البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال: قفلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة، فتعجلت على

(١) رواه البخاري (٦٠٠٨).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣٦).

بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ - أي: أي بطيء المشي - ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي ،  
فَنَخَسَ بَعِيرِي بَعَنْزَةً كَانَتْ مَعَهُ ، فَانْطَلَقَ بِلَا عِيرِي لَكَ أَجُودٌ مَا أَنْتَ رَاءِ  
مِنَ الْإِبِلِ ، فَإِذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : " مَا يُعْجِلُكَ " <sup>(١)</sup>  
قُلْتُ : كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ ، قَالَ : " أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ " ، قُلْتُ : ثَيِّبًا ، قَالَ :  
" فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُتْلَعُ بِهَا وَتُتْلَعُ بِكَ " <sup>(٢)</sup> .

٣- ومن جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم بالشباب منعهم من سبُل  
الفاحشة، وتحصينهم بما يردعهم عن مقارفتها.

وذلك منه صلى الله عليه وسلم لأن الانحراف في هذا الباب له ما بعده  
في حياة الشاب، فكم من شاب تتوق نفسه لفعل الخير ومشاركة  
الصالحين لكن يمنعه من ذلك ما هو غارق فيه من وحل الفاحشة  
والعلاقات المحرمة .

وكلنا يعلم أن بداية طريق الفاحشة هي النظرة الآثمة، فالأمر كما قال  
الأول:

(١) رواه البخاري (٥٠٧٩) ، ومسلم (٧١٥).

كُلُّ الحَوَادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النِّظَرِ      وَمُعْظَمُ النِّارِ مِنْ مُسْتَصْغِرِ الشَّرِّ  
 كَمَ نَظْرَةٍ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا      فَتَكَ السِّهَامِ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرٍ  
 وَالمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا      فِي أَعْيُنِ الغَيْدِ مَوْقُوفٌ عَلَى خَطَرٍ  
 يَسِرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ      لَا مَرِحْبَاءَ بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرِّ

لأجل ذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بحُجَزِ الشباب ليصرفهم عن هذه النظرات التي لها مابعداها.

فهو يوصي عليَّ بن أبي طالب - وهو أحد شباب الصحابة - فيقول: " يَا عَلِيُّ لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ؛ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَكَانَتْ لَكَ الْآخِرَةُ " رواه الإمام أحمد بإسناد حسن<sup>(١)</sup>.

وهذا الفضلُ بنُ عباس لما أردفه صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع معه، ثم جاءت جاريةً شابةً من خثعم، فقالت: إن أبي شيخ قد أفند (أي: أصابه الخرف لكبر سنه)، وقد أدركته فريضةُ الله في الحج، فهل يجزئ أن أحج عنه؟ قال: "نعم، فأدِّي عن أبيك"، قال: ولوى عنق

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٩٩١)، وحسنه شعيب الأرنؤوط

الفضل، فقال له العباس: يا رسول الله، ما لك لويت عنق ابن عمك؟ قال: " رأيتُ شاباً وشابة فخفت الشيطانَ عليهما"<sup>(١)</sup>.

وكان صلى الله عليه وسلم في توجيهه للشباب رحيمًا شفيقًا صبورًا على ما قد يصدر منهم، ومن ذلك خبره الشهير مع ذلك الفتى الذي جاءه يستأذنه في الزنا، ولك أن تتخيل: شابٌ يريد أن يكون الزنا الذي قال الله عنه (إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) يريد أن يكون في حقه حلالاً! ومع ذلك كيف كان جوابه له؟

أخرج الإمام أحمد في المسند والطبراني في المعجم بإسناد صحيح عن أبي أمامة قال: إِنْ فَتَى شَابًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي بِالزَّيْنَاءِ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَالْزَجْرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اذنه، فدنا منه قريبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمَّكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ "

(١) رواه أحمد في المسند (١٣٤٧)، وصححه أحمد شاكر.

قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ".  
 قَالَ: " أَفْتَحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا  
 النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفْتَحِبُّهُ لِحَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا وَاللَّهِ جَعَلَنِي  
 اللَّهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِحَالَاتِهِمْ ". ثم انظر إلى هذه اللفظة  
 الحانية من هذا النبي الرحيم الشفيق، قال الراوي: فَوَضَعَ يَدَهُ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ - لِيَحْسِسَهُ بِقُرْبِهِ مِنْهُ - ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ،  
 وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى  
 شَيْءٍ<sup>(١)</sup>.

ولما رأى مظهرا غير لائق بشاب من أصحابه يقال له خريم الأسيدي  
 قال: " نِعَمَ الرَّجُلُ خَيْرِيمُ الْأَسَدِيِّ لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ، وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ " فبلغ  
 ذلك خريماً، فعجل فأخذ شفرة، فقطع بها جُمَّتَهُ إلى أُذُنَيْهِ، ورفع إزاره إلى

(١) رواه أحمد في المسند (٢٢٢١١)، والطبراني في المعجم (٧٦٧٩) وصححه شعيب

أنصافٍ ساقِيَه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ. <sup>(١)</sup> والحديث رواه أبو داود وحسنه شعيب الأرنؤوط.

٤- ومن جوانب رحمته صلى الله عليه وسلم بشباب الصحابة إيواؤه لفقرائهم، وتلمُّسُه لحاجاتهم، وتتبُّعُه لأخبارهم.  
ودونك هذا الخبر:

أخرج ابنُ إسحاق في سيرته عن محمد بن إبراهيم التيمي قال: كان عبدُ اللهِ بنُ مزينَةَ ذو البِجَادِينِ بينما هو في حِجْرِ عَمِّه، وكان يعطيه، وكان محسناً إليه، فبلغ عَمَّهُ أَنَّهُ قد تابع دين محمد صلى الله عليه وسلم، فقال له: لئن فعلتَ وتبعتَ محمداً لأنزعنَّ منك كل شيءٍ أعطيتُك - فأبى هذا الفتى الأشمُّ إلا الإسلام - فقال: إني مسلم! فنزع منه كلَّ شيءٍ أعطاه حتى جرده من ثوبه! فأتى أمَّهُ فقطعت له بجاداً لها بائنين، فائتز نصفاً وارتنى نصفاً (والبجاد هو: الكساء الغليظ المخطَّط)، ثم أصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصفَّح الناس ينظر من أتاه، وكذلك كان يفعل، فرآه رسول

(١) رواه أبو داود (٤٠٨٩) وحسنه شعيب الأرنؤوط.

الله صلى الله عليه وسلم فقال: من أنت؟ قال: أنا عبدُ العزى، فقال: بل أنت عبد الله ذو البجادين، فالزم بابي، فكان يلزم باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يرفع صوته بالقرآن والنحيب والتسبيح، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أمراءٌ هو؟ قال: دعه عنك فإنه أحد الأواهين!<sup>(١)</sup>.

وبقي هذا الفتى ملازماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج لغزوة تبوك، فخرج رضي الله عنه مع من خرج من الصحابة الكرام، قال عبد الله بن مسعود: قمتُ من جوف الليل، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فاتَّبعتها أنظر إليها، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزيُّ قد مات! وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته، وأبو بكر وعمر يُدليانه إليه، وهو يقول: أدنيا إليَّ

---

(١) سيرة ابن اسحاق (ص ٢٩٣).

أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيأه لشيئه قال: "اللهم إني أمسيت راضيا عنه،  
فارض عنه!" قال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة!<sup>(١)</sup>.

ثانيا: من جوانب عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب تعزيزُ الثقة  
بهم، وتكليفهم بالمهمات الصعبة.

إن الناظر في السيرة النبوية يلحظ بجلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم  
كان حريصا على تولية الشباب على وجه الخصوص بمهمات دقيقة،  
ووظائف شديدة الحساسية، مما يعني أن مستوى الثقة في قدرات أولئك  
الشبية كان عاليا عنده صلى الله عليه وسلم .

لقد كان عليه الصلاة والسلام يُسند إلى شباب الصحابة من المهام ما  
يسمو بهمهمهم، ويرتقي بعزائمهم، ويصنعُ منهم نماذج فريدة في القيادة  
والعلم والدعوة.

ولم يكن عاملُ السنِّ عائقاً لصناعة الأجداد وكتابة التاريخ، فكم من  
صغارٍ فعلوا ما أبهر الكبار، وكم من شباب بذلوا ما عجز عنه الكهول  
والأشياخ!

(١) سيرة ابن هشام (٢ / ٥٢٧). وانظر: صحيح السيرة النبوية، للعلي (ص ٤٧٦).



وبالنظرة العجلى إلى سيرته صلى الله عليه وسلم نجد دلائل كثيرة تدلّ

على ذلك، منها:

١- توليته قيادة الجيوش للشباب، ومنحهم الفرصة للمشاركة في نصر

الإسلام في ميادين الجهاد في سبيل الله.

ومن ذلك:

أ- توليته لأسامة بن زيد رضي الله عنه ذي الثمانية عشر عاماً على

جيشٍ فيه شيوخ الصحابة وكبراًؤهم كأبي بكر وعمر!

ولك أن تتخيل: لو حدث في عصرنا أن عُيِّن شابٌّ في سنِّ أسامة رضي

الله عنه في منصبٍ، وكان تحت رئاسته مشايخٌ ودكاترة! إذاً لأرعدتُ

لذلك أنوف!

وقد يقول قائل: أعطني مثل أسامة وولّه ما شئت، وأظن الجواب

سيكون حاضراً حين نقول: وأعطني مرؤوسين كأمثال أبي بكر وعمر!

إن المقصود من هذا الكلام ليس الحثُّ على تولية الشباب لأنهم شبابٌ

فقط، وإنما المقصود أن لا يكون السنُّ عائقاً في تولية من امتلك القدرة

على قيادة هذا المنصب وملء ذلك المكان. وهذا ما فعله صلى الله عليه وسلم مع أسامة بن زيد رضي الله عنه.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعْثًا، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَطَعَنَ بِأَعْضِ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ، فَقَدْ كُتِمْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ، وَإِنَّمَا اللَّهُ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ"<sup>(١)</sup>.

ومات صلى الله عليه وسلم بعد أن عقد لأسامة إمرة الجيش، فلم يمض الجيش بسبب موته، فلما تولى الصديق رضي الله عنه الخلافة كان أول عملٍ ابتدأ به خلافته هو إنفاذ جيش أسامة، بعد أن استأذنه في أن يدع عمر ليقبى الى جواره في المدينة! ويالله ما أعظمه من خلق! وما أسماها من نفوس! خليفة المسلمين يستأذن من شاب صغير أن يأذن له

(١) رواه البخاري (٣٧٣٠).

في أحد أفراد جيشه أن يبقى ليساعده في أمور الخلافة! ووالله لو أبى  
أسامة لما أجبره الصديق!

ولما أراد إنفاذ الجيش اجتمع إليه أصحاب رسول الله فقالوا: يا أبا  
بكر، توجه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة؟! فقال:  
والذي لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ما رددت جيشاً وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا  
حللت لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>

وسار جيش أسامة إلى البلقاء ومؤتة وقاتل الروم وانتصر عليهم،  
وقتل وأسر منهم الكثير، ولم يُصَب أحدٌ من جيشه بأذى، وكانوا  
يقولون: "ما رأينا جيشاً أسلم من جيش أسامة!"

قاد الجيوش لبضع عشرة حجةً يا قُربَ ذلك سؤدداً من مولد!  
ب- ومن ذلك توليته صلى الله عليه وسلم لمصعب بن عمير حمل الراية  
يوم أحد، وهذه وظيفة تعني الشيء الكثير، فإن سقوط الراية في

(١) البداية والنهاية (٩/ ٤٢٤).

الجيوش حينئذٍ يعني انهزام الجيش، فكيف يُسند رسولُ الله هذه

المُهَمَّة لهذا الشاب الذي كان أترف شابًّا بمكة قبل إسلامه؟!!

أقبل مصعب بن عمير رضي الله عنه يوماً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رضي الله عنه قطعةً من نَمرةٍ قد وصلها بإهاب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد رأيت هذا وما بمكة فتىً أنعمَ عند أبويه منه، ثم أخرجته من ذلك الرغبة في حب الله ورسوله!"<sup>(١)</sup>.

وتأمل كيف كان حال هذا الشاب في غزوة أحدٍ وهو حاملُ الراية:

أخرج ابن سعد في الطبقات الكبرى عن مُحَمَّدِ بْنِ شَرْحِبِيلَ قَالَ: حَمَلُ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرِ اللَّوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ. فَلَمَّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ ثَبَتَ بِهِ مُضْعَبٌ، فَأَقْبَلَ ابْنُ قَمِيئَةَ. وَهُوَ فَارِسٌ. فَضْرَبَ يَدَهُ الْيُمْنَى فَقَطَعَهَا وَمُضْعَبٌ يَقُولُ: (وَأَمَّا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) (آل عمران: ١٤٤). وَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِيَدِهِ الْيُسْرَى. وَحَنَّا عَلَيْهِ فَضْرَبَ يَدَهُ الْيُسْرَى فَقَطَعَهَا. فَحَنَّا عَلَى اللَّوَاءِ وَضَمَّهُ بِعَضْدِيهِ إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ: (وَأَمَّا

(١) التبصرة، ابن الجوزي (١ / ٤٨٩)، وانظر: الطبقات الكبرى (٣ / ٨٦).

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ الثَّلَاثَةَ بِالرُّمْحِ فَأَنْفَذَهُ، وَأَنْدَقَ الرُّمْحَ، وَوَقَعَ مُضْعَبٌ، وَسَقَطَ اللِّوَاءُ! (١)

ج- ومن النماذج الأخرى في توليته للشباب أنه صلى الله عليه وسلم جعل راية المسلمين في خيبر مع علي بن أبي طالب، وهي وظيفة كان يطمح لها كبار الصحابة كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وذلك لما اكتنف هذه المهمة من فضيلة عظيمة لصاحب الراية والتي ظفر بها هذا الشاب دون غيره!

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَيَّ يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ"، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: "أَيْنَ عَلِيٌّ؟"، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَن لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ١٩).

إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنَّ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"<sup>(١)</sup>.

قال أبو عمر بن عبد البر في (الاستيعاب): "قال عمر: فوالله ما تَأَمَّنْتُ الإِمَارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ، وَجَعَلْتُ أَنْصِبُ صَدْرِي لَهُ رَجَاءً أَنْ يَقُولَ: هُوَ هَذَا. قَالَ: فَالْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: هُوَ هَذَا"<sup>(٢)</sup>.

د- وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هو أول من رمى بسهم في الإسلام، وكان عمره حينها ما يقارب ستة وعشرين عاما، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناوله السهام يوم أحد ويقول له: "ارم، فذاك أبي وأمي!".

(١) رواه البخاري (٣٠٠٩).

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١١١٠).

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: مَا سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِسَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: "يَا سَعْدُ ارْمِ فِئِدَاكَ الْإِبِي وَالْأُمِّي" (١).

وأما أخوه عمير بن أبي وقاص رضي الله عنه فإنه أراد أن يشهد غزوة بدر، وكان عمره حينها ست عشرة سنة فردّه النبي صلى الله عليه وسلم لصغر سنّه، فذهب يبكي، فرّق له النبي صلى الله عليه وسلم فأجازه. يقول سعد: "فَكُنْتُ أَلْعَقِدُ لَأَهْلِ حِمْيَرَ سَيْفِهِ مِنْ صِغَرِهِ، فَقُتِلَ بِبَدْرِ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً، قَتَلَهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ" (٢).

وشباب الصحابة الذين عقد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرايات وبوأهم أسمى المهات في ميادين الجهاد أكثر من أن يحصروا في مثل هذا المقام، ومنهم معقل بن سنان، ورافع بن خديج، وسمرة بن جندب، وغيرهم كثير رضي الله عنهم أجمعين

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

(١) رواه البخاري (٤٠٥٩).

(٢) الطبقات الكبرى (٣ / ١١١)

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطواع  
٢- ومن دلائل تعزيز النبي صلى الله عليه وسلم الثقة بشباب  
الصحابة ائتمانهم على أسرار الدولة - إن صح التعبير -، ولولا أن هؤلاء  
الشبية كانوا أهلاً للثقة وإلا لما أسند إليهم هذه الوظائف الخطيرة. ومن  
ذلك:

أ- اختياره صلى الله عليه وسلم لدار الأرقم بن الأرقم رضي الله عنه  
لتكون داراً يجتمع فيها هو وأصحابه في بداية البعثة في مكة، وكانوا  
يستخفون فيها من قريش التي كانت تتربص بهم الدوائر.

ولقد كان عمر الأرقم رضي الله عنه حينها ما يقارب سبع عشرة سنة،  
وذلك أنه رضي الله عنه توفي سنة ثلاث وخمسين للهجرة، وكان عمره -  
كما يقول ابنه عثمان-: ثلاثاً وثمانين سنة، قال الذهبي عن هذا الشاب  
اليافع: " كان من عقلاء قريش"<sup>(١)</sup>.

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢ / ٤٨٠).



ب- ومما يعضد ما ذكرنا من ائتمانه صلى الله عليه وسلم الشباب على أمور الدولة الخاصة تعيينه لزيد بن ثابت ليكون كاتباً له في مراسلاته مع أخصب أعدائه اليهود عليهم لعائن الله.

يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد بإسناد حسن عن خارجة بن زيد، أن أباه زيدا، أخبره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، قال زيد: ذهب بي إليه فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هَذَا غُلامٌ مَن ابْنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَمِنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي" قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأَجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ" (١).

(١) رواه أحمد في المسند (٢١٦١٨) وحسنه شعيب الأرنؤوط.

بل إن هناك ما هو أكبر من ائتمانه صلى الله عليه وسلم زيدا على مراسلاته مع اليهود؛ حيث ائتمنه على ما هو أعظم من ذلك، وهو كتاب الله تعالى، وذلك حين جعله أحد كتاب الوحي!

واقتبس الصديق أبو بكر رضي الله عنه من هذه الفراسة النبوية في زيد فأسند إليه مهمة جسيمة، ووظيفة تنوء بها الجبال، حيث كلفه بجمع سور القرآن وآياته في مصحف واحد! فقام بذلك أحسن ما يكون، واحتمل هذه الأمر فجمعه من الرقاع والعُسب وصدور الرجال، فكان له فضلٌ على أمة محمد جمعاء.

يقول زيد رضي الله عنه: "قال لي أبو بكر: إنك رجُلٌ شَأبٌ عاقلٌ، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتبّع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبلٍ من الجبال ما كان أثقل عليّ ممّا أمرني به من جمع القرآن"<sup>(١)</sup>.

٣- ومن دلائل تعزيز النبي صلى الله عليه وسلم الثقة بشباب

الصحابة اختيارهم للمهمات الصعبة، ومن ذلك:

(١) رواه البخاري (٤٦٧٩).

أمره عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن ينام مكانه في بيته حين أراد الهجرة، وحتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس.

ولم يكن عليّ رضي الله عنه هو الوحيد من الشباب الذي أزره حين هجرته؛ بل ساعده أيضا عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء رضي الله عنهما، وكلاهما في سنّ صغار الشباب!

تقول عائشة رضي الله عنها: "فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجَرَابِ، فَبَدَلِكَ سُمِّيتَ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ قَالَتْ: ثُمَّ لَحِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَغَارٍ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ، فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ ثَلَاثَ أَقْفُلٍ أَقْنٌ - أَي: فَطْنٌ سَرِيعَ الْفَهْمِ - فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدَهُمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ<sup>(١)</sup> إِلَّا وَعَاهُ، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلَامُ"<sup>(٢)</sup>.

(١) يكتادان به: أي يدبر بشأنها ويمكر به لها.

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٥).

لا تقل إني صغير الجسم ما عدتُ أبالي!  
لا تقل إني تعلقت بأحلام الخيالِ  
إن يكن جسمي صغيراً فهمومي كالجبالِ  
أحمل الجرح الذي تحسبه فوق احتمالي  
جرح قومي بعد أن عاثت بهم ريحُ الشمالِ

ثالثاً: ومن جوانب عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالشباب الحرص  
عليهم في مجال العلم والدعوة

فأما جانب العلم فالسيرة النبوية طافحةٌ بالرويات الثابتة التي تدل  
على عنايته الشديدة صلى الله عليه وسلم بالشباب في تعليمهم العلم  
الشرعي وتشجيعهم عليه حتى خرج منهم علماءٌ للأمة لازالت ترتوي  
من عذب علومهم حتى يومنا هذا.

ومن منّا يجهلُ مكانةَ ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ وعائشةَ وابنِ عمر  
ومعاذِ بنِ جبلٍ وابنِ الزبيرِ وأنسِ بنِ مالكٍ، وغيرهم كثيرٌ من شباب  
الصحابة.

١- وكان صلى الله عليه وسلم يوجّه بأخذ أعظم العلم وهو العلم بكتاب الله من عددٍ من هؤلاء الشباب.

روى البخاري في صحيحه عن مسروق، قال: ذكّر عبد الله بن مسعود عند عبد الله بن عمرو، فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - فَبَدَأَ بِهِ -، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَأَبِي بَنْ كَعْبٍ"<sup>(١)</sup>.

٢- ومن مظاهر حرصه صلى الله عليه وسلم على تعليم شباب الصحابة ما رواه ابن ماجه وصححه الألباني عن جندب بن عبد الله، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِتْيَانُ حَزَاوِرَةَ، "فَتَعَلَّمْنَا الْإِيمَانَ قَبْلَ أَنْ نَتَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، ثُمَّ تَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ فَازْدَدْنَا بِهِ إِيْمَانًا"<sup>(٢)</sup>. والحزاورة: جمع حَزَوْر، وهو الغلام القوي.

(١) رواه البخاري (٣٨٠٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٦١) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/١٦).

٣- ومنها - وقد سبق - ما رواه البخاري عن مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، قَالَ: أَتَيْتَنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَحْنُ شِابَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، فَظَنَّ أَنَّا اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، وَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا فِي أَهْلِنَا، فَأَخْبَرَنَا، وَكَانَ رَفِيقًا رَحِيمًا، فَقَالَ: "ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ، فَعَلَّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيُؤَمِّمَكُمْ أَكْبَرُكُمْ"<sup>(١)</sup>. وما بقاؤهم عنده عشرين ليلة إلا ليتعلموا منه صلى الله عليه وسلم.

٤- ومنها دعاؤه الشهير لابن عباس حين قال: "اللَّهُمَّ فَاقَهُ فَالِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ"<sup>(٢)</sup>. فكان بركة دعائه صلى الله عليه وسلم حبر الأمة وترجمان القرآن.

(١) رواه البخاري (٦٠٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٣٢)، قال شعيب الأرنؤوط: في تحقيقه للمسند (٥/

١٦٠): "إسناده قوي".

٥- ومن مظاهر عنايته بالشباب في باب العلم ثناؤه وإشادته بمن نبغ

منهم، ومن ذلك:

أ- قوله في شأن ثلاثة من شبان الصحابة وهم علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت: "أعلم أمتي بالحلل والحرام معاذ بن جبل" "وأقضاهم علي" "وأفرضهم زيد"<sup>(١)</sup>.

ب- قوله في سالم مولى أبي حذيفة: "الحمد لله الذي جعل علي بن أبي طالب من أمتي مثلك"<sup>(٢)</sup>

ت- قوله في ابن مسعود: "مأن أحب أن يقرأ القرآن غصًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أم عبد"<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (١٥٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣١/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٥٣٢٠)، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (١٨٤٥٧)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند

(٣٠/٤٠٠): "صحيح لغيره".

وكان في تعليمه صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الشبان من أصحابه يشعرهم بالقرب منهم، كوضع يده على رؤسهم أو قبض أيديهم، أو إظهار المحبة لهم، لما في ذلك من أثر كبير في نفوسهم، ومما يدل على ذلك:

أ- قول ابن مسعود رضي الله عنه: كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط، فمرَّ بي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر، فقال: "يا غلام، هل من لبن؟"، قلت: نعم، ولكنني مؤتمن، قال: "فهل من شاة لم ينز عليها الفحل؟"، فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبنٌ، فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع: "أقلص"، فقلص، ثم أتيتُه بعد هذا، فقلت: يا رسول الله، علّمني من هذا القول، قال: **فمسح رأسي،** وقال: "يرحمك الله، فإنك غليمٌ معلّمٌ"<sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤٤١٢)، وصححه أحمد شاكر.



ب- وكذلك يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَفَى بَيْنَ كَفَيْهِ التَّشَهُدَ، كَمَا يُعَلِّمُنِي السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ"<sup>(١)</sup>.

ت- وقول ابن عباس رضي الله عنهما: ضَمَّنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: "اللَّهُمَّ عَلِّمَهُ الْكِتَابَ"<sup>(٢)</sup>.

ث- وروى أبو داود وصححه الألباني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: "يَا مَعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ! أَوْصِيكَ يَا مَعَاذُ لَا تَدْعُنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَي ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحَسَنَ عِبَادَتِكَ"<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٦٢٦٥).

(٢) رواه البخاري (٧٥).

(٣) رواه أبو داود (١٥٢٢) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥ / ٢٥٣).

ج- وقال ابن عمر رضى الله عنه: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ" (١).

ح- وكذلك إردافه لهم علي الدابة وتعليمهم، كما فعل مع ابن عباس ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما .

روي الإمام أحمد بإسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنه قال: "رَكِبْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ لِي: "يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ" (٢).

وَعَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عَفِيرٌ، فَقَالَ: "يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي حَقَّ اللَّهُ

(١) رواه البخاري (٦٤١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٦٦٩)، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه للمسند

(٤/٤١٠): "إسناده قوي".

عَلَيَّ عِبَادَهُ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَيَّ اللَّهُ؟“، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ”فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَيَّ الْعِبَادَ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ الْعِبَادَ عَلَيَّ اللَّهُ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا“، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُبَشِّرُ بِهِ النَّاسَ؟ قَالَ: ”لَا تُبَشِّرُهُمْ، فَيَتَّكِلُوا“<sup>(١)</sup>.

وأما عنايته بهم صلى الله عليه وسلم في جانب الدعوة فمن دلائل ذلك:

أ- إرساله لمصعب بن عمير رضي الله عنه - وهو سفير الإسلام الأول كما يقال - إلى المدينة ليعلم المسلمين دينهم، ويقرئهم القرآن، ويؤمهم في الصلاة، ويدعو من كان على غير ملة الإسلام إلى الدخول في الإسلام، وقد جذب بأسلوبه اللين وسمته الحسن فثاماً كثيرين من أهل المدينة، فدخلوا علي يديه في دين الله أفواجا، منهم سعد بن معاذ الذي اهتز لموته عرش الرحمن!

ب- ومن هذا الباب أيضا إرساله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن ليدعو إلى الله ويعلم الناس العلم، وقد روي الشيخان

(١) رواه البخاري (٢٨٥٦).

عن أبي بردة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً وأباً موسى إلي اليمن قال: "يسراً ولّا تُعسرّاً، وبشراً ولّا تُنفراً، وتطّواعاً ولّا تختلّفاً" (١).

ت- ومن ذلك ما جاء فى شأن عدد من شبّان الأنصار -  
وكانوا يُسمّون القراء- حين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلي  
بعض قبائل العرب ليعلموهم الإسلام ويقرئوهم القرآن فغدروا بهم  
وقتلوهم!

روي الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أنس بن مالك، قال: " كان  
شبّابٌ من الأنصار سبعين رجلاً يُسمّون القراءَ يَكُونُونَ فى المسجد  
فإذا أمسوا انتحوا ناحيةً من المدينة، فيتدارسون ويصلُّون، يحسبُ  
أهلُهم أنّهم فى المسجد، ويحسبُ أهلُ المسجد أنّهم عند  
أهلهم، حتّى إذا كانوا فى وجه الصُّبح استعذبوا من الماء، واحتطبوا  
من الحطب، فجاءوا به فأسندوه إلي حجرة رسول الله صلى الله عليه  
وسلم، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً، فأصيبوا يومٍ بئرٍ

(١) رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

مَعُونَةً، فَدَعَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ قَتَلْتَهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ" (١).

رابعاً: ومن جوانب عنايته صلى الله عليه وسلم بالشباب حثهم على

### العبادة

السائد عندنا أو عند أكثرنا أن مرحلة الشباب مرحلة لهو ومرح، ولذا فإننا نعجب حين نرى شاباً عابداً، فالعبادة قد اعتدنا أن تكون عند الشيوخ أكثر منها عند الشباب، والحقيقة أننا لو تأملنا طبيعة هذه المرحلة -أعني مرحلة الشباب- وفي المقابل استحضرننا الهدف الذي من أجله أوجد الله العبد في هذه الدنيا وهو طاعته جل وعلا لعلنا أن هذه المرحلة ينبغي أن تكون هي مرحلة العبادة والإكثار منها، وذلك لأن الشاب أقدر من الشيخ علي طاعة الله والقيام بأمره. يضاف إلي ذلك أن من اعتاد العبادة في الصغر نشأ عليها في الكبر.

قال أبو إسحاق السبيعي رحمه الله: "يا معشر الشباب جدوا واجتهدوا، وبادروا قوتكم، واغتنموا شببتكم قبل أن تعجزوا، فإنه قلما مرت علي ليلة إلا قرأت فيها بألف آية!" (٢).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٣٤٦٢)، وصححه شعيب الأرنؤوط.

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، لمحمد نصر الدين عويضة (٧/ ١٠٢).

وكان سفيان الثوري رحمه الله يوقظ الشباب في الليل ويقول: "قوموا يا شباب! صلوا ما دمتم شبابا، إذا لم تصلوا اليوم فمتي؟!"<sup>(١)</sup>.

لأجل ذلك كانت عنايته صلي الله عليه وسلم بشباب الصحابة في أمر العبادة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء.

يدل علي ذلك تأكيدُه في أكثرَ من حديث علي فضيلة العبادة للشباب كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه الإمام البخاري قال صلي الله عليه وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله:- وذكر منهم:- "شبابٌ نشأ في عبادة الله"<sup>(٢)</sup>.

وكان يوجّه الشباب للعبادة لأنها الحصن الحصين لهم من الزيغ والضلال، وبها يحصلون مرضاة الله وجنته، ومن دلائل ذلك:

١- أمره لهم بالصيام في حال عدم القدرة علي الزواج .

---

(١) السابق

(٢) رواه البخاري (١٤٢٣).

قال صلي الله عليه وسلم: " يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"<sup>(١)</sup>.

٢- تربيتهم علي قيام الليل، وكيفية أداء هذه العبادة من خلال عدة أساليب، منها:

أ- حثهم علي قيام الليل بلطيف العبارة وحسن التوجيه، ومن ذلك:

١- قوله لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: " يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ، فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ"<sup>(٢)</sup>.

٢- ومنها ما جاء في خبر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما فيما رواه البخاري في صحيحه عنه رضي الله عنه قال: " إِنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَرَوْنَ الرُّؤْيَا عَلَيَّ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقْصُونَهَا عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ

(١) رواه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١١٥٢)، ومسلم (١١٥٩).

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللهُ، وَأَنَا غُلَامٌ حَدِيثُ السُّنَنِ، وَبَيْتِي الْمَسْجِدُ قَبْلَ أَنْ أَنْكِحَ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَوْ كَانَ فِيكَ خَيْرٌ لَرَأَيْتَ مِثْلَ مَا يَرِي هَؤُلَاءِ، فَلَمَّا اضْطَجَعْتُ ذَاتَ لَيْلَةٍ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ فِيَّ خَيْرًا فَأَرِنِي رُؤْيَا، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَنِي مَلَكَانِ، فِي يَدِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، يُقْبَلَانِ بِي إِلَى جَهَنَّمَ، وَأَنَا بَيْنَهُمَا أَدْعُو اللَّهَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أُعَوِّذُ بِكَ مِنْ جَهَنَّمَ، ثُمَّ أَرَانِي لَقِينِي مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: لَنْ تُرَاعَ، نَعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ، لَوْ كُنْتَ تَكْتَرُ الصَّلَاةَ. فَاَنْطَلَقُوا بِي حَتَّى وَقَفُوا بِي عَلَى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، فَإِذَا هِيَ مَطْوِيَةٌ كَطَيِّ الْبُرِّ، لَهُ قُرُونٌ كَقَرْنِ الْبُرِّ، بَيْنَ كُلِّ قَرْنَيْنِ مَلَكٌ بِيَدِهِ مِقْمَعَةٌ مِنْ حَدِيدٍ، وَأَرِي فِيهَا رِجَالًا مُعَلَّقِينَ بِالسَّلَاسِلِ، رُؤُوسُهُمْ أَسْفَلَهُمْ، عَرَفْتُ فِيهَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، فَاَنْصَرَفُوا بِي عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ. فَقَصَصْتُهَا عَلَيَّ حَفْصَةَ، فَقَصَصْتُهَا حَفْصَةَ، عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى



اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ صَالِحٌ، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ"  
فَقَالَ نَافِعٌ: فَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ يَكْثُرُ الصَّلَاةَ<sup>(١)</sup>.

٣- ومن ذلك ما جاء في خبر عبدالله بن عباس رضى الله عنهما:  
أَنَّ بَاتَ لَيْلَةً عِنْدَ مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ خَالَتُهُ،  
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاضْطَجَعْتُ فِي عَرْضِ الْوِسَادَةِ، وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ اللَّيْلُ، أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ، اسْتَيْقَظَ  
فَجَلَسَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَن وَجْهِهِ بِيَدِهِ، ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ الْآيَاتِ الْخَوَاتِمَ  
مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَامَ إِلَيَّ شَنَّ مُعَلَّقَةً، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ  
وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ  
إِلَى جَنْبِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَيَّ رَأْسِي، وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتُلُهَا،  
فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ

(١) رواه البخاري (٧٠٢٨ - ٧٠٢٩).

رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ أَوْتَرَ، ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى أَتَاهُ الْمُؤَذِّنُ، فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ" (١).

قال ابن الملقن: "اختلف في فتله صلى الله عليه وسلم أذن ابن عباس علي أقوال حكاها ابن التين: أحدها: فعله تأنيساً. ثانيها: لاستيقاظه. ثالثها: ليدور. رابعها: للتأدب وليكون أذكاراً للقصة، قال بعضهم: المتعلم إذا تعهد بقتل أذنه كان أذكاراً لفهمه".

ثم حكى ابن الملقن قصة عن الربيع تلميذ الشافعي قال: "ركب الشافعي يوماً، فلصقتُ بسرجه، وهو علي الدابة، فجعل يفتلُ شحمه أذني، فأعظمت ذلك منه حتى وجدته عن ابن عباس، أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك به، فعلمت أنه فعله عن أصل" (٢).

ب- ومن مظاهر عنايته بهم لأجل القيام لصلاة الليل أنه ربما

تولي إيقاظهم بنفسه.

ويدل عليه ما رواه البخاري ومسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: طرقتنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنا وفاطمة بنت

(١) رواه البخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤/٥٩)، (٤/٢٩١).

النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيْلَةً، فَقَالَ: "أَلَا تُصَلِّيَانِ؟" فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلِّ يَضْرِبُ فِخْذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ) (الكهف: ٥٤).

كل ما سبق يدلُّ علي أن العبادة كانت حاضرة في حياة شباب الصحابة رضي الله عنهم بتوجيهٍ ومتابعةٍ مباشرةٍ من رسول الله صلي الله عليه وسلم.

وههنا ملحظٌ مهمٌّ في هذا الباب وهو توجيهه صلي الله عليه وسلم لهؤلاء الشباب بالاعتدال والوسطية في أمر العبادة؛ فإن الشباب من طبيعته الحماسة، وإذا أعجب بشيء مضي فيه بقوةٍ واندفاع، فكان من المتحتم علي المربي توجيهُ الشباب إلي الاعتدال وسلوك المنهج الوسط الذي يتوافق مع الشرع ويلائم طبيعة النفس.

يقول صلي الله عليه وسلم: " إِنْ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغَلُوا فِيهِ بَرِّقٌ " (١) وقال: " عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا قَاصِدًا، عَلَيْكُمْ هَدْيًا

(١) رواه أحمد في المسند (١٣٠٥٢)، وحسنه شعيب الأرنؤوط .

قاصداً؛ فإنه من يشاد الدين يغلبه<sup>(١)</sup>. رواهما الإمام أحمد في المسند بإسناد صحيح.

ومما يدل علي توجيهه صلي الله عليه وسلم للشباب إلي الاعتدال والقصد في أمر العبادة ما كان منه مع عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، وكان كثير العبادة بما قد يكون فيه شيء من التشديد علي نفسه، قال رضى الله عنه: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟"، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: "فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لَجَسَدَكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ"، فَشَدَّدْتُ، فَشَدَّدَ عَلَيَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ: "فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ"، قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: "نِصْفَ الدَّهْرِ"، فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا

(١) رواه أحمد في المسند (١٩٧٨٦) وصححه شعيب الأرنؤوط .

كَبْرًا: يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. رواه البخاري في صحيحه<sup>(١)</sup>.

وقد أدرك عبدُ الله بنُ عمرو هذا المعنى الذي تعلمه من رسول الله جيداً، فكان يوصي بعض من حوله فيقول له: "إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغض إلي نفسك عبادة ربك، فإن المُنْبَتَّ لا سَفْراً قطع، ولا ظهراً أبقي، فاعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبداً، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غداً"<sup>(٢)</sup>.

**خامساً: ومن جوانب عنايته صلى الله عليه وسلم بالشباب تقديره**

### لعقولهم واحترامه لآرائهم

يظن كثيرون أن سداد الرأي وبعْدَ النظر لا يكون إلا عند الكبار، وأما الشباب فمالهم وذلك؟! ولا شك أن هذه النظرة القاصرة للشباب حرمتنا كثيرا من آرائهم، والإفادة من مقترحاتهم وحده عقولهم.

(١) رواه البخاري (١٩٧٥).

(٢) الزهد والرفائق، ابن المبارك (١ / ٤٦٩).

ومن وصايا علماء السلف رحمهم الله - وقد سبق - ما جاء علي لسان ابن شهاب الزهري حين قال لتلاميذه: " لا تحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به الأمر المعضل دعا الفتيان، واستشارهم يبتغى حده عقولهم"<sup>(١)</sup>.

والناظر في سيرته صلي الله عليه وسلم يري أنه عليه الصلاة والسلام كان يقدر عقول الشباب ويحترم آراءهم، ولذلك كان كثيرا ما يستشيرهم، بل ويصدر عن رأيهم في كثير من الأحيان، فمن ذلك:  
١ - أخذ برأي الصحابة الذين رأوا خروجه صلي الله عليه وسلم لملاقاة قريش في غزوة أحد، مع أنه صلي الله عليه وسلم وكبار الصحابة كانوا يرون البقاء في المدينة والتترس بها، وكان عامة الفريق القائل بالخروج من الشباب، فتنازل عن رأيه، وأخذ برأيهم<sup>(٢)</sup>.

ولا يقولن قائل: لكن أخذ برأي الشباب أدّي إلي هزيمة المسلمين! وهذا بلا شك استقراء ناقص لما جرىات الغزوة، فإن الهزيمة لم يكن

(١) حلية الأولياء (٣ / ٣٦٤).

(٢) اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون، العازمي (٢ / ٥٧٣).

سببها خروجهم، بدليل أن المسلمين انتصروا في أول المعركة، وإنما كان سبب ذلك مخالفة الرماة لأمره صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق عن غزوة أحد: "ثم أنزل الله نصره علي المسلمين وصدقهم وعده، فحسبهم بالسيوف حتى كشفوهم عن العسكر، وكانت الهزيمة لا شك فيها.. قال الزبير: والله لقد رأيتني أنظر إلي خدم هند بنت عتب (أى ساقها) وصواحبها مشمرات هوارب، ما دون أخذهن قليل ولا كثير"<sup>(١)</sup>.

٢- ومما يدل علي احترامه صلى الله عليه وسلم لعقول الشباب استشارته لعلی بن أبی طالب- وهو شاب لم يكمل الثلاثين- ولأسامة بن زيد- وهو دون هذا السن بكثير- في حادثة الإفك، وهي حادثة أليمة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي كذلك أمر خاص به وبأهل بيته.

تقول عائشة رضي الله عنها في خبر الإفك: "فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، فَأَمَّا أُسَامَةُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِالَّذِي يَعْلَمُ

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ٧٧)

فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ لَهُمْ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ وَاللَّهِ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ<sup>(١)</sup>.

٣- ومن دلائل احترامه لعقولهم ما جرى مع ابن عباس رضي الله عنه حين استأذنه في أن يعطي إناء الشرب لمن هو أكبر منه، فلم يرض ابن عباس أن يستأثر أحد بفضلته صلى الله عليه وسلم دونه.

أخرج البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أْتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: "أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟"، فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا أُوتِرُ بِنَصِيْبِي مِنْكَ أَحَدًا، قَالَ: فَتَلَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ<sup>(٢)</sup>.

والغلام المذكور جاء التصريح بأنه ابن عباس كما ثبت في رواية ابن ماجه<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) رواه البخاري (٢٤٥١)، ومسلم (٢٠٣٠).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٤٢٦) وحسنه الألباني.



هذه بعض جوانب عنايته صلي الله عليه وسلم بالشباب، وتوجيهه لهم، واحتفائه بهم، فما أعظمه من نبي، وما أكمله من رسول، وحُقَّ لحسان شاعره الذي لازمه وعرف أخلاقه وكماله أن يقول:

وأحسنُ منك لم تر قطُّ عيني      وأجمل منك لم تلد النساءُ  
 خلقت مبرأً من كل عيبٍ      كأنك قد خلقت كما تشاءُ!

فصلي الله عليه وسلم، وحشرنا الله في زمرة، ولا حرمننا شفاعته، وجعلنا من حماة شريعته، والمنافحين عن سنته حتى نلقاه علي الحوض، فننعم من يده بشربةٍ لا نظماً بعدها أبداً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

# السيرة النبوية و المرأة

كتبه الفقير لربه القدير

علي بن حمد التميمي

## السيرة النبوية و المرأة

الحمد لله الذي خصَّ سيّدنا محمداً صلى الله عليه وسلّم بأسنى المناقب والقرب، ورفعته في الشرف إلى أعلى المعارج والرتب، وأيده بالمعجزات الكثيرات العجب، التي فاقت ضوء النيرين والنجم الذي ثقب، وجعل سيرته الزكيّة أمناً لمن تمسّك بها ونجاةً من العطب.

أحمده سبحانه وتعالى حمداً أنال به عافيته ورضاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مستمسكاً بالعروة الوثقى التي بها النّجاة، وأشهد أن سيّدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالدين كله كاملاً تماماً، صلى الله عليه وسلّم وعلى آله وأصحابه الذين صاروا للناس إماماً.

أما بعد...

فإنّ الأخوة الكرام في الملتقى الأول للمهتمين بالسيرة النبوية أحسنوا في الظن مشكورين وكلفوني بورقة عن "السيرة النبوية والمرأة"، ولا ريب أنّ ما تعلق بالسيرة النبوية شريف، وما تعلق بمن تنشئ الأجيال جليل، فكيف وقد اجتمعا؟

ولله الحمد كثيرة هي الكتابات في الجانب الفقهي والعقدي والتربوي  
والسياسي والعسكري والأمني والاقتصادي، والإداري، والاجتماعي،  
والتقني والسلوكي وغيرها!

وعليه فبيدِ كليلَةٍ وعلمٍ نزرٍ أكتب هاته السطور عسى أن تكتب لي لا  
عليّ!

وقد قسّمته: محاور وخرزات:

شذرات لا بد منها: - كرامة المرأة في الإسلام - أولياتها في السيرة -  
بيعتها - وهجرتها - وجهادها وتعليمها - كما شملت المرأة المسلمة  
والطفلة والجارية المملوكة ومعاملة الكافرة بنماذج من السيرة المشرفة!  
نسأله جل شأنه حسن التمام والختام.

شذرات لا بد منها وحوادث لا بد من الإيحاء إليها:

أولاً: مفهوم السيرة النبوية

السيرة النبوية، هي دراسة حياة النبي محمد ص، والاطلاع على أخباره، ومعرفة صفاته الخلقية والخلقية ودلائل نبوته، وكل ما يتعلّق بحياته ص، من قبل الولادة إلى الوفاة.

ثانياً: مصادر السيرة النبوية

تتمثل المصادر الأساسية للسيرة النبوية فيما يأتي:

١- القرآن الكريم، الذي يعرض المراحل الأساسية في حياة

النبي ص.

٢- كتب الحديث والسنة النبوية التي ألفها أئمة الحديث

المعروفون بعدالتهم وضبطهم؛ ومنها: موطأ الإمام مالك

والكتب الستة ومسند الإمام أحمد.

٣- ما رواه الصحابة رضوان الله عليهم عن حياة الرسول

ص، وتناقله عنهم الرواة من التابعين.

٤- العلاقة بين السيرة النبوية وعلم الدلائل والشمائل والخصائص والمغازي ونشأة النبي وولادته: عموم وخصوص. ومن هنا نعلم أنّ ما نقله أمهات المؤمنين من داخل بيته وخصاله وشمائله وأفعاله ركيزة أساسية في علم السيرة المشرفة.

ثالثاً: كثرت الكتابات التي تبين ما وصلت إليه مكانة المرأة في المجتمعات الإنسانية قبل الإسلام، سواء بأقلام مسلمة أو غيرها، كما كثرت الكتابات التي تتحدث عنها في ظل الإسلام، وكل منها يتبنى مواقف مختلفة حسب مرجعيتها، إلا أنها قليلة تلك الكتابات التي قارنت بين حرّيتها -أو بمعنى أصح- بين تحريرها وتحسين وضعيتها في ظل مختلف الحضارات، وبين تحريرها من مختلف العبوديات وإعلاء مكانتها وشأنها في ظل حضارة الإسلام، وبما أنه لا يمكن تجاوز هذا الأمر لتبيين حقيقة وضعية المرأة، وما خسرت حين حادت عن منهج شريعته، فإنني سأعرض بإيجاز لذلك.

لقد احتلت المرأة مكانة مهينة في المجتمعات الإنسانية القديمة، حسب معتقداتها وتصوراتها؛ ففي:

الهند: نجد في أساطير «مانو» -على سبيل المثال- ما يُعبر عن وصفها بالدنس ومقارنتها بالباطل، ولم تتحسن النظرة إليها حتى وقتنا الحاضر إلا قليلاً جداً بحكم تمازج الحضارات في المجتمعات الهندية.

وقررت شرائع الهند القديمة أن الوباء والموت والجحيم وسم الأفاعي والنار خير من المرأة، وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها - الذي هو سيدها - فإذا رأت جثمانه يحرق أَلقت بنفسها في نيرانه، وإلا حاقت عليها اللعنة.

وفي اليونان: لم يكن لها أي قيمة تذكر سوى اعتبارها شيئاً ممتعا للرجل يستخدمه للذته ومتعته، وكانت فاقدة الأهلية كالطفل وغير العاقل، لكن المرأة بدأت تأخذ مكانة مهمة في المجتمع مع وصول الحضارة اليونانية إلى أوجها، وبدلاً من أن تتحرر بوصفها إنساناً كاملاً الأهلية أصبحت رمزاً للجمال المادي، فانتشر الفساد والإباحية باسم الفن والجمال، وأصبح التحرر مرادفاً للتحلل والفاحشة.

وعند الرومان: تُعتبر المرأة مساعدة للشيطان، ونفسها لا تقارن بنفس الرجل، فهي وضيفة لا تستحق الخلود في الآخرة. وكان القانون الروماني يعطي للرجل السلطة المطلقة عليها، التي قد تصل إلى حد التعذيب والقتل، ثمَّ انقلب القانون فجعلها مستقلة استقلالاً تاماً بدون ضابط، فتعدد الزواج والطلاق بصورة مهولة، وأصبح الزنا شيئاً يعترف به القانون، وكانت مهنة الدعارة من أكثر المهن رواجاً حتى بين نساء العائلات العريقة، وبذلك كان التحرر في العهد الروماني مطابقاً أيضاً للتحلل والفساد.

وفي المسيحية: وكانت المجتمعات التي تدين بها تشكك في مجرد إنسانية المرأة، وفي امتلاكها لروح تؤهلها للخلود، وأهدرت كنيستهم شأن المرأة، واعتبرتها ممثلة للخطيئة.

ورغم كثرة الحديث عن الحرية التي ملكتها المرأة الغربية في العصر الحديث إلا أنها لم تستطع بعد أن تأخذ كثيراً من حقوقها، وخاصة في ظل التشدد بحقوق الإنسان والمساواة وغيرها من الألفاظ التي تطبق معانيها بانتقائية، فنجدها مثلاً غير متساوية في الأجرة الوظيفية مع



الرجل رغم قيامها بالعمل نفسه، كما أنها تستغل في الدعاية لتسويق مختلف السلع والبضائع، ويستغل جسدها لتشيئته، أي: جعله مجرد شيء للاستهلاك، وعرضه حسب قانون العرض والطلب نفسه، وغير ذلك من ألوان المهانة التي تتعرض لها المرأة، والتي تؤكد أن المرأة ما زالت تخضع لرغبات الرجل في عالم تسوده النزعة الذكورية المستغلة لجسد المرأة .

وفي اليهودية: سُويت المرأة بالخدم؛ لأنّها دون مرتبة الرجل، وأجازت شريعتهم لأبيها الحق في بيعها وهي طفلة، لأنها موصومة بطابع الخطيئة البشرية الأولى، كما جاء في سفر التكوين، فقد جاء الحكم عليها في العهد القديم ما يلي: (درت أنا وقلبي لأعلم ولأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون؛ فوجدت أمراً من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها شرك، ويدها قيود)<sup>(١)</sup>.  
ومن المعلوم أن العهد القديم يقدسه ويؤمن به اليهود والنصارى.

(١) سفر الجامعة - الإصحاح ٧: ٢٥-٢٦.

أمّا العرب؛ فعلى الرغم من اتصافهم بالمروءة والشهامة التي تحتم عليهم حماية المرأة وتبويئها مكانة متميزة داخل الأسرة، إلا أنّ الكثير منهم لم يكن يرحب بميلاد الأنثى، وقد وثق القرآن الكريم طبيعة استقبالهم لها في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل: ٥٨-٥٩].

وقال عزّ من قائل في آية أخرى مقرراً قساوة معاملتهم للأنثى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

فالمرأة في الجاهلية لم تكن تملك من نفسها شيئاً، فقد كانت تستعبد وتذل وتكره على البغاء، ولا تستفتى في الزواج، ويظاھرها زوجها، وتعزل إذا كانت أرملة، أو تورث، وغير ذلك من مظاهر المهانة والاستعباد<sup>(١)</sup>.

ذلك حال المرأة في العصور القديمة، أمّا حالها في العصور الوسطى والحديثة فتوضحها الوقائع التالية:

(١) قضية المرأة (رؤية تأصيلية) سعاد عبد الله الناصر.

وقد شرح الكاتب الدنماركي wieth kordsten اتجاه الكنيسة الكاثوليكية نحو المرأة بقوله: (خلال العصور الوسطى كانت العناية بالمرأة الأوروبية محدودة جداً تبعاً لاتجاه المذهب الكاثوليكي الذي كان يعد المرأة مخلوقاً في المرتبة الثانية).

وفي فرنسا عُقدَ اجتماع عام ٥٨٦م يبحث شأن المرأة وما إذا كانت تعد إنساناً أو لا تعد إنساناً؟ وبعد النقاش: قرر المجتمعون أن المرأة إنسان، ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل.

وقد نصّت المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسي على أن: (المرأة المتزوجة - حتى لو كان زوجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب، ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن، ولا أن تملك بعوض أو بغير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية).

وفي إنجلترا حرّم هنري الثامن على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس وظلت النساء حتى عام ١٨٥٠ م غير معدودات من المواطنين، وظلن حتى عام ١٨٨٢ م ليس لهن حقوق شخصية<sup>(١)</sup>.

رابعاً: لن نفهم القرآن الكريم على نحو دقيق حتى ندرس السيرة النبوية، ولن نستوعب أحداث السيرة إلا في ظلال القرآن، ولن نحسن فهم كثير من الأحاديث النبوية حتى نرجع للقرآن والسيرة معاً. إنَّ حاجة المسلمين حول العالم الآن لدراسة سيرة رسول الله ص كبيرة، لأنّها المنطلق الواسع للتغيير والإصلاح، والتربية والدعوة، والعلم والعمل، وبينما تُستهدَف الأمة في دينها وعقيدتها وجب علينا أن نَهْرَع إلى السيرة العطرة لنقف على معالم البناء الإيماني والأخلاقي. وهنا نشرع في المقصود بحول الله وقدرته:

وفي هذا السياق جاءت أحاديث متكاثرة منها في الوصاية بالمرأة وكرامتها:

(١) سلسلة مقارنة الأديان - د. أحمد شلبي: ٣/ ٢١٠-٢١٣.

عن أبي هريرة عن النبي ص قال: (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)<sup>(١)</sup>.  
 وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: (خَيْرُكُمْ  
 خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)<sup>(٢)</sup>.  
 وعن أبي هريرة عن النبي ص قال: (اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ  
 الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ)<sup>(٣)</sup>.

يقول المناوي: "بأن تعاملوهما برفق وشفقة، ولا تكلفوهما ما لا يطيقانه، ولا تقصروا في حقهما الواجب والمندوب، وَوَصَفَهُمَا بِالضَّعْفِ استعطافاً وزيادة في التحذير والتنفير، فإنَّ الإنسان كلما كان أضعف كانت عناية الله به أتم، وانتقامه من ظالمه أشد"<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه البخاري (٣٣٣١) ومسلم (١٤٦٨).

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وفي "السلسلة

الصحيحة" (١١٧٤).

(٣) رواه أحمد (٤٣٩/٢) وحسنه النووي في "رياض الصالحين" (١٤٦) ومحققو مسند

أحمد، والشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" (١٠١٥).

(٤) فيض القدير: ١/١٦٦.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ص قال: (إنَّما النساءُ شقائق الرجال)<sup>(١)</sup>.

ومعنى (شقائق الرجال) كما قال ابن منظور والمناوي أنهم نظائر الرجال وأمثالهم في الأخلاق والطباع والأحكام. وقال الطيبي: "أي نظائرهم في الخلق والطباع، كأنهم شققن منهم". وقال ابن الأثير: "شقائق الرجال يعني نظائرهم، وأمثالهم."

### أوليات المرأة في السيرة

أول من خوطب بالدعوة امرأة<sup>(٢)</sup>

كانت حكمة الله ومشيتته وقدرته أن تكون أولية الخطاب بالدعوة موجهة لامرأة، وتمثّل ذلك في شخص أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها

(١) أخرجه الإمام أحمد في (المسند- باقي مسند الأنصار من حديث أم سليم بنت ملحان) برقم ٥٨٦٩، والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر احتلاماً برقم ١٠٥، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب في الرجل يجد البله في منامه برقم ٢٠٤.

(٢) مواقف من مكانة المرأة المسلمة في السيرة النبوية: د. حصة عبد الكريم الزيد.

لما جاءها الرسول ص يرجف فؤاده من غار حراء ودخل عليها وهو يقول: "زملوني زملوني" فزملته [أي لفته] حتى هدأ روعه واطمأنت نفسه، هنا بدأت اللحظة الحاسمة في الدعوة لما أخبرها الخبر وهو نزول الوحي عليه<sup>(١)</sup>، أراد الله، أن تكون أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أول من يقابل الرسول ص بعد تعرضه لهذا الموقف، وهذا لأجل أن تكون المرأة في موضع التكريم، وموضوع الأولوية في الدعوة.

أول من أسلم امرأة:

وعودة إلى نفس القصة وهي قصة رسول الله ص مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها في بدء الوحي، قلنا إن إخبار رسول الله ص خديجة بالخبر هو بداية الخطاب بالدعوة وكان موجهاً لامرأة، ثم بعد ذلك من خلال ردة فعل خديجة رضي الله عنها لهذا الخبر يقدم لنا الإسلام تكريماً آخر للمرأة يتمثل في إنصاتها لرسول الله ص ومبادرتها السريعة في الاستجابة حتى أصبحت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أول من آمن

(١) انظر: صحيح البخاري المطبوع على الفتح ج ١ / ٢٢ حديث بدء الوحي.

وصدق بالرسول ص واتبعه، يؤكد ذلك ما قاله الإمام العيني - رحمه الله - (فخديجة أول من استجابت لرسول الله ص، بل أول من آمن به مطلقاً).

فهذا تكريم ثان للمرأة بعد التكريم الأول الذي أشرت إليه، فالمرأة أول من خوطب بالدعوة في هذه الأمة، والمرأة أول من استجاب للدعوة. فهل فوق هذا التكريم تكريم آخر للمرأة؟

ثمَّ هناك تكريم ثالث للمرأة وهو:

أول من نصر الدعوة امرأة

وما دمنا نتحدث عن الأولويات في المخاطبة والإيمان بدعوة رسول الهدى محمد بن عبد الله ص فلا بأس من الإشارة إلى أولوية ثالثة تمثلت في أن المرأة هي أول من ناصر الدعوة ودافع عنها، وقد تحقق هذا أيضاً في قصة رسول الله ص مع أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لما أخذت تهدئ من روعه وتردد على مسامعه تلك الكلمات الرقيقة، (يا ابن العم كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب



المعدوم [المعدوم، أو المعدم: الفقير] وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق<sup>(١)</sup>.

فهذه صورة من صور النصر والتأييد والوقوف مع الرسول ص في أول خطوة من خطوات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولم تكتف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بالنصر القولي، بل نصرت الرسول ص عملياً بأن أخذته إلى ورقة بن نوفل، وليجد الرسول ص الطمأنينة والوعد بالنصر من الله سبحانه وتعالى.

وهكذا نلاحظ هذا السبق العظيم لهذه المرأة التي أصبحت أول من نصر الرسول ص قولاً وعملاً، نصراً سبقت به الرجال، وتقدمت عليهم، فكما كانت المرأة أول مخاطبة وأول مستجيب كانت أيضاً أول نصير لهذا الرسول العظيم ص.

أول من استشهد في سبيل الدعوة امرأة

(١) انظر: صحيح البخاري حديث بدء الوحي.

وتكريم رابع للمرأة يأتي أيضاً في سلم أولوياتها وهو أن النصره لم تكن بالقول فقط، بل كانت هناك نصره فعلية، حيث جادت المرأة بنفسها في سبيل هذه الدعوة بأن كانت أول شهيدة في الإسلام امرأة متمثلة في سمية بنت خياط رضي الله عنها، حيث كانت سابعة سبعة في الإسلام لكنها تعد أول شهيدة في الإسلام عندما عذبها أبو جهل فماتت<sup>(١)</sup>، لتكون بذلك أول من مات في سبيل هذا الدين لتسبق الرجال جميعاً إلى هذا الشرف العظيم، فالمرأة هنا لم تكن شهيدة، بل كانت أول شهيد في هذا الدين، وهذا سبق رابع للمرأة تقدمت فيه على الرجال، مما سبق يتضح لنا أن المرأة جاءت في المرتبة الأولى في أربعة مواطن متتابعة هي الأهم في هذه الدعوة المباركة.

فهي أول من خوطب، وأول من استجاب، وأول من نصر هذا الدين، وأول من استشهد، فهذا بحق يعد تكريماً وأي تكريم .

(١) الإصابة ج ٨ / ١١٤ - وانظر ما رواه الحاكم في مستدرکه (٥٦٤٦، ٥٦٦٦) ترقيم

مصطفى عطا، وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث فقه السنة لمحمد الغزالي هامش

(١) ص ٨١، طبعة دار الشروق، مصر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م.

تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالقرآن:

ومن المواقف التي تثير شجون النفوس وكانت نتائجه في الحقيقة تكريماً فعلياً للمرأة ما حصل لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لما كانت في بعض أسفارها مع النبي ص، وفي طريق عودتهم نزلوا في بعض المنازل، فذهبت رضي الله عنها لحاجتها وفي أثناء عودتها أحست بفقد عقدها فرجعت تلتمسه، وفي هذه الأثناء كان القوم يستعدون للرحيل، فحملوا هودجها ظناً منهم أنها رضي الله عنها بداخله، نظراً لأنها كانت صغيرة السن خفيفة اللحم، فحملوا الهودج، ولم ينكروا خفته وواصلوا سيرهم.

رجعت عائشة رضي الله عنها إلى منازل القوم فلم تجدهم وجلست ظناً منها أنهم سيفقدونها ويرجعون في طلبها فغلبتها عينها ونامت ولم تستيقظ إلا بقول صفوان بن معطل رضي الله عنه (إنا لله وإنا إليه راجعون). وقد تتساءلون من هو صفوان؟ هو: صحابي جليل كان يحب النوع ولهذا السبب تأخر عن الجيش. كان يقول: (إنا لله وإنا إليه

راجعون) زوجة رسول الله ص! وقد عرفها لأنه كان يراها قبل نزول الحجاب، لم يكلمها، كل الذي فعله أن قرب إليها راحلته فركبتها، وسار بها حتى قدم بها إلى موضع نزول القوم، طبعاً الجميع شاهد المركب القادم فكانت فرصة ومنتفساً للمنافقين للكيد للإسلام من خلال شخص رسول الله ص وأهل بيته، فرصة للحديث في عرض رسول الله ص، وذلك بأن أخذوا يشيعون ويذيعون قصة الإفك المفتراة على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والصحابي صفوان بن معطل رضي الله عنه.

كانت رضي الله عنها لا تعرف ما يدور حولها سوى أن رسول الله ص لم يعد كسابق عهده في تعامله معها خاصة أنها رجعت مريضة بعد هذه الرحلة الطويلة، وبعد ما عرفت رضي الله عنها الخبر وما يشاع عنها بكت ولم تكتحل عيناها بنوم بعد ذلك.<sup>(١)</sup>

لكن إرادة الله جاءت لنصرة المرأة الضعيفة.

<sup>(١)</sup> انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (ج ٨ / ٤٥٤ - ٤٥٥).

أما كيفية هذا الانتصار فقد أنزل الله تعالى براءتها من السماء في قرابة عشر آيات من سورة النور فيها وعيد شديد لمن آذاها، أشد من وعيد الذين آذوا الله تعالى بالشرك به، فالله تعالى انتصر للمرأة أشد من انتصاره لنفسه .

وقد علق العلامة الزمخشري صاحب تفسير الكشاف على هذه الآيات بقوله: (ولو فليت القرآن كله، وفتشت عما أوعد به العصاة، لم تر الله تعالى قد غلظ في شيء تغليظه في إفك عائشة رضوان الله عليها، ولا أنزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف. واستعظام ما ركب من ذلك، واستفزاز ما أقدم عليه، ما أنزل فيه على طرق مختلفة وأساليب مفتنة. كل واحد منها كاف في بابه، ولو لم ينزل إلا هذه الثلاث لكفى بها، حيث جعل القذفة ملونين في الدارين جميعاً، وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأن ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا وبهتوا، وأنه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم أهل له حتى يعلموا عند ذلك أن الله هو الحق المبين " فأوجز في ذلك وأشبع، وفصل وأجمل، وأكد وكرر، وجاء بما لم يقع في

وعيد المشركين عبدة لأوثان إلا ما هو دونه في الفضاة، وما ذاك إلا  
لأمر".<sup>(١)</sup>

أليس هذا تكريماً للمرأة، تكريماً قرآنياً يتلوه المسلمون رجالاً ونساء  
فيتذكرون هذه المكانة العظيمة للمرأة التي أراد الله سبحانه وتعالى  
تخليدها في القرآن الكريم، ويقرأها الناس في صلاتهم وفي مساجدهم  
وفي حلق الذكر، ليتذكروا هذه المكانة الفريدة للمرأة، ولكي تدرك المرأة  
أن كرامتها وعزتها في هذا الدين الذي رفع قدرها، وحمى عرضها، وأعلى  
شرفها مما لا يمكن أن تجده في غير هذا الدين.

غزوة بني قينقاع بسبب امرأة:

وهل هذا كله في شأن تكريم الإسلام للمرأة؟ لا، بل إنَّ رسول الله  
ص طرد قبيلة كاملة من أرضها بسبب التعدي على امرأة، وتفصيل هذا

<sup>(١)</sup> تفسير الكشاف للزمخشري، (ج ٣/ ٥٦-٥٧).

<sup>(٢)</sup> الروض الأنف (٥/ ٣٩٢).

يتضح من هذه القصة، القبيلة هي قبيلة بني قينقاع، ومن المعروف أن يهود المدينة ينقسمون إلى ثلاث قبائل وهم:

أ- يهود بني قريظة.

ب- يهود بني قينقاع.

ج- يهود بني النضير.

روى ابن هشام عن أبي عون أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ لتشتري منه فجاء يهود إليها يريدون كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها- وهي غافلة- فلما قامت انكشفت سواتها فضحكوا منها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله- وكان يهودياً- فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع".<sup>(١)</sup>

<sup>(١)</sup> «سيرة ابن هشام ت السقا» (٢ / ٤٨): الجلب (بتحريك اللام) : كل ما يجلب للأسواق

ليباع فيها.»

هذه قصة عظيمة خلدتها لنا كتب السيرة لتلفت أنظارنا إلى المكانة العظيمة التي تحتلها المرأة في نظر المسلمين جميعاً، فمسلم واحد في سوق اليهود يرى هذا التصرف من اليهود فيغضب لعرض امرأة من المسلمين ينتهك، ثم يحصل بعد ذلك الاعتداء من اليهود، ولما بلغ الرسول ص الخبر أخرج هذه القبيلة اليهودية بكاملها لسبب يراه الناس بسيطاً لكنه عند الرسول ص عظيم هو التطاول على المرأة المسلمة والتعدي عليها. وهذا يشعر بشيء مهم وهو أن تأمر اليهود على المرأة المسلمة قديم منذ عهد الرسول ص، ولا يزالون كذلك يتآمرون على المرأة المسلمة لإفسادها لما يرونه من التكريم والتميز والمكانة الرفيعة للمرأة المسلمة المعتزة بدينها، ولأنهم يعلمون أنها أهم شيء في البيت المسلم، فمتى تم إفسادها أفسد البيت المسلم، وإذا فسد البيت المسلم فسد المجتمع المسلم.

ومن حفاظه ص على عرض المرأة ما رواه الشيخان في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ص أنه قال: لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم. فقال رجل:



يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، فقال له النبي ص: انطلق فحج مع امرأتك.<sup>(١)</sup>

المرأة التي جاءت تجادل الرسول ص:

«عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: تَبَارَكَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ كُلَّ شَيْءٍ، إِنِّي لَأَسْمَعُ كَلَامَ خَوْلَةَ بِنْتِ ثَعْلَبَةَ، وَيَخْفَى عَلَيَّ بَعْضُهُ، وَهِيَ تَشْتَكِي زَوْجَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ تَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتُ شَبَابِي، وَنَثَرْتُ لَهُ بَطْنِي، حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ سِنِّي، وَانْقَطَعَ وَلَدِي ظَاهَرَ مِنِّي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ. فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيْلُ بِهِؤُلَاءِ الْآيَاتِ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ} [المجادلة: ١].<sup>٢</sup>

ماذا كان رد الفعل لهذه الشكوى من هذه المرأة العجوز؟

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، برقم

٤٨٣٢، مسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم، برقم ٢٣٩١.

<sup>٢</sup> «سنن ابن ماجه» (٣/ ٢١٤ ت الأرئوؤط): وأخرجہ النسائي ٦ / ١٦٨ من طريق جرير،

عن الأعمش، بهذا الإسناد. وهو في "مسند أحمد" (٢٤١٩٥).

فالمرأة العجوز في الغرب بعد أن تبلغ هذه السن ترمى في قارعة الطريق يتصدق عليها الناس، أو تلقى في ملجأ من ملاجئ العجزة لا يهتم بها أحد ولا يسمع شكواها أحد، ينساها أولادها وبناتها وأقاربها، حتى تموت حزينة كئيبة لا تحمل أي قيمة داخل هذا المجتمع الغربي الذي يدعي الحضارة والأخلاق. أما في الإسلام فلدينا هذا النموذج الذي أتحدث عنه وهو نموذج خولة رضي الله عنها التي جاءت تشكي إلى الرسول ص زوجها، فماذا كان رد الفعل لهذه الشكوى في الإسلام، فما برحت من مكانها حتى نزل جبريل عليه السلام أفضل الملائكة من الرب جل وعلا يحمل كلام الله إلى رسول الله ص: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

استشارة الرسول ص للمرأة وأخذه برأيها:

إنها بريرة مولاة عائشة رضي الله عنها!

تقول عائشة رضي الله عنها: جاء رسول الله ص بيتي، فسأل عني خادمتي، فقالت: يا رسول الله! لا والله ما علمت عليها عيباً إلا أنها كانت تترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها، وعجينها، وانتهرها بعض أصحابه فقال: اصدقني رسول الله ص حتى أسقطوا لها به، فقالت سبحان الله، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر.<sup>(١)</sup>

فها هو رسول الله ص يستشير امرأة ضعيفة في المنزل ليعلمنا مكانة المرأة، وقيمة رأيها، واحترامه وجهة نظرها، وأن أولئك الذين يستهينون برأي المرأة لا يمكن أن ينسب فعلهم لهذا الدين فديننا كرم رأي المرأة واحترمها .

وليست بريرة هي المرأة الوحيدة التي سأها رسول الله ص في شأن عائشة رضي الله عنها، بل سأل امرأة أخرى هي: أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها وفي صدد هذا تقول عائشة رضي الله عنها وكان

---

<sup>(١)</sup>«صحيح البخاري» (٦ / ٢٨٩):

رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش زوج النبي ص  
 عن أمري فقال: يا زينب ماذا علمت أو رأيت " فقالت. يا رسول الله  
 أحمي سمعي وبصري والله ما علمت إلا خيرا، قالت عائشة وهي التي  
 كانت تساميني،<sup>(١)</sup> من أزواج النبي ص فعصمها الله تعالى بالورع "<sup>(٢)</sup>.  
 فكون رسول الله ص يسأل امرأتين في شأن عظيم دون الرجال ويثق

برأيهما

فهذا يدل دلالة، كيدة واضحة على تكريم الإسلام للمرأة، فهل بعد  
 ذلك نقول إن الإسلام لم يكرم المرأة؟

وليس هذا فحسب؟ بل إنه ص كان يقدر رأي زوجاته رضي الله  
 عنهن في أمور تخص شؤون المسلمين بصفة عامة، وذلك عندما أشارت  
 عليه أم سلمة رضي الله عنها في صلح الحديبية، وذلك عندما لم يستجب  
 له الصحابة في أن ينحروا بعدما فرغ من توقيع عقد الصلح مع المشركين،

<sup>(١)</sup> [ أي تناولني في الخطوة عنده ] انظر النهاية في غريب الحديث والآثر ج ٢ / ٤٠٥ .

<sup>(٢)</sup> «صحيح البخاري» (٣ / ٥١٦):

فدخل على زوجته أم سلمة فذكر لها ما كان من أمر المسلمين وإعراضهم عن أمره، فقالت له كما ورد في صحيح البخاري "يا نبي الله أتحب ذلك، أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يخلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً".

فهذا الرسول ص يعرض ما واجهه على المرأة وإذا بها تشير بالرأي السديد الذي كان فعلاً هو الرأي الصواب، ففي توجه الرسول ص إلى المرأة وإخبارها بأمره درس آخر مثل درس إخباره لخديجة رضي الله عنها، فهو يوم البعثة يعرض ما واجهه على خديجة رضي الله عنها فيجد عندها المشورة والرأي السديد، وفي يوم الحديبية أيضاً يعرض ما واجهه على أم سلمة رضي الله عنها فيجد الرأي السديد، وكل هذا يدلنا على مدى تكريم الرسول ص للمرأة ورأيها واحترامه لوجهة نظرها.

ومن تعامله ص الذي يدل على تقديره لرأي المرأة ما حصل مع أم حكيم بنت الحارث بن هشام زوجة عكرمة بن أبي جهل استأمنت

لزوجها بعد هروبه إلى اليمن من رسول الله ص فأمنه، فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به رسول الله ص فأسلم.<sup>(١)</sup>

وأيضاً ما حصل مع الخنساء بنت خدام لما أراد أبوها أن يزوجه دون الرجوع إليها وهي ثيب، فرجعت إلى رسول الله ص في ذلك فقضى لها أن يؤخذ برأيها.<sup>(٢)</sup>

قبول الرسول ص إجارة المرأة للرجال:  
ومن المواقف أيضاً التي تدل على تكريم الإسلام للمرأة أن رسول الله ص أجار من أجات أم هانئ.

فالقصة كما ذكرها ابن إسحاق أن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: لما نزل رسول الله ص بأعلى مكة فرإي رجلاً من أحمائي، من بني مخزوم، وكانت عند هبيرة بن أبي وهب المخزومي، قالت: فدخل علي بن أبي طالب أخي، فقال: والله لأقتلها، فأغلقت عليها باب بيتي، ثم جئت

<sup>(١)</sup> السيرة النبوية ج ٤ / ٤١.

<sup>(٢)</sup> أخرجه البخاري (٥١٣٨)

رسول الله ص وهو بأعلى مكة، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوبه، فلما اغتسل أخذ ثوبه، فتوشح به، ثم صلى ثماني ركعات من الضحى، ثم انصرف إلي، فقال: ((مرحباً وأهلاً يا أم هانئ، ما جاء بك))؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر علي، فقال: ((قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنتها، فلا يقتلها)).<sup>(١)</sup>

فهذا الرسول ص يقف مع المرأة ويؤيد رأيها ويخالف رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فهل ساوت المرأة الرجل أم تقدمت عليه، إن الناظر في هذه القصة ليرى وقفة الرسول ص مع رأي المرأة ومساندته لها واحترامه لوجهة نظرها وإقرار تصرفها.

#### بيعة النساء:

صحابيتان شهدتا بيعة العقبة الثانية "الكبرى" من النساء، فقد شهدتها أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية، وأم منيع أسماء بنت عمرو رضي الله عنهما، قال الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمته لأم منيع هذه: وقد أخرج ابن سعد عن الواقدي بسند له إلى أم عمارة قالت: كان

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٣٣٦) باختلاف يسير

الرجال تصفق على يدي رسول الله ص ليلة العقبة والعباس آخذ بيده، فلما بقيت أنا وأم منيع نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتنا معنا يبايعنك، فقال: قد بايعتكما، إني لا أصافح النساء .

انتهى

أما بيعة النساء هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعُهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المتحنة: ١٢].

وهذه البيعة أخذها النبي ص على النساء عندما كنَّ يبايعنه، وكذا أخذها على الصحابة الذين بايعهم في مواطن كثيرة. فلم يكن هامش في الحياة بل هن بيعة ورأي وحقوق وواجبات.



عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ص يبائع النساء بالكلام بهذه الآية: {لا يشرك بالله شيئاً}. قالت: وما مست يد رسول الله ص يد امرأة إلا امرأة يملكها.<sup>(١)</sup>

### دور المرأة في الهجرة:

“في رجب سنة خمس من النبوة هاجر أول فوج من الصحابة إلى الحبشة. كان مكونا من اثني عشر رجلا وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان، ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ص، وقد قال النبي ص فيهما: “إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام”. وقد أمر النبي ص هؤلاء المهاجرين والمهاجرات بالبقاء في المكان الذي هاجروا إليه، ونشر الدعوة الإسلامية هناك، وفي هذه المادة سنتحدث عن نساء الهجرة، المهاجرات إلى الحبشة في المرة الأولى.

<sup>(١)</sup> صحيح البخاري (٩ / ٢١٩):

حدّثت «رقية بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وهي أمّ مخزّمة بن نوفل» الرسول - ص - فقالت: إن قريشاً قد اجتمعت تريد بيّاتك الليلة، فتحول الرسول عن فراشه وبات عليه علي بن أبي طالب.  
وقالت ربيعة - تصف الرسول - ص :-

مَنَّا مِنَ اللَّهِ بِالْمُؤْمِنِ طَائِرُهُ  
وَحَيْرٍ مِّنْ بُشْرَتِ يَوْمًا بِهِ مُضَرُّ  
مُبَارَكُ الْأَمْرِ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِهِ  
مَا فِي الْأَنْامِ لَهُ عِدْلٌ وَلَا خَطَرُ

وكان عمرها آنذاك قد جاوز المائة.<sup>(١)</sup>

ذات النطاقين .. أسماء بنت أبي بكر :

<sup>(١)</sup> كما ذكرت ذلك مصادر عدة، منها «الطبقات الكبير لابن سعد» (١٠ / ٢١٢ ط

المتأمل لدور السيدة أسماء بنت أبي بكر في الهجرة يتعجب إذا ما عرف أنها كانت حينها حاملاً في الشهر التاسع .. فقد كانت تقوم رضي الله عنها بمهمة الإمداد التموين، وكذلك نقل الأخبار إلى النبي ص ورفيقه في طريق الهجرة سيدنا أبي بكر الصديق.. فكانت تتسلق الجبل لتصل إلى الغار حاملة الزاد والماء وكانت قد شقت نطاقها إلى نصفين عندما لم تجد ما تحمل به الزاد، فربطت السفارة التي فيها الطعام بنصفه، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم - "أبدلك الله به نطاقين من الجنة"، ولذلك سميت بـ "ذات النطاقين".

دورها في الجهاد:

١. نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول

الفاضلة المجاهدة الأنصارية الخزرجية النجارية المازنية المدنية . كان أخوها عبد الله بن كعب المازني من البدرين . وكان أخوها عبد الرحمن، من البكائين .

شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وشهدت أحدا، والحديبية، ويوم حنين، ويوم اليمامة، وجاهدت، وفعلت الأفاعيل . روي لها أحاديث، وقطعت يدها في الجهاد . وقال الواقدي: شهدت أحدا، مع زوجها غزية بن عمرو، ومع ولديها . خرجت تسقي، ومعها شن، وقاتلت، وأبليت بلاء حسنا . وجرحت اثني عشر جرحاً.

«فكان ضَمْرَةُ بن سعيد المَازِنِي يحدث عن جدّته، وكانت قد شهدت أُحُدًا تسقى الماء، قالت: سمعتُ رسول الله ص يقول: لمقام نسبية بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان! وكان يراها يومئذٍ تُقاتل أشدّ القتال، وإنّها لحاجةٌ ثوبها على وسَطها، حتى جُرحت ثلاثة عشر جُرحاً، وكانت تقول إنّي لأنظر إلى ابن قَمِيئَةَ وهو يضربها على عاتقها، وكان أعظم جراحها فداوته سنة، ثمّ نادى مُنَادِي رسول الله إلى حمراء الأسد! فشدّت عليها ثيابها فما استطاعت من نَزْفِ الدم، ولقد مكثنا ليلتنا نُكَمِّد الجراح حتى أصبحنا. فلما رجع رسول الله من الحمراء، ما وصل رسول

الله ص إلى بيته حتى أرسل إليها عبد الله بن كعب المازني يسأل عنها، فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسُرَّ بذلك النبي ص.<sup>(١)</sup>

٢. عن السيدة عائشة رضي الله عنها: "كان النبي ص إذا أراد أن

يخرج - تقصد للغزو - أقرع بين نساءه، فأيتهن يخرج سهمها

خرج بها النبي ص، فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها

سهمي، فخرجت مع النبي ص بعد ما أنزل الحجاب"<sup>٢</sup>

٣. عن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ص على ابنة

ملحان، فاتكأ عندها، ثم ضحك فقالت: لم تضحك يا رسول

الله؟ فقال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل

الله، مثلهم مثل الملوك على الأسرة»، فقالت: يا رسول الله ادع

<sup>(١)</sup> «الطبقات الكبير» (١٠ / ٣٨٤ ط الخانجي):

<sup>٢</sup> «صحيح البخاري» (٢ / ٩١٦):

«أقرع بين نساءه) من القرعة وهي أن يختار كل من المتقارعين شيئاً معيناً فيسمى سهمه،

أي نصيبه، وتوضع في وعاء مغلق ثم يستخرج منها واحد فمن خرج سهمه كان هو

صاحب القرعة. (تبتغي) تطلب. (بذلك) بهبتها يومها وليلتها.»

الله أن يجعلني منهم، قال: «اللهم اجعلها منهم»، ثم عاد فضحك، فقالت له مثل - أو مم - ذلك، فقال لها مثل ذلك، فقالت: ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين، ولست من الآخرين»، قال: قال أنس: فتزوجت عبادة بن الصامت فركبت البحر مع بنت قرظة، فلما قفلت: ركبت دابتها، فوقصت بها، فسقطت عنها، فماتت.<sup>١</sup>

٤. قول الربيع بنت معوذ رضي الله عنها: " كنا نغزو مع النبي ص فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة "<sup>٢</sup>

٥. وقول أنس رضي الله عنه عن يوم أحد لما انهزم الناس: " لقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنيهما لمشمرتان تنقلان

---

<sup>١</sup> صحيح البخاري (٤/٣٣٣ ح ٢٨٧٧) باب غزو المرأة في البحر

<sup>٢</sup> «صحيح البخاري» (٣/١٠٥٦): «٢٧٢٧»

القرب على متونها، ثم تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان  
فتملأنها، ثم تحيئان فتفرغانها في أفواه القوم " .

٦ . وقول عمر رضي الله عنه عن أم سليم رضي الله عنها: " إنها

كانت تزفر لنا القرب يوم أحد "

عَنْ أَنَسٍ « أَنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ اتَّخَذَتْ يَوْمَ حُنَيْنٍ خِالَجًا، فَكَانَ مَعَهَا، فَرَأَاهَا  
أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أُمُّ سُلَيْمٍ مَعَهَا خِالَجٌ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ  
اللَّهِ ص مَا هَذَا الْخِالَجُ؟ قَالَتْ: اتَّخَذْتُهُ، إِنَّ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ص يَضْحَكُ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَقْتُلُ  
مَنْ بَعَدَنَا مِنَ الطُّلَقَاءِ انْهَزَمُوا بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ص: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، إِنَّ  
اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ .»

٧. وقول أنس رضي الله عنه: " كان رسول الله ص يغزو بأمر سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى<sup>١</sup> "

٨. «وروى معمر، عن الزهري قال: كان النساء يشهدن المشاهد مع رسول الله ويسقين المقاتلة ويداوين الجراح، ولم أسمع بامرأة قتلت معه، وقد قاتل نساء من قريش يوم اليرموك حتى دهمتهم جموع الروم وخالطوا عسكر المسلمين فضربت النساء يومئذ بالسيوف، وذلك في خلافة عمر.»<sup>٢</sup>

٩. عن أم زياد الأشجعية رضي الله عنها «كما في حديث حَشْرَجُ بنُ زِيَادِ الْأَشْجَعِيِّ، عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ أَبِيهِ، أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص فِي غَزَاةِ خَيْبَرَ وَأَنَا سَادِسَةٌ سِتِّ نِسْوَةٍ، فَبَلَغَ

<sup>١</sup> «صحيح مسلم» (١٩٦ / ٥)

<sup>٢</sup> «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧٧ / ٥)



رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَعَهُ نِسَاءً، فَأَرْسَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: " مَا  
 أَخْرَجَكُنَّ وَيَأْمُرُ مَنْ خَرَجْتُنَّ؟ " فَقُلْنَا: خَرَجْنَا نُنَاقِلُ السَّهَامَ،  
 وَنَسْقِي النَّاسَ السَّوِيقَ، وَمَعَنَا مَا نُدَاوِي بِهِ الْجُرْحَى، وَنَغْزِلُ  
 الشَّعْرَ، وَنُعِينُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: " قُمْنَ فَاَنْصِرْفَنَ ". فَلَمَّا  
 فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْبَرَ، أَخْرَجَ لَنَا سِهَامًا كَسِهَامِ الرِّجَالِ ).  
 قُلْتُ: يَا جَدَّةُ، مَا أَخْرَجَ لَكُنَّ؟ قَالَتْ: تَمْرًا<sup>١</sup>

### وأما جهاد المرأة بالمال:

فالمرأة في الإسلام لها ذمة مالية مستقلة، تتعلق بها الواجبات المالية،  
 ولا فرق بينها وبين الرجال في التصرفات المالية الواجبة، ولا تحتاج في  
 ذلك لإذن أب أو زوج، وكذلك هي حرة التصرف بها في المعاوزات

<sup>١</sup> «مسند أحمد» (٣٧/ ٢١ ط الرسالة

المالية من بيع وشراء، وإن كان الخلق وحسن العشرة يقتضي أن تشاور المرأة أباهما وزوجها في كل ذلك.

وأما في حالة التبرع فيحق لها أن تتبرع من مالها متى شاءت ما دامت رشيدة عند جمهور الفقهاء، وذهب الإمام مالك والإمام أحمد في الرواية الأخرى عنه إلى أن المرأة ليس لها التبرع بما زاد على الثلث من مالها. وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ص قال: «تَصَدَّقْنَ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ»<sup>١</sup>.

وأنهن تصدقن فقبل ص صدقتهن.

فالجهد بالمال إن كان فرض عين فيستوي فيه الرجال والنساء، وإن كان فرض كفاية فكذلك يستوي الرجال والنساء أيضاً في فروض الكفايات إلا ما قام الدليل على اختصاصه بالرجال كالإمامة العظمى والصغرى وذلك لأن فرض الكفاية يخاطب به مجموع الأمة بغض النظر عن فاعله.

<sup>١</sup>: («صحيح البخاري» (٢/ ٥٣٣)

وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

«وَمَنْ عَجَزَ عَنِ الْجِهَادِ بِدَنِهِ وَقَدَّرَ عَلَى الْجِهَادِ بِمَالِهِ وَجَبَ عَلَيْهِ الْجِهَادُ بِمَالِهِ وَهُوَ نَصُّ أَحْمَدَ ...»

فَيَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ الْجِهَادُ فِي أَمْوَالِهِنَّ إِنْ كَانَ فِيهَا فَضْلٌ<sup>١</sup>

قالت أم سنان الأسلمية رضي الله عنها عن جهاد الصحابيات بالمال في غزوة تبوك: "لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ص في بيت عائشة رضي الله عنها فيه مَسْكٌ، ومعاضِدٌ، وخلاخُلٌ، وأقْرِطَةٌ، وخواتيمٌ، وقد مُلِيَءٌ مِمَّا بَعَثَ مِنَ النِّسَاءِ يُعَنَّ بِهَ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَازِهِمْ"<sup>٢</sup> بل كانت الصحابيات الفقيرات رضي الله عنهن اللاتي لا يملكن فائضاً من المال يجاهدن به في سبيل الله تعالى يعملن بالغزل ليجاهدن

<sup>١</sup> «الفتاوى الكبرى لابن تيمية» (٥ / ٥٣٧)

<sup>٢</sup> مغازى الواقدي ج ٣ ص ٩٩٢. المسك: (بفتح أوله وثانيه) أسورة من عاج أو ما شابهه، وواحدته مسكة والمعاضد: الدمالج لانه على العضد يكون واحدته معضدة ومعضد والخلاخل: الحلي والخدمات: واحدتها خدمة وهي الخللخل.

بالمال في سبيل الله تعالى، وقد تقدم أنفاً قول الصحابية أم زياد الأشجعية رضي الله عنها: "وَنَغَزَلُ الشَّعْرَ نُعِينُ بِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"

### الطفلة في السيرة:

عن أم خالد بنت خالد - رضي الله عنها - قالت: أتى رسول الله ص بثيابٍ فيها خميصة سوداء، قال: من ترون نكسوها هذه الخميصة؟!، فأسكت القوم، قال: ائتوني بأمّ خالد، فأتي بي النبي ص فألبسنيها بيده،

وقال: أجلي وأخلي - مرتين -، فجعل ينظر إلى علم الخميصة ويشير بيده إليّ ويقول: يا أمّ خالد هذا سنا - والسنا بلسان الحبشة الحسن -<sup>(١)</sup> أم خالد: هي أمة بنت خالد بن سعيد بن العاص بن أمية، وأمها أميمة بنت خلف الخزاعية إحدى فضليات نساء الصحابة، وُلدت بأرض الحبشة.

<sup>(١)</sup> «صحيح البخاري» (١/ ١٩٣)

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ص: (كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ص ولأبي العاص بن ربيعة، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)<sup>١</sup>

قال ابن حجر في فتح الباري: "وفيه تواضعه صلى الله عليه وسلم، وشفقته على الأطفال، وإكرامه لهم جبراً لهم ولوالديهم"، وقال ابن حجر أيضاً: "ومن شفقته ص ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها بالأرض، وكأنها كانت لتعلقها به لا تصير في الأرض فتجزع من مفارقتها، فيحتاج أن يحملها إذا قام. واستنبط منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدّم الثاني، ويحتمل أن يكون ص إنما فعل ذلك لبيان الجواز."

هدية النبي ص لأمامة:

كان ص يخصّ أمامة رضي الله عنها ببعض بهداياه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أُهدِيَ لرسول الله ص قلادة من جزع (خرز) ملمعة

<sup>١</sup> «صحيح البخاري» (١ / ١٩٣): «وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا.»

بالذهب، ونساؤه مجتمعات في بيت كلهن، وأمّامة بنت أبي العاص ابن الربيع جارية (صغيرة) تلعب في جانب البيت بالتراب، فقال رسول الله ص: كيف ترين هذه؟ فنظرن إليها (زوجاته) فقلن: يا رسول الله ما رأينا أحسن من هذه ولا أعجب! فقال: أرددنها إليّ، فلما أخذها قال: والله لأضعنها في رقبة أحب أهل البيت إليّ، قالت عائشة: فأظلمت عليّ الأرض بيني وبينه خشية أن يضعها في رقبة غيري منهن، ولا أراهن إلا قد أصابهن مثل الذي أصابني، ووجمنا جميعاً، فأقبل حتى وضعها في رقبة أمّامة بنت أبي العاص، فسُريَ عنّا<sup>١</sup>

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (أهدى النّجاشيُّ إلى رسول الله ص حلقة فيها خاتم ذهب فيه فصّ حبشي، فأخذه رسول الله ص بعودٍ، وإنّه لمُعرض عنه أو ببعض أصابعه، ثمّ دعا بابنة ابنته أمّامة بنت أبي العاص فقال: تحلّي بهذا يا بُنيّة. (فتحلّت أمّامة رضي الله عنها بالخاتم

<sup>١</sup> «المعجم الكبير للطبراني» (٢٢ / ٤٤٢)

الذي أهداه إليها جدها ص، كما تحلت بحبه لها، وعطفه عليها، واهتمامه بها<sup>١</sup>.

ومن هذا ما روى الشيخان عن البراء بن عازب، والإمام أحمد عن علي، ومحمد بن عمر عن ابن عباس - رضي الله عنهم - قال ابن عباس: إن عمارة بنت حمزة بن عبد المطلب، وقيل اسمها أمامة قال الحافظ: وهو المشهور وأمها سلمى بنت عميس، كانت بمكة.

فلما قدم رسول الله ص مكة كلم علي بن أبي طالب - رسول الله ص - فقال: علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرائي المشركين؟، فلم ينهه رسول الله ص فخرج بها.

وقال البراء: إن رسول الله ص لما خرج تبعته ابنة حمزة تنادي يا عمي يا عمي، فتناولها علي فأخذ بيدها. وقال لفاطمة - رضي الله عنها -: دونك ابنة عمك، فاختصم فيها زيد وعلي وجعفر، أي بعد أن قدموا المدينة. وكان زيد وصي حمزة، وكان رسول الله ص قد واخى بينها حين

<sup>١</sup> «مسند أحمد» (٤١ / ٣٧٣ ط الرسالة):

واخى بين المهاجرين. فقال علي: أنا أحق بها، وهي ابنة عمي، وأنا أخرجتها من بين أظهر المشركين، وقال جعفر: بنت عمي وخالتها أسماء بنت عميس تحتي . وقال زيد: بنت أخي. ففضى فيها رسول الله ص لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك.»<sup>١</sup> وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنه - «وأما أنت يا علي فأخي وصاحبي» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي»<sup>٢</sup>. وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا.»<sup>٣</sup> وفي حديث ابن عباس - رضي الله عنه - أنت مولى الله ورسوله<sup>٤</sup>

### المرأة المملوكة في السيرة:

١. عن أنس رضي الله عنه قال: إن كانت الأمة من إماء المدينة

لتأخذ بيد النبي ص فتتطلق به حيث شاءت.<sup>(١)</sup>

<sup>١</sup> «صحيح البخاري» (٢/ ٥٥٩):

<sup>(٢)</sup> «صحيح البخاري» (٥/ ٢٢٥٥)



قال العيني رحمه الله: "المُرَاد من الأَخْذ بِيَدِهِ: لَازِمُهُ، وَهُوَ الرَّفْقُ والانقياد، يَعْنِي: كَانَ خَلَقَ رَسُولَ اللَّهِ ص على هَذِهِ المُرْتَبَةِ، هُوَ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِأُمَّة حَاجَةٌ إِلَى بَعْضِ مَوَاضِعِ المَدِينَةِ، وَتَلْتَمَسُ مِنْهُ مَسَاعِدَهَا فِي تِلْكَ الحَاجَةِ، وَاحتاجت بِأَن يمشي مَعَهَا لِقضائِهَا: لما تخلفَ عَن ذَلِكَ حَتَّى يَقْضِي حَاجَتَهَا " انتهى.<sup>(١)</sup>

وعن بريدة قال: خرج رسول الله ص - في بعض مغازيه فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحا أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى، قال لها: إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا، فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ص: إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب، فدخل أبو

<sup>(١)</sup> "عمدة القاري" (٢٢ / ١٤١)، وانظر: "إرشاد الساري" (٩ / ٥١)، "مرقاة المفاتيح"

بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت يا عمر ألقى الدف<sup>١</sup>

٢. وفي الصحيحين من حديث عائشة قالت: دخل علي أبو بكر

وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيانني بما تقاولت به

الأنصار يوم بعث، وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: مزامير

الشیطان في بيت رسول الله ص؟ وذلك في يوم عيد، فقال: يا

أبا بكر لكل قوم عيد وهذا عيدنا.<sup>٢</sup>

٣. عن أبي هريرة: أن امرأة سوداء كانت تقيم المسجد - أو شاباً

- ففقدتها رسول الله ص، فسأل عنها أو عنه، فقالوا: مات،

قال: «أفلا كنتم آذنتُموني، فكأنهم صغروا أمرها، أو أمره،

فقال: «دُلُّوني على قبره»، فدُلُّوه، فصلَّى عليها، ثم قال: «إن

<sup>١</sup> «سنن الترمذي» (٦ / ٢٦٧)

<sup>٢</sup> «صحيح البخاري» (١ / ٣٢٤)

هذه القبور مملوءة ظُلمةً على أهلها، وإن الله تعالى يُنورُها لهم

بصلاحي عليهم<sup>١</sup>

### المواساة وجبر الخواطر

١. عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها قال:

لما مات سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال لها رسول الله: «ألا

يرقأ دمعك ويذهب حزنك، فإن ابنك أول من ضحك الله

إليه واهتز له العرش<sup>٣</sup>»

٢. :عبدالله بن جعفر بن أبي طالب بعث رسول الله ص جيشاً

استعمل عليهم زيد بن حارثة، وإن قُتل زيدٌ أو استشهد

---

<sup>١</sup> «صحيح مسلم» (٣/ ٥٦)

<sup>٢</sup> قتلت من مآثرها لرضي الله عنها تسعة من الروم يوم اليرموك بعمود خبائها أو

فسطاطها كما في تاريخ دمشق !

<sup>٣</sup> «مسند أحمد» (٤٥ / ٥٦٣ ط الرسالة):

فأميركم جعفر، فإن قُتل أو استشهد فأمركم عبدُ الله ابنُ رُوَاحَةَ، فلقوا العدوَّ فأخذَ الرَّايَةَ زِيدٌ فقاتلَ حتَّى قُتل، ثمَّ أخذَ الرَّايَةَ جعفرُ فقاتلَ حتَّى قُتل، ثمَّ أخذها عبدُ الله بنُ رُوَاحَةَ فقاتلَ حتَّى قُتل، ثمَّ أخذَ الرَّايَةَ خالدُ بنُ الوليدِ ففتح اللهُ عليه، وأتى خبرهم النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فخرج إلى النَّاسِ، فحمدَ اللهُ وأثنى عليه وقال: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ لِقُوا الْعَدُوَّ وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فقاتلَ حتَّى قُتل أو استشهد، ثمَّ أخذَ الرَّايَةَ بعده جعفرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ فقاتلَ حتَّى قُتل أو استشهد، ثمَّ أخذَ الرَّايَةَ عبدُ اللهِ بنُ رُوَاحَةَ فقاتلَ حتَّى قُتل أو استشهد، ثمَّ أخذَ الرَّايَةَ سيفٌ من سيوفِ اللهِ خالدُ بنُ الوليدِ ففتح اللهُ عليه، فأمهلَ ثمَّ أمهلَ آلَ جعفرِ ثلاثًا أن يأتِيهم ثمَّ أتاهم. فقال: لا تبكوا على أخي بعد اليومِ أو غدٍ، إني ابني أخي. قال: قال: فجيء بنا كائنًا أفراخ، فقال: ادعوا إليَّ الحلاق، فجيء

بالحلاقِ فحلق رؤوسنا، ثمَّ قال: أمَّا مُحَمَّدٌ فشبيههُ عمَّنَا أبي طالبٍ، وأمَّا عبدُ اللهِ فشبيههُ خَلْقِي وخُلُقِي، ثمَّ أخذ بيدي فأشأها فقال: اللَّهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ وباركْ لعبدِ اللهِ في صفقةِ يمينه قالها ثلاثَ مرارٍ . قال: فجاءت أمُّنا فذكرت له يُتَمَنَّا، وجعلت تفرحُ له فقال: العيلةُ تخافين عليهم وأنا وليُّهم في الدنيا والآخرة؟!!

٣. ذكر المفضل بن غسان، عن الواقدي، قال: كانت أم أيمن اسمها بركة، وكانت لعبد الله بن عبد المطلب، وصارت للنبي ص ميراثاً، وهي أم أسامة بن زيد . وقال أحمد بن أبي خيثمة، عن سليمان بن أبي شيخ: أم أيمن اسمها بركة، وكانت لأم رسول الله، وكان رسول الله ص يقول: " أم أيمن أمي بعد

١ «مسند أحمد» (٣/ ٢٧٩ ط الرسالة):

أمي"، قال: وسمعت مصعب بن عبد الله يقول: أم أيمن أم أسامة بن زيد.

قال الحافظ ابن عبد البر: (كان رسول الله ص يزور أم أيمن بركة هذه، وكان أبو بكر وعمر يزورانها في منزلها كما كان النبي ص يزورها).

٤. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ

اللَّهِ ص يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ

حَرَامٍ تَحْتَ عِبَادَةِ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ص

فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ص ثُمَّ اسْتَيْقَظَ

وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ

نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَرَضُوا عَلَيَّ غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا

الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الْأَسْرَةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسْرَةِ شَكَ

إِسْحَاقُ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ

فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ص ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ

يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يَضْحَكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي

عُرِضُوا عَلَيَّ غُرَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ قَالَتْ فُقُلْتُ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ أَنْتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ  
فَرَكِبْتُ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَصُرِعْتُ عَنْ  
دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجْتُ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكْتُ<sup>١</sup>

٥. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ أُمِّ سُلَيْمٍ  
فَيَنَامُ عَلَى فِرَاشِهَا وَلَيْسَتْ فِيهِ قَالَ فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ فَنَامَ عَلَى  
فِرَاشِهَا فَأُتِيَتْ فَقِيلَ لَهَا هَذَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَامَ فِي بَيْتِكَ عَلَى فِرَاشِكَ  
قَالَ فَجَاءَتْ وَقَدْ عَرِقَ وَاسْتَنْقَعَ عَرْفُهُ عَلَى قِطْعَةِ أُدِيمٍ عَلَى  
الْفِرَاشِ فَفَتَحَتْ عَتِيدَتَهَا فَجَعَلَتْ تُنَشِّفُ ذَلِكَ الْعَرَقَ فَتَعَصَّرُهُ  
فِي قَوَارِيرِهَا فَفَزَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا تَصْنَعِينَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ  
فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَرَجُّو بَرَكَتَهُ لِصِبْيَانِنَا قَالَ أَصَبْتُ<sup>٢</sup>.

<sup>١</sup> البخاري (٢٧٨٩) ومسلم (١٩١٢).

<sup>٢</sup> مسلم (٢٣٣١)

٦. عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة غير بيت أم سليم إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: "إني أرحمها، قُتِلَ أخوها معي" <sup>١</sup>.

قال النووي رحمه الله: (اتفق العلماء على أن أم حرام كانت محرماً له ص. واختلفوا في كيفية ذلك، فقال ابن عبد البر وغيره: كانت إحدى خالاته من الرضاعة. وقال آخرون: بل كانت خالة لأبيه أو لجدته لأن عبد المطلب كانت أمه من بنى النجار) اهـ.

وقال أيضاً: (أُمُّ حَرَامٍ أُخْتُ أُمِّ سُلَيْمٍ، وَقَدْ كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّهِ ص مُحْرَمَيْنِ إِمَّا مِنَ الرَّضَاعِ أَوْ إِمَّا مِنَ النَّسَبِ فَتَحَلُّ لَهُ الْخُلُوةُ بِهِمَا أَوْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً أَلَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَزْوَاجَهُ).

<sup>١</sup> «صحيح البخاري» (٣/ ١٠٤٦): «٢٦٨٩» وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة، باب:

من فضائل أم سليم أم أنس ابن مالك .. ، رقم: ٢٤٥٥.



٧. ذكر الإمام ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة وغيره

الشيء بنت الحارث هي حذافة بنت الحارث بن عبد العزى

بن رفاعة السعدية وقيل جذامة، ولقبها الشياء، من بني سعد

من قبيلة هوازن وهي أخت الرسول محمد من الرضاعة

وقعت في السبي في أيدي المسلمين يوم هوازن، وأخذوها

فيمن أخذوا من السبي، فقالت لهم: «أنا أُخْتُ صاحبكم»،

فلما قدموا بها على رسول الله ﷺ قالت له: «يا محمد، أنا

أُخْتُكَ»، وعرفته بعلامة عرفها، فرحب بها، وبسط لها رداءه،

فأجلسها عليه، ودمعت عيناه، وقال: «إِنْ أَحْبَبْتِ فَأَقِيمِي

عِنْدِي فَأَقِيمِي مُكْرَمَةً مُحِبَّةً؛ وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ

أَوْصَلْتُكَ»،

فقلت: «بل أُرْجِعْ إلى قومي». فأسلمت، فأعطاها رسول الله ص  
ثلاثة عبيد وجارية وأعطاها نَعَمًا وشاة، وكان ذلك سنة ٨هـ.<sup>١</sup>

٨. عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: لما دخلتُ صَفِيَّةً على النَّبِيِّ

ص قال لها ( لم يزل أبوك من أشد يهود

لي عداوة حتى قتله الله ) فقالت: يا رسول الله إن الله يقول في كتابه ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) الأنعام / ١٦٤ ، فقال لها رسول الله: اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي، وإن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك، فقالت: يا رسول الله لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إلي من العتق وأن أُرْجِعْ إلى قومي، قال: فأمسكها رسول الله لنفسه.<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨ / ٢٠٦):

<sup>٢</sup> "الطبقات الكبرى" (٨ / ١٢٣)

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْبَرَ ... فَبَنَى بِهَا ثُمَّ صَنَعَ حَيْسًا فِي نِطْعٍ صَغِيرٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ آذَنُ مَنْ حَوْلَكَ فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَفِيَّةَ ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ قَالَ فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يُحْوِي هَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ فَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرَكَبَ . عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: ... قالت صفية: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض الناس إليّ قتل زوجي وأبي وأخي فما زال يعتذر إليّ ويقول: ( إن أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي )<sup>١</sup>.

### المرأة الكافرة في السيرة:

<sup>١</sup> رواه ابن حبان في " صحيحه " ( ١١ / ٦٠٧ ) ، وحسنه الألباني .

١. عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ص رأى في بعض

مغازيه امرأة مقتولة فأنكر ذلك، ونهى عن قتل النساء

والصبيان .<sup>١</sup>

٢. وعن رباح بن الربيع بن صيفي قال: كنا مع رسول الله ص في

غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلاً، فقال:

انظر على ما اجتمع هؤلاء؟، فجاء، فقال: امرأة قتيل، فقال:

ما كانت هذه لتقاتل، وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فبعث

رجلاً، فقال: قل لخالد: لا يقتلن امرأة، ولا عسيفاً "أجيراً"

٢.

٣. أما التي أباح النبي قتلها هي من بني قريظة، وقد قتلت

قصاصاً لأنها أسقطت رحاً على أحد المسلمين فقتلته، وهذا في

---

<sup>١</sup> «مسند أحمد» (٨ / ٣٦٠ ط الرسالة):

<sup>٢</sup> «سنن أبي داود» (٤ / ٣٠٤ ت الأرئووط): «العسيف "الأجير والتابع».

الراجح من أمرها. أما خبر مقتل عصماء بنت مروان الذي

يروج له هؤلاء الأفاكون فهو خبر موضوع!

٤. عدد القتلى التقريبي في كل غزوات النبي ﷺ وسراياه من

المسلمين والمشركين، يتراوح بين ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ قتيل

كأقصى حد متصور. والثابت أنه لم توجد امرأة مقتولة في

معارك النبي ﷺ إلا واحدة، وهي التي كانت في حنين؛ لذا

كانت الروايات كلها تشير إلى تلك القصة في الراجح.

٥. لم يحدث قتل ذرية وأطفال قصداً مع أهلهم المقاتلين في كل

معارك النبي ﷺ إلا في إحدى سراياه بعد حنين، والعدد غير

معروف، لكن أجواء السرية يشير إلى عدد محدود جداً، وقد

بينت ملابسات هذا الحدث؛ حيث كان خطأ ميدانياً استحق

القائمون به اللوم من النبي ﷺ.

٦. لم تقع أي حالة اغتصاب في كل معارك النبي ﷺ.

٧. ومن ذلك ما أخرجه البخاري رحمه الله في صحيحه مطوّلاً وفيه أنّ النّبِيَّ ص كان مع أصحابه وأنّه أصابهم عطش، وأنّه أرسل رجلين بستقيان فوجد امرأة على بعير لها بين مزادتين والمزادة هي قربتان يخاط بعضهما ببعض ويجعل بينهما صفيحة من أجل أن تحمل ماء أكثر فسألاها عن الماء قالت عهدي بالماء أمس مثل هذه السّاعة يعني بينهم وبين الماء يوم وليلة، فدعواها إلى أن تأتي إلى رسول الله ص وقالوا: ائتي معنا إلى الرّسول ص قالت: من الرّسول ص أهو الصّابئ؟ لأنّ المشركين يسمّونه الصّابئ والصّابئ هو الذي خرج عن دين قومه، فقالوا هو الذي تعين ولم يقولوا هو الصّابئ، هو الذي تعين يعني هو الذي تريدين، أتياها إلى النّبِيَّ ص وأنزلا المرأة والنّبِيَّ ص فتح أفواه المزادتين ونفث فيهما ثمّ أمر النّاس فاستقوا وشربت الإبل، وكانوا نحو ثمانين رجلاً أو أكثر ثمّ

أمر لها بطعام فجيء بطعام لها تمر وحبّ ودقيق، ثمّ أذن لها النبيّ ص أن تنصرف إلى قومها ولم تنقص مزاداتها شيئاً عادت كما هي بالأمس، ثمّ ذهبت إلى قومها فسألوها لماذا تأخرت؟ قالت: صادفت كذا وكذا وإني جئتكم من أسحر الناس أو ممن هو صادق أنّه نبيّ، هذا هو الحديث وهو أطول ممّا ذكرت لكن هذه خلاصته فصار الصحابة رضي الله عنهم يغزون ما حولها ولا يأتون صرمها يعني قومها وفي النهاية أسلموا ببركة ما حصل لها من الماء الذي استقى منه النبيّ ص وأصحابه.<sup>١</sup>

٨. وفي السيرة النبوية لابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير وغيرهما: "أن بنت حاتم الطائي سفانة كانت في حظيرة بباب المسجد، كانت السبايا يُجَبَّسْنَ فيها، فمرّ بها رسول الله

---

<sup>١</sup> «صحيح البخاري» (٣/ ١٣٠٩):

ص، فقامت إليه، وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن عليّ من الله عليك، قال: ومن وافدك؟ قالت: عدي بن حاتم، قال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضى رسول الله ص وتركني، حتى إذا كان من الغد مرّ بي، فقلت له مثل ذلك، وقال لي مثل ما قال بالأمس، قالت: حتى إذا كان بعد الغد مرّ بي وقد يئست منه، فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميّه، قالت: فقمتم إليه، فقلت: يا رسول الله هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي من الله عليك، فقال ص: قد فعلت، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة، حتى يبلغك إلى بلادك، ثم أذنيني (أخبريني)، فسألت عن الرجل الذي أشار إلي أن أكلمه فقبل: علي بن أبي طالب، وأقمت حتى قدم ركب من بلى أو قضاة، قالت: وإنما أريد أن آتي أخي بالشام،



قالت: فجئت رسول الله ص فقلت: يا رسول الله، قد قدم رهط من قومي، لي فيهم ثقة وبلاغ، قالت: فكساني رسول الله ص، وحملني، وأعطاني نفقة، فخرجت معهم حتى قدمت الشام!

٩. ومن ذلك قال ابن إسحاق: وَقَالَتْ قُتَيْلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، أُخْتُ (ويقال بنته) النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ، تَبَكِّيهِ أَبِياتَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَيَقَالُ، وَاللَّهِ أَعْلَمُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغَهُ هَذَا الشُّعْرُ، قَالَ: لَوْ بَلَغَنِي هَذَا قَبْلَ قَتْلِهِ لَمَنْتُ عَلَيْهِ.

### التعليم

١. بلغ عدد قائمة الصحابييات التي وردت لهن أحاديث في مسند بقي بن مخلد (٢١٦) صحابية (مجموع من لهن روايات من الصحابييات في الكتب الستة بشكل مباشر أو غير مباشر، بلغ

١ وانظر «الأحاديث الطوال للطبراني» (ص ١٩٣):

حوالي مائة وخمس عشرة صحابية، حيث روى الإمام البخاري في صحيحه عن إحدى وثلاثين صحابية، وروى مسلم عن ست وثلاثين صحابية، وروى أبو داود عن خمس وسبعين صحابية، والترمذي عن ست وأربعين صحابية، والنسائي عن خمس وستين صحابية، وابن ماجه عن ستين صحابية.

٢. عن الشفاء قالت: دخل عليّ رسول الله ص وأنا عند حفصة،

فقال لي: «أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُفِيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الْكِتَابَةَ»<sup>١</sup>.

٣. عن أبي بردة عن أبيه قال، قال رسول الله ص: ثلاثة لهم أجران

فذكر منهم، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها،

وعلمها فأحسن تعليمها، وأعتقها فتزوجها فله أجران<sup>٢</sup>

<sup>١</sup> روى أحمد في "المسند" (٣٧٢/٦) وأبو داود في "السنن" (٣٨٨٧)

<sup>٢</sup> الإمام البخاري في الصحيح، باب تعليم الرجل أمته وأهله

٤ . ومن ذلك ما ذكره الحافظ في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/

: (١٣٠)

"رابطه بنت حسان بن عنزة بن ثامرة ، من سبي هوازن، وهبها رسول الله ص لعل بن أبي طالب فعلمها شيئاً من القرآن".

٥ . أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية رضي الله عنها.

وقصتها رواها البيهقي في سننه باللفظ الآتي.... : فقد كان

رسول الله ص يزورها ويسميها الشهيدة، وكانت قد جمعت

القرآن، وكان رسول الله ص حين غزا بدرًا قالت: أتأذن لي

فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمراض مرضاكم لعل الله

يهدي لي شهادة، قال: فإن الله تعالى مهد لك شهادة، فكان

يسميها الشهيدة، وكان النبي ص قد أمرها أن تؤم أهل دارها،

وإنها غمتهما جارية لها و غلام كانت قد دبرتهما فقتلها في إمارة

عمر، فقيل: إن أم ورقة قتلتها جاريتهما و غلامها وإنما هربا،

فأتي بهما فصلبهما، فكانا أول مصلوبين بالمدينة، فقال عمر

رضي الله عنه صدق رسول الله ص كان يقول: انطلقوا نزور  
الشهيدة . كما رواها أبو داود في السنن والطبراني في المعجم  
الكبير بألفاظ قريبة من رواية أبي داود . والله أعلم . عن أم  
ورقة بنت عبد الله بن الحارث الأنصارية، أنها كانت قد جمعت  
القرآن، وكان النبي ص قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها  
مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها .

الخاتمة: بعد هذا التطواف السريع مما للمرأة المسلمة من أوليات  
وسابقات وبيعة وجهاد وهجرة وشورى ونقل للسيرة لا يبقى شك أنها  
أصل من أصول نقلها وأصل من أصول القيام بعبء الدعوة في  
البدايات وفي علم الشائل وما نقلته أمهات المؤمنين من داخل بيت  
النبوة ما يكفي ويشفي !

اللهم أحسن ختامنا واحشرنا مع صاحب السيرة الغراء والملة  
البيضاء وأحبابنا وأهلنا ... اللهم آمين

## السيرة النبوية وبناء الشخصية المؤثرة

يقدمها نيابة عن:

أ. أحمد بن إسماعيل كتيبي

المدرّب والمشرف التربوي بإدارة تعليم مكة

سابقاً

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على من بعثه الله هادياً للناس ودليلاً إلى الهدى، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه الورقة بعنوان: السيرة النبوية وبناء الشخصية المؤثرة والموضوع بصيغته المحددة هذه قليل التداول في نتاج المهتمين بالسيرة النبوية، إلا أنه يأتي في صور عدة كلها في خاتمة الأمر تؤشر إلى هذا المعنى وهو قوة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وتأثيرها على الفاعلين المؤثرين في نهضة هذه الأمة ورفاهها.

وقبل البدء بالحديث عن موضوع الورقة أحب أن أبدأ بكشف المعاني المقربة لأركان هذا البحث الثلاثة، وهي:

١. السيرة النبوية.

٢. البناء.

٣. المؤثرين.

أولاً: السيرة النبوية: وهي أشهر من أن تعرّف، فهي الصورة العملية لأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ومعاملاته وسعيه وتعليمه وتربيته وإيمانه وعبادته وسفره وجهاده ودعوته وبرّه ورحمته وآثاره وأخباره، وأوسع من ذلك وأشمل.

لكن يحسن بنا أن نشير إلى قوة السيرة النبوية وعظيم تأثيرها وحاجة المسلمين الماسّة إليها، لأنها التطبيق العملي لأخلاق الإسلام، والبيان البليغ لقيمه، والصورة البديعة لمحاسنه، ولذلك فإن المسلمين اليوم بحاجة ماسّة للمهتمين بالسيرة النبوية ليظيلوا النظر والتأمل ويعملوا الفكر في سيرة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، ليستنبطوا منها قواعد النجاح وأصول التربية وأسباب السعادة الاجتماعية وحصون الصحة النفسية وطرق حل المشكلات ووسائل الاستقرار الأسري والإحسان الأخلاقي والنهضة الحضارية.

فمن عطائكم معشر المهتمين بالسيرة النبوية يستمد المؤثرون طاقتهم للإصلاح والبناء، فالخطيب والمعلم وأستاذ الجامعة والقادة والمربون والدعاة والأمهات الصالحات، والخيرون، يتلمسون أسباب التأثير ووسائل إحياء القلوب والعقول من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم أعظم المؤثرين.

ثانياً: البناء

والبناء؛ فيه معاني العمق والتراكم الرأسي، والبناء مرادف لمعاني الجودة، حيث يتم التدرج في الإنشاء، بوضع القواعد: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل}. ثم توضع كل لبنة في مكانها وتوثق، ثم يرتقي البنيان حتى يبلغ سماء المجد.

ثالثاً: المؤثر: اسم فاعل من أَثَّرَ، والمؤثر: من لَه أُسْلُوبٌ مُؤَثِّرٌ فِي النَّاسِ، والمؤثر: فَعَّالٌ، ذُو أَثَرٍ، ويقال: خِطَابٌ مُؤَثِّرٌ، أي: بِالْبَإِغِ الْأَثَرِ، يَهْزُ الْمَشَاعِرَ وَيُحْدِثُ فِي النَّفْسِ انْطِبَاعًا وَانْفِعَالًا، وَصَوْتٌ مُؤَثِّرٌ، أي: مُحَرِّكُ الْعَاطِفَةِ، لَهُ وَقَعٌ فِي النَّفْسِ.



وقد سُرق المصطلح وألصق زوراً بمشاهير الميديا، ولا شكَّ أنَّ لبعض هؤلاء المشاهير تأثيراً فعَّالاً في الجمهور، ومتى كان الأثر غير محمود كإثارة نهم الناس نحو التشيؤ (حيازة الأشياء)، أو إفشاء عمل فيه مفسدة دينية أو دنيوية، عدَّ ذلك عيباً لا محمداً.

ولتحرير المصطلح؛ أقول: إنَّ مقصد القائمين على هذا الملتقى هم: المؤثرين إيجاباً على عقول الأمة ووعيتها وطبَّها ودوائها وصناعتها وتجارتها وزراعتها، وعزَّها ونمائها ونهضتها.

ولمَّا كان هؤلاء المتأثرين بسيد المؤثرين صلى الله عليه وسلم، موزعون على أوراق هذا الملتقى المبارك، حيث هناك محور للإعلام وآخر للأسرة وآخر للدعاة وآخر للمرأة، فقد رأيت أن أركِّز على محورين اثنين لهما تعلق مباشر بعنوان هذه الورقة: السيرة النبوية وبناء الشخصية المؤثرة.

المحور الأول: قوة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وتأثيره العميق في المؤثرين، والثاني: أثر النبي صلى الله عليه وسلم في العالم.

والدارسات التي اشتملت على المحورين السابقين كثيرة انتقيت لكم منها ما وصلت إليه يدي وقلمي حيناً بالذكر المجرد وحيناً بالتلخيص والبيان، والله الموفق والمستعان.

وأذكر على سبيل الإجمال تسعة مؤلفات:

١. محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى، مكتبة محمد علي صبيح، مصر-القاهرة-، ١٣٨٨ هـ-٢.
٢. سيرة الرسول في القيادة والمناهج الإنسانية-سيرة تحليلية-، سالم الصفار، دار الثقلين، لبنان-بيروت-، ١٤٢٠ هـ.
٣. محمد صلى الله عليه وسلم قائد الأمم، إسماعيل حلمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر-القاهرة- ١٤١٧ هـ.
٤. محمد صلى الله عليه وسلم نبي الإنسانية، محمد حسين، دار الشروق، لبنان-بيروت-، ١٤٠٠ هـ.
٥. ماذا قدّم النبي صلى الله عليه وسلم للإنسانية، رقيه طه علواني، مجموعة الكمال المتحدة، ودار النهضة، سورية-دمشق-، ١٤٢٨ هـ.

٦. أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي، يحيى الشهري، الجمعية العلمية السعودية - الرياض -، ١٤٢٩ هـ.
٧. أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي، فايز الأسمري، مدار الوطن، السعودية - الرياض -، ١٤٢٥ هـ.
٨. أثر محمد صلى الله عليه وسلم في العالم، محمد الصادق عرجون، مكتبة الإسكندرية، مصر - الإسكندرية -، د.ت.
٩. أسرار القيادة والتأثير، سليمان بن عوض قيمان، السعودية - جدة - طبعة خاصة، د.ت.
- وقد اخترت لكم مما سبق نموذجين أعرض لها بالتعريف المختصر.
- الكتاب الأول: أثر معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي، ليحيى الشهري.
- وجاء بحثه في تمهيد وفصلين وخاتمة.
- في التمهيد: عرض الباحث لطرف من أخلاقه الشريفة صلى الله عليه وسلم وبعثته على وجه الإجمال.

- وفي الفصل الأول: بين الباحث أخلاقه الشريفة وأثرها في نشر دعوة الإسلام، وشملت أخلاقه الرأفة والرحمة والتواضع ولين الجانب والكرم والجود.

- وفي الفصل الثاني: عمّق الباحث النظر في شخصيته صلى الله عليه وسلم القيادية وتناولها من ثلاثة جوانب أيضاً: شجاعته وقوة بأسه صلى الله عليه وسلم، وعفوه عند المقدرة، وبره ووفائه بالعهود.

- وفي الخاتمة: أتى الباحث بأهم الدروس والعبر المستفادة من أخلاقه الشريفة، وكيف نوظفها في نشر هذا الدين العظيم والتأثير على المسلمين وغير المسلمين، وقد جاء البحث مختصراً في ١١١ صفحة.

والكتاب الثاني: محمد صلى الله عليه وسلم المثل الكامل، محمد أحمد جاد المولى.

وكان الكتاب شرارة التأليف في هذا السياق، حيث كتبه رحمه الله في عام ١٣٨٨هـ، وتبعه على ذلك جماعة، منهم محمد بن علوي مالكي في كتابه (محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل)، المطبوع سنة ١٤٠٧هـ ومحمد متولي شعراوي في كتابه: (الإنسان الكامل محمد صلى الله عليه

وسلم) المطبوع سنة ١٤١٤ هـ، وعبدالفتاح إمام في كتابه: (محمد صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى في الكمال الإنساني) دون تاريخ طبع. وبالرجوع إلى كتاب محمد جاد المولى، محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، فإنّ الكتاب جاء في قرابة ٢٧٠ صفحة وقسمه الكاتب إلى عشرة أبواب:

بدأه ببابٍ عنوانه: إلى محمد صلى الله عليه وسلم ترد الفضائل جميعها، وفيه تحدّث عن فضائله الذاتية: مولده نسبه، وحسن خلقته وكمال منطقته وعقله وشجاعته، ورغبته عن الدنيا، وخشيته ربه، واحترامه نفسه. واحترامه لنفسه عنى به الكاتب أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان بريئاً من الرياء والتصنع، مستقل الرأي، وكان يعرف لنفسه قدرها. ثم تحدّث الكاتب عن فضائله صلى الله عليه وسلم الاجتماعية: جوده وسخائه، وحسن معاشرته، وعفوه، وحسن سياسته، وثباته. وفي الباب الثاني تحدّث الكاتب عن مكانة النبي بين الرسل عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

وفي الباب الثالث: تناول الأسباب الاجتماعية والاقتصادية التي اقتضت بعثته ودرس حال الفرس والرومان والهند وحال البلاد العربية.

وفي الباب الرابع: تحدث عن مراحل النبوة.

وفي الباب الخامس: ساق الأدلة العقلية على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، ومثّل لها: بانتشار الإسلام بسرعه، وإخباره بالمغيبات، ووصفة أمراض المجتمع ودواءه، وعجز العرب وهم أفصح الخلق عن معارضة القرآن الذي نزل عليه.

وفي الباب السادس: بيّن نجاح النبي الاجتماعي باعتباره أحسن المصلحين وحثه في المعاهدات واستقبال الوفود وعرج بالتفصيل للوفود واستدل على صدق نبويه بنجاحه في حروبه ومثّل ببدر والفتح. والباب السابع: عنون له الكاتب: بمحمد أوفى الأنبياء، وهنا تعمق الكاتب في مقاصد الإسلام وأثره في إعداد الفرد المسلم للحياة والريادة، وتناول أيضاً فلسفة الإسلام في إصلاح المجتمع، وإنصاف المرأة ورفع شأنها، وأسهب في هذا الباب لينفي عن الإسلام شبهة هضم حقوق

المرأة، فتحدّث عن الميراث وقيمة المرأة كزوجة، وعناية الإسلام بها كأمّ، وما اختصت به المرأة دون الرجل.

وقصد به: فرض الجهاد على الرجل دون المرأة، وأنّه لا تجب عليها صلاة الجمعة والعيدين، ولا جزية على المرأة إذا غلب المسلمون على بلد غير مسلم، ونفقة المرأة على زوجها وإن كانت غنية.

وتحدّث عن الطلاق والحجاب والمنظومة الإسلامية الكاملة التي حرصت على تحرير الناس من رق العبودية بخلاف ثقافات عديدة تبوأَت الصدارة في الأرض ردحاً من الزمن.

وفي البابين الثامن والتاسع: تناول شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وشرفه ووجوب الإيمان به.

ثم أتى في الباب العاشر: بموجز للسيرة النبوية الشريفة مبتدأً بمولده ومنتهاً بوفاة ودفنه صلى الله عليه وسلم.

ومن روائع الكلم ما قاله الكاتب في بعض فصول الكتاب حين عرّف بمعنى الكمال، فقال: الشخصية الكاملة هي التي تلقى في قلوب أهل جيلها احتراماً وهيبة وتحملهم على محاكاته وتجب إليهم طاعته ثم

تصبغهم بصبغته وتخلف في نفوسهم أساساً جديداً لتقبل عقيدته وآرائه  
ويتصل تأثيرها هذا بقلوب الأجيال القادمة فتظل عظمته خالدة.  
كان محمد صلى الله عليه وسلم هو صاحب هذه الشخصية الكاملة.  
وختمت ورقة العمل كما بدأت بحمد الله والصلاة والسلام على رسوله.



# السيرة النبوية والصحة الأسرية

يقدمها

د. سليمان بن عوض قيمان

الأستاذ المساعد بكلية السنة وعلومها بجامعة

منيسوتا الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، بنعمه تتم الصالحات وبه تطيب الحياة، وأصلي وأسلم على خير البرية وقدوة الإنسانية سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلم تسليماً كثيراً، وبعد:

عنوان هذه الورقة: السيرة النبوية والصحة الأسرية، وهي تشمل الجانبين الجسدي والنفسي.

وقد اعتنى أهل العلم بهذين الجانبين وانتقل الطب النبوي الجسدي والروحي من جيل إلى جيل، حتى عمد بعض الصالحين إلى تدوينه وتبويبه وشرح طرق الانتفاع به، وإلحاق ما اكتسبته البشرية من علوم ومعارف بالتجربة بالطب النبوي، في مؤامة بين ما أورثه النبي صلى الله عليه وسلم من أشفوية البدن والصدر، وما يتفق مع هذا الموروث من طرائق وتجارب.

والمسطور قديماً في باب الطب النبوي كثير، ومتنوع، وقد اخترت لكم منه نموذجين:

الأول: موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبدالله بن أحمد بن اسحاق (ت ٤٣٠هـ). تحقيق مصطفى خضر التركي، دار ابن حزم، لبنان - بيروت -، ١٤٢٧هـ.

نظرة تفصيلية في موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم الأصبهاني من أقدم الكتب في الباب، وصار مرجعاً للكتب الحديثة في الطب النبوي.

وأشار المحقق في مقدمته إلى أن الكتاب يحتوي إجمالاً على الأحاديث النبوية في الطب وحفظ الصحة والوقاية من الأمراض وطرق التداوي، ويحتوي تفصيلاً على الطب الوقائي والتداوي عن طريق الرقية والانتفاع بالأغذية والنباتات.

وقد جهد المحقق في مقدماته في بحث الخلاف في مصادر الطب النبوي، وعرج على الطب عند العرب في عصر النبوة ومصادر معلومات النبي صلى الله عليه وسلم الطبية.

وأسهب المحقق في التقديم وقاربت المقدمات عن حياة أبي نعيم وآثاره  
المائة صفحة، والمقدمات البحثية المعتادة قرابة مائة أخرى، وبقية الكتاب  
أكثر من ٦٠٠ صفحة.

#### الفصل الأول: مصادر الطب النبوي

وذكر فيه تأثر العرب بجيرانهم من الإيرانيين (الفرس) والبيزنطيين  
(الروم)، ونقلهم علوم الطب عنهم، وكذلك الطب اليوناني القديم،  
وعرّف بالحارث بن كلدة، الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي  
سنة ٥٠ هـ، واستشهد بوصية النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي  
وقاص رضي الله عنه، حين شكّا إليه بعد فتح مكة وجع فؤاده، فقال:  
إنك رجل مفؤود، أت الحارث بن كلدة أخا بني ثقيف فإنه رجل  
يتطبب، فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن بنواهن ثم ليلدك  
بهنّ. والحديث في سنن أبي داود، والمفؤود: الذي يشكو وجع الفؤاد وهو  
القلب أو غشاؤه، وقيل: الفؤاد؛ الصدر، ويقال: رجل مصدور، أي:  
يشكو وجع صدره.

واللدُّ من اللدود، وهو صبُّ الدواء في الفم، فأمره أن يطحن التمر بنواه ويلينه بالماء، ويسقيه سعداً للشفاء.

وذكر المحقق، ضهاد الأزدي رضي الله عنه؛ الذي جاء فأسلم وقصته مشهورة.

وذكر آخرين ممن اشتهر بالطب من العرب قبل الإسلام، وفي صدره الأول من الرجال ومن النساء، ومنهم شفاء بنت عبد الله القرشية التي كانت تحسن علاج الأمراض الجلدية وعلمت طرفاً من ذلك لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وذكر عائشة رضي الله عنها وعلمها بالطب وطرق التداوي وأسماء الأدوية، ولما سئلت عن ذلك قالت: كان رسول الله رجلاً مسقماً، وكان يقدم عليه وفود العرب والعجم، فتنعت له فتعلمت ذلك. وقد أخرجه الحاكم في المستدرک وصححه ووافقه الذهبي، وله ظهير في مسند أحمد.

وقد قسّم المحقق الوارد في الطب النبوي إلى قسمين:

السنة المستمدة من الوحي ومصدرها إلهي، والسنة المستمدة من الاجتهاد النبوي، والتي مصدرها بشري من علوم التداوي المتداولة آنذاك.

وناقش المحقق مسألة: هل كل ما ينسب إلى النبي من سنته أوحى إليه أو يدخل فيها التجربة البشرية مع الوحي.

وذكر المحقق رأي ابن القيم ومن وافقه بأنَّ طب النبي ليس كطب الأطباء وأنه قطعي إلهي صادر عن الوحي، ووافق ابن القيم من المعاصرين محمد أبو شهية.

وناقش المحقق هذا الرأي وللمحقق رأيه المخالف، وذكر أن التحقيق في المرويات في الطب النبوي، أن بعضها لا تستمد من الوحي، وأخرى مستمدة من الوحي ولها حكم التشريعي.

ورأى أنه لا يوجد حديث يلزم بأخذ المعارف الطبية من الوحي، لكن المواضيع التي أولها النبي صلى الله عليه وسلم الاهتمام كشارع تمحورت حول الطب الوقائي والتدابير الفردية والجماعية والنظافة وتجنب التشاؤم والمعتقدات الباطلة، والبحث عن طرق التداوي.

واستشهد لذلك بحديث: عليكم بهذا العود الهندي، وحديث: الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين، ورأى أنها ناشئة عن التجربة البشرية للنبي صلى الله عليه وسلم لا الوحي.

ثم سرد المؤلفات في باب الطب النبوي وذكر قرابة ٤٠ منها.  
ثم شرع المحقق في تحقيق كتاب موسوعة الطب النبوي لأبي نعيم، وجاء جهده منصباً على تخريج الأحاديث وعزو الآيات والتعريف بالغريب، وجدير بالذكر أن موسوعة الأصبهاني جاءت بتفاصيل تعجز عنها إرادة من أراد الحصر:

وقد جعل المصنف فصولاً لفضل الطب ومعرفة تركيب البدن وتدبير الصحة ومعرفة العقاقير ومنافعها، والحمية ومنافعها والفواكه واللحوم وما يتولد منها، وأسماء العلل وتدبير المرض، من قبيل السعوط والاكتحال وطرق علاج الام القدم والظهر وأتى على الأمراض الجلدية ووصايا للحمل والحجامة والفصد وتكميد الجراح وأوجاع المعدة والقولنج وشي يعجب له كل قارئ.

كان هذا الاختيار الأول من كتب الطب النبوي قديماً

والثاني: كتاب الطب النبوي للحافظ الذهبي، محمد بن أحمد أبو عبدالله  
(ت ٥٧٤٨هـ). تحقيق أحمد رفعت البدرأوي، دار إحياء العلوم، لبنان -

بيروت-، ط٣، ١٤١٠هـ

أكد المحقق في مقدمته على أن الذهبي قدّم المفهوم الشامل للطب الذي  
يشمل علاج السلوك والأخلاق وحفظ أمن المجتمع مع الطب  
والتداوي المعروف.

وقد افتتح الذهبي كتابه بالدعوة إلى سؤال الله العافية، وأورد أن قاعدة  
الطب الكبرى في الإسلام: أنه ما نزل داء إلا ونزل له دواء، وأشار إلى  
أنّ الطب علم ينبغي الوقوف عليه وطلبه من بابه، وحذّر من ممارسة  
الطب لمن لا يحسنه، وأورد إلزامه بالضمّان إذا تلفت بطنه الفاسد نفس،  
وأورد الآثار والعقوبات التي وعد بها المفتتون على الطب، وأشار إلى  
فضل الأطباء أهل الدراية وعظيم أجرهم عند الله.



كما تناول الذهبي في كتابه تشريح الجسم البشري وكيف يصل الغذاء والدواء إلى الأعضاء، وتحدث كذلك عن آداب زيارة المريض، وتحدث عن السماع وآثاره في المخ والأعصاب، وتأثيره على سلوك الإنسان. وأسهب الذهبي في ذكر الأعشاب وأسمائها ومنافعها وأساليب التداوي بها، وكذلك الأغذية النافعة وطرق التداوي بها، وتكلم عن الحمية والفصد والحجامة ومنافعها.

وتجدر الإشارة إلى أن مفهوم الذهبي للطب النبوي جاء شاملاً حتى أورد حديث الصلاة شفاء وأطبب في ذكر منافع الصلاة وآثارها الصحية والروحية.

وأشهر كتب الطب النبوي كتاب ابن القيم

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، وهو جزء من كتاب زاد المعاد في هدي خير العباد. الناشر: دار الهلال، لبنان - بيروت -، د ت.

والكتاب غني عن التعريف والتوصيف.

وفي عصرنا الحاضر تعددت المصنفات في شأن الطب النبوي، والهدايات الصحية في السيرة النبوية، وقد نقلت لكم قدراً يسيراً مما سطره قلم شيخنا العلامة خلدون الأحذب.

وكنت قد زرت الشيخ وسألته أن يكتب شيئاً فيما أُلف في السيرة النبوية في الماضي القريب والحاضر المعاصر.

فكتب إليّ مذكرة في نحو ٨٠ صفحة، وجمع فيها جلّ ما أُلّف في المائة عام الأخيرة من الكتب الموضوعية في السيرة النبوية، وزاد عدد المؤلفات في المذكرة عن ٥٠٠ مؤلف.

وقسم الشيخ عافاه الله البحث إلى عشرين باباً، ابتداءً بما أُلّف في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله وصفاته ووصاياه، مروراً بالفقه الحضاري والتعامل مع غير المسلمين، والدعوة والجهاد والصحابة.

وشملت كذلك: المرأة والأسرة والمجتمع والتربية والأخلاق والسلوك والعلم والتعليم والتخطيط والإدارة والعمران، والسياسية والعسكري والأمني، والتشريع والقضاء والاقتصاد والمال، والطب والصحة

والإعلام، وانتهاءً باللغة والأدب وخطب النبي صلى الله عليه وسلم وقصصه.

وقد اختطفت لكم من تلك المسطرة المباركة ما أُلِّف في شأن الطب والصحة، وقد جاءت في خمسة عشر عنواناً، ثلاثة عشر منها في الطب النبوي، تجدونها مسطورة في مطبوعات الملتقى بتمامها.

وقد اعتنيت بكتابين من كتب الطب النبوي المعاصر، والكتابان في شأن الصحة النفسية، وسوف أعرض لكم بعد برهة الكتابين بشيء من التفصيل والتدقيق.

## المؤلفات المعاصرة في الطب النبوي:

- ١- (موسوعة الطب النبوي الإسلامي العربي). عبدالله سنده، دار المعرفة، لبنان-بيروت-١٤٣٥هـ.
- ٢- (معجزات الطب للنبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم). أحمد شوكت الشطي، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت-، ١٤٠٤هـ.
- ٣- (محمد الطيب صلى الله عليه وسلم). حامد الغواي، جماعة عباد الرحمن، لبنان-بيروت-، ١٣٨٠هـ.
- ٤- (٨٥٠ سؤال وجواب في طب رسول الله صلى الله عليه وسلم). مهى عيتاني، شركة الفينيق، الأردن-عمّان-، د ت.
- ٥- (في رحاب الطب النبوي). نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت-، ١٤٠٠هـ.
- ٦- (الطب الوقائي النبوي). محمود قاسم، دار النفائس، لبنان-بيروت-، ١٤٣٥هـ.

- ٧- (الطب النبوي في ضوء العلم الحديث - دراسة علمية موثقة بالتحاليل المخبرية والأبحاث الفيزيولوجية). غياث الأحمد، دار المعاجم، سورية - دمشق -، ١٤١٤هـ.
- ٨- (الطب النبوي بين العلم والإعجاز). حسان شمسي باث، دار القلم، سورية - دمشق - ١٤٢٥هـ.
- ٩- (الرسول الطيب). حسام الراوي، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان - بيروت -، ١٤٢٠هـ.
- ١٠- (إعجاز الطب النبوي). السيد الجميلي، دار ابن زيدون، لبنان - بيروت -، ١٣٩٨هـ.
- ١١- (الإبداعات الطبية لرسول الإنسانية). مختار سالم، مؤسسة المعارف، لبنان - بيروت -، ١٤١٦هـ.
- ١٢- (إبداع الرسول العربي في فن الصحة والطب الوقائي). محمود ناظم النسيجي، معهد التراث العلمي العربي، سورية - حلب -، ١٣٩٨هـ.

١٣- (معجزة النوق للنبي صلى الله عليه وسلم). المركز الموريتاني، أصل

أحمد جدو، موريتانيا، دت.

المؤلفات في الصحة النفسية:

١٤- (في الطب النفسي النبوي). حسن الشرقاوي، دار المطبوعات

الجديدة، مصر-الإسكندرية-، ١٤٠٩هـ.

١٥- (الصحة النفسية من السيرة النبوية). سليمان قيمان، دار الأوراق،

السعودية - جدة - ١٤٤٤هـ.

أولاً: نظرات في كتاب حسن شرقاوي في الطب النفسي النبوي:

قدم الكاتب بالآية ونزل من القرآن ما هو شفاء، وفيه إشارة واضحة

إلى عنايته بالبعد الروحي في كتابه.

أكد الكاتب في مقدمته أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذ علمه عن

الفلاسفة ولا الحكماء، بل أخذه عن العليم الخبير، ودعا إلى قياس صحة

ما سطره الفلاسفة والحكماء بتصديق هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛

لما قال، لا العكس.

وركّز الطب النبوي - كما يرى الكاتب - على ناحيتين هامتين لا يستغني أحدهما عن الآخر، فجمع بين الروح والمادة والنفس والجسم. وأشار الشرقاوي إلى العلاقة بين صلاح النفس وصلاح الجسد، ويبيّن أنّ كثيراً من الأمراض الجسدية يكون سببها المباشر أو غير المباشر، آفات نفسية.

وأشار كذلك إلى أنّ النفس هي بيت القصيد، وهنا يبدأ دور الطب الوقائي الذي هو الدعاء والاستعاذة والعبادة التي هي بمثابة الدرع الواقى للصحة النفسية.

ويعود الكاتب كثيراً للتأكيد على أنّ تقوية النفس تقوي الطبيعة، وختم بالإشارة إلى تهاوي الحالة النفسية في المجتمعات الغربية، وخص بالذكر المجتمع الأمريكي.

وقسّم الكاتب كتابه إلى ثلاثة فصول، وجاء بتسميات غير معتادة.

وهذه عناوين فصوله الثلاثة:

الفصل الأول:

النظرة الرأسية الأفقية في الفكر الإسلامي

التسلسل في الفاعلين

الطب الوقائي والطب العلاجي.

الفصل الثاني:

الإنسان بين العقل والهوى

مرضى القلوب ومرضى الأبدان

نفسية المؤمن ونفسية المشرك

الفصل الثالث:

المرض النفسي والهدف من الحياة

الهدف من الحياة والعلاج النفسي

الأطباء المرضى

في الفصل الأول: النظرة الرأسية والنظرة الأفقية: يشير الكاتب إلى خطأ القول بأن الإنسان والبيئة هما ركنا التأثير والتأثر، وأن الصحة النفسية تكمن في قدرته على التكيف ضمن الحدود التي تخطها له البيئة أو المجتمع، وأن على المجتمع أن يراعي ميول الفرد وأن يتيح له إشباع رغباته.



ومع الإقرار بتأثير البيئة لكن هناك جذور أعمق تأثيراً فالإيمان بالبعث والجزاء وتأثير ذلك على سلوك الإنسان وقيمه، وبالتالي هناك مؤثرات أخرى غير البيئة.

تسلسل الفاعلين: تحدث الشرقاوي عن التساؤلات الداخلية التي تعرض للإنسان، فيستحي من البوح بها، وتفاعلات تلك التساؤلات وأثرها المدمر على النفس البشرية، وكيف يبدأ السؤال بمن خلق الخلق؟ حتى ينتهي به إلى من خلق الله؟ وأشار إلى الدور المظلم للشيطان في هذه التساؤلات، ووجوب التعوذ منها حتى ينقطع أثرها.

الطب الوقائي والطب العلاجي: أشار الكاتب إلى حكمة الله في خلق الأضداد، وأمر الإسلام بالتداوي، وضرب المثل بإباحة الفطر في السفر وقصر الصلاة، لحكمة وقاية الإنسان من إرهاق النفس والروح في السفر، الذي هو قطعة من العذاب.

وذكر صوراً من الطب الوقائي منها: اجتناب الفواحش، وكظم الغيظ، والاعتدال في الطعام والشراب.

الفصل الثاني:

الإنسان بين العقل والهوى: تحدّث الكاتب عن تحذير القرآن من اتباع الهوى وأورد في ذلك آيات وأحاديث، وأشار إلى أن العقل هو الضابط الحاكم للاهواء المرذولة، وأنّ تفضيل الإنسان على سائر المخلوقات إنما جاء بسلطان العقل.

مرضى القلوب ومرضى الأبدان: قصد بالمرض النفسي الشك والخوف والوساوس والقلق المزمن والفرع والاكئاب والهوس، وأشار إلى الحاجة إلى الأدوية الروحانية بالاعتماد على الله تعالى واللجأ إليه والتوبة والاستغفار، وأنه متى قويت الروح قويت النفس.

نفسية المؤمن ونفسية المشرك: انتقد الكاتب أصحاب نظرية التحليل النفسي، والأطباء النفسيين الغربيين، القائلين: بأن الإنسان المتدين يحمل في داخله بركاناً وكتباً قد ينفجر في أي لحظة، وانتقد قولهم: بأن العقل يجب أن يتحرر من الإيحاء بالغيبيات حتى يصل إلى مرحلة الاتزان النفسي، وأنّ التحرر من سلطان الدين هو طريق الحرية وكسر إرادة الاستعباد.

ونبهه إلى قبول الشباب في أوروبا والغرب لهذه الدعاوى، وعلاقة ذلك بالإلحاد والشرك.

ونبهه أيضا على ما يشعر به المؤمن الوقوف عند حدود الله من الأمن والطمأنينة والسلام القلبي، مما لا يفهمه دعاة التحليل النفسي في الغرب المادي.

### الفصل الثالث:

المرض النفسي والهدف من الحياة: وقصد الكاتب هنا بيان العلاقة بين الإيمان بحكمة الخلق والهدف من الوجود وبين الصحة النفسية، إذ ينعكس إيمان المرء بالخالق الحكيم الموجد على استقرار نفسه، ويجيب هذا الإيمان على كثير من التساؤلات التي تورث الإنسان الحيرة والشك والقلق وانعدام الانسجام مع الكون.

الأنا (العقل الواعي): انتقد اعتماد فرويد ومن تابعه على التجريد المحض لمفهوم الأنا، والخلاصة: أن هؤلاء القوم بذروا فكرة الإنسان الإله الذي هو مصدر القيم وصانع القواعد.

ونبه الكاتب على خطورة تعمق الإنسان في التفكير واثقاله على نفسه بالتدبير في حين أن التوسط ببذل الأسباب الممكنة والتصرف في حدود المعقول، والاتكاء على الله في باب التوكل يسوق للإنسان حالة من الانسجام، وشيئاً من الهدوء والطمأنينة.

الهدف من الحياة والعلاج النفسي: تعرّض الكاتب لمدارس التحليل النفسي بالنقد.

وعاب على هذه المدارس قصور فهمها للطبيعة الكاملة للنفس البشرية، حيث اعتمدت على تضخيم الجوانب الرغائية في سلوك الإنسان، وجعلت الدوافع والحاجات الفطرية هي المحرك الأساس للسلوك البشري، ولم يبين عندهم فوارق كبيرة بين الإنسان والحيوان، مما أدى إلى خلل كبير في النتائج والحلول التي قدمتها هذه المدارس.

كما نقد المدارس التي نشأت بعدها وهي مدرسة العلاج السلوكي التي ورثت عن فرويد كثيراً من الأفكار، وبنيت عليها، ورأى أن جميع المدارس تستقي من معين واحد، وذكر الكاتب بالإهمال المتعمد للجانب الروحي وفصل مدارس علم النفس بين المادة وعالم الغيب، وادعاهم

بأن علم الماورائيات لا يخضع للقياس، ورسوموا بين مناهجهم ونواتج دراساتهم وبين الروح جداراً من الإلحاد، والمادية المفرطة. وأشار في نهاية هذا الموضوع إلى خطأ فكرة علم النفس القائلة: بالعلاقة الأفقية بين الإنسان والبيئة، وتغافلهم عمداً عن العلاقة الرأسية بين الإنسان وخالقه، وأثر ذلك على صحته النفسية. والكتاب أشمل مما ذكرت وأوسع وعلى من أراد المزيد شراء الكتاب وأجره على الله.

ثانياً: نظرات في كتاب سليمان قيمان، الصحة النفسية من السيرة النبوية: جاء الكتاب في مقدمة وخاتمة وفصلين، في المقدمة بين الكاتب أهمية الصحة النفسية وعرض لتعريفات جامعة للصحة النفسية جاءت بها مدارس علم النفس الحديث.

بدأ الكاتب بذكر تأثير الحياة المعاصرة على الصحة النفسية ودور الثورة التقنية وثورة الاتصالات في التأثير السلبي على الصحة النفسية، وما يعانيه الإنسان في الغرب من آلام نفسية وأوجاع صدرية بسبب انقطاع حبله بعالم الغيب.

وبنى الكاتب رؤيته في الكتاب على قاعدة أن النبي صلى الله عليه وسلم هو أصح العالمين نفساً واستشهد لذلك بالضغوط الهائلة والعوائق الصعبة التي واجهها النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، وقدرته رغم ذلك كله على الاستمتاع بالحياة، ومصاحبة الابتسامة له، وانسراح الصدر في كل مراحل حياته.

وعرض الكاتب لرؤيته الخاصة لمقادير الصحة النفسية، والأسباب التي جعلت المسلمين أكثر قدرة على احتمال الضغوط النفسية واستدل لذلك بانخفاض نسب الانتحار وتعاطي المخدرات ومعاقرة الخمر.

عرض الكاتب في الفصل الثاني لأربعة عشر أمانة من أمارات الصحة النفسية في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم منها على سبيل المثال: اعتدال مزاجه والمرونة ودوام الابتسامة، واعتدال مقادير الكلام، ودمع العين في مواطنه الصحيحة وأثر إرسال العين بالدمع على الصحة النفسية في المواعظ وعند سماع القرآن، وبيان أن جمود العين وإرسال الدمع مدراراً عند أصغر حدث من أمارات العلة النفسية.

وكان الفصل الثالث أكثر تفصيلاً حيث عرض الكاتب فيه لأسباب أخذ بها النبي صلى الله عليه وسلم للحفاظ على توازنه النفسي وحماية حالته المزاجية وذكر منها:

قطع سلسلة الذكريات الحزينة والحياة في الوقت الحاضر وعزل تأثير الماضي بذكرياته المؤلمة وعزل القلق من المستقبل وتأثير التوكل على الله في استقرار الحالة النفسية للمؤمن.

وأكد الكاتب على أن طرق السعادة منقطعة على من هجر القرآن، وأن المعرضين عن الكتاب العزيز وذكر الله في ظلمات حائرون، وأن لا سبيل إلى الصحة النفسية إلا بملازمة القرآن والتضلع من الذكر.

وعرّج الكاتب على الماء وأثره النفسي شرباً واغتسالاً وأثر سماع خريير الماء على الصحة النفسية، وحاجة المسلم لخصال الفطرة وعنايته بالنظافة والعطور لما لهما من أثر على الصحة النفسية.

وختم الكاتب بالتأكيد على أنّ الصحة النفسية ليس لقمة سائغة، وأنّ على المسلم أن يستن بنبي الهدى في الاجراءات والبرامج العقلية والحماية اللازمة لصحته النفسية.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام  
المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه سليمان بن عوض قيمان  
الاثنين ١٤ ربيع الأول ١٤٤٦هـ



# السيرة النبوية والعناية بذوي الاحتياجات الخاصة

إعداد

محمد نبيل محمد عبد الخالق

باحث في السيرة والتاريخ الإسلامي<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> تخرج في كلية دار العلوم جامعة القاهرة. تلمذ لجماعة من مشايخ مصر والجزيرة العربية. عمل باحثاً في شبكة الألوكة بالرياض لسنوات. يعمل الآن مديراً للمحتوى بمركز أصول بالرياض.

الحمدُ لله الذي أرسلَ رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، خلقَ عباده لطاعته وهياً لهم السبيل، وأنعمَ عليهم بالسمع والأبصار والأفئدة، وجعلَ استعمالها في طاعته من شُكر نعمته، وابتلى بعضَ خلقه بالأمراض والعاهات، وجعلَ صبرَهم على ما أصابهم من أسباب نيل رفيع الدرجات في جنته، وأعلم عباده أجمعين أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وأن الآخرة لمن صبرَ وشكرَ وأدَّى حقَّ ربِّه في العافية والبلاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، وسفيره بينه وبين عباده، أرسله رحمةً للعالمين، وبُشرى للمحسنين، ونذيراً للظالمين، وحسرةً على الكافرين، ومحجةً للسالكين، وحجةً على العباد أجمعين.

بعثه للإيمان مُنادياً، وللجنة داعياً، وإلى سبيل الإسلام هادياً، وبالمعروف أمراً، وعن المنكر ناهياً، فتح برسالته أعيناً عمياً، وأذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، واستنقذت به الأمة من مهالكها، وأرشدتها به إلى أقوم مسالكها.

أرسله على حين فترةٍ من الرُّسل، ودُّروسٍ من السُّبل، وافترض على العباد طاعته ومحَبَّته والقيامَ بحقوقه، وسَدَّ إلى الجنة جميعَ الطُّرق فلم يفتح لأحدٍ إلا من طريقه، وجعل الذلَّةَ والصَّغارَ على مَنْ خالفَ أمره. فبلغَ الرِّسالةَ وأدَّى الأمانةَ ونصحَ الأُمَّةَ، وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد، وصَدَعَ بأمرِ الله، لا يرُدُّه عنه رادٌّ، وشمَّرَ في ذاته لا يصدُّه عنه صادٌّ. وافي الأرضَ أحوَجَ ما كانت إلى رسالته، وقد استوجبَ أهلها أن ينزلَ بهم العذاب، وقد نظرَ إليهم الجبارُ فمقتهم عَرَبَهُم وَعَجَمَهُم إلا بقايا من أهل الكتاب<sup>١</sup>.

فصلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آل بيته وذريته وسلَّم تسليماً كثيراً ما تعاقبَ الليلُ والنهار.  
وبعدُ:

<sup>١</sup> اقتباس من "مقدمة كتاب الطاعون" لابن قيم الجوزية (ص ٢٧٩)، طبع ضمن مجموع فيه

"فصول في التفسير من كلام الإمام ابن القيم"، بتحقيق الحسين بن محمد بن إغويله، دار

«... فَإِنَّ سِيرَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَمَنْ تَدَبَّرَهَا تَقْتَضِي تَصَدِيقَهُ، وَتَشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ مُعْجِزَةٌ غَيْرَ سِيرَتِهِ ﷺ لَكَفَى؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَشَأَ فِي بِلَادِ الْجَهْلِ؛ لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَلَا خَرَجَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ قَطُّ إِلَّا خَرَجَتَيْنِ:

أَحَدُهُمَا إِلَى الشَّامِ وَهُوَ صَبِيٌّ مَعَ عَمِّهِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَرَجَعَ.  
وَالْأُخْرَى أَيْضًا إِلَى أَوَّلِ الشَّامِ وَلَمْ يُطَلِّ بِهَا الْبَقَاءَ، وَلَا فَارَقَ قَوْمَهُ قَطُّ.  
ثُمَّ أَوْطَأَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِقَابَ الْعَرَبِ كُلِّهِمْ، فَلَمْ تَتَغَيَّرْ نَفْسُهُ وَلَا حَالَتُ سِيرَتُهُ، إِلَى أَنْ مَاتَ وَدَرَعَهُ مَرَهُونَةٌ فِي شَعِيرٍ لِقُوتِ أَهْلِهِ؛ أَصْوَاعٍ لَيْسَتْ بِالكَثِيرَةِ، وَلَمْ يَبْتَ قَطُّ فِي مَلِكِهِ دِرْهَمٌ وَلَا دِينَارًا، وَكَانَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ مَا وَجَدَ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ بِيَدِهِ، وَيَرَقَعُ ثَوْبَهُ، وَيُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِهِ.  
وَقُتِلَ رَجُلٌ مِنْ أَفْضَلِ أَصْحَابِهِ مِثْلَ فَقْدِهِ يَهْدُ عَسْكَرًا، قُتِلَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَعْدَائِهِ مِنَ الْيَهُودِ، فَلَمْ يَتَسَبَّبْ إِلَى أَذَى أَعْدَائِهِ بِذَلِكَ؛ إِذْ لَمْ يُوجِبْ رَبُّهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ، وَلَا تَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى دِمَائِهِمْ وَلَا إِلَى دَمِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَلَا إِلَى أَمْوَالِهِمْ، بَلْ وَدَاهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ بِمِئَةِ نَاقَةٍ، وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُحْتَاجٌ إِلَى بَعِيرٍ وَاحِدٍ يَتَّقَوِي بِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ لَا يَسْمَحُ بِهِ مَلِكٌ مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ

وأهل الدنيا أصحاب بيوت الأموال بوجه من الوجوه، ولا يقتضي هذا أيضاً ظاهر السيرة والسياسة.

فصح يقيناً بلا شك أنه إنما كان متبعاً ما أمره به ربه عز وجل، كان ذلك مضرّاً به في دنياه غاية الإضرار، أو كان غير مضرّ به. وهذا عجب لمن تدبّره.

ثم حصرته المنيّة، وأيقن بالموت، وله عمٌّ أخو أبيه هو أحبُّ الناس إليه، وابن عمٌّ هو من أحصّ الناس به، وهو أيضاً زوج ابنته التي لا ولد له غيرها، وله منها ابنان ذكران، وكلا الرجلين المذكورين عمّه وابن عمّه عندهما من الفضل في الدين والسياسة في الدنيا، والبأس والحلم وخلال الخير ما كان كل واحد منهما حقيقاً بسياسة العالم كله - فلم يُجابها وهما من أشدّ الناس غناءً عنه ومحبةً فيه، وهو من أحبّ الناس فيهما؛ إذ كان غيرهما متقدماً لهما في الفضل وإن كان بعيد النسب منه، بل فوّض الأمر إليه قاصداً إلى مرّ الحقّ واتباع ما أمر به.

ولم يورث ورثته - ابنته، ونساءه، وعمّه - فلما فوقه، وكلُّهم أحبُّ الناس إليه، وأطوعهم له.

وهذه أمورٌ لمن تأملها كافيةٌ مُغْنِيَةٌ في أَنَّهُ إِنَّمَا تَصَرَّفَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ،  
لا بسياسةٍ ولا بهوى.

فوضحَ بها ذَكَرْنَا - ولله الحمدُ كثيرًا - أَنَّ نَبُوَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ حَقٌّ، وَأَنَّ شَرِيْعَتَهُ  
التي أتى بها هي التي وَضَحَتْ بَرَاهِينَهَا واضْطَرَّتْ دَلَائِلُهَا إِلَى تَصْدِيقِهَا  
وَالْقَطْعِ عَلَى أَنَّهَا الْحَقُّ الَّذِي لَا حَقَّ سِوَاهُ، وَأَنَّهَا دِينُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي لَا  
دِينَ لَهُ فِي الْعَالَمِ سِوَاهُ..<sup>١</sup>

وإنَّ من دواعي الفخر، وأسبابِ نيلِ الشَّرَفِ وتحصيلِ الأجر، أن  
يتحدَّثَ المسلمُ عن سيرةِ رسولِ اللَّهِ محمد، ويقبَسَ من أنوارِ هدايته،  
ويتناولَ كريمَ أخبارِهِ تناولَ الباحثِ عن نجاتِهِ المفتقرِ إلى ما جاءَ به من  
عندِ اللَّهِ من الهدى ودينِ الحقِّ.

ذلك أن سيرةَ نبيِّنا ﷺ هي التطبيقُ الأمثلُ لما أوحى اللهُ له به من الدينِ  
القيِّمِ الذي هو آخرُ رسالاتِ اللَّهِ لأهلِ الأرض.

<sup>١</sup> "الفصل" (٢ / ٥٤٨-٥٤٩) من طبعته العلمية التي حققها سمير قدوري، دار المالكية

وإنَّ من أنواعِ النظرِ في سيرةِ النبيِّ الأكرم، والرسولِ الأعظم: النظرُ في طريقةِ تعامله مع الناس على اختلاف طبقاتهم وتنوع احتياجاتهم، فليس يُشكُّ مسلمٌ أنَّ طريقته ﷺ هي أقومُّ الطُّرق وأتمُّها، وأنَّ معاملته هي أنفعُ المعاملات وأجدرُّها بالاتباع.

وقد حفلت سيرةُ النبي ﷺ بالكثير من المواقف التي يمكن أن تُستخلص منها معالمٌ لمعاملته ﷺ مع ذوي الاحتياجات الخاصة، وكتب الباحثون في ذلك عددًا من البحوث والدراسات المفيدة<sup>١</sup>.

<sup>١</sup> مما وقفت عليه من ذلك:

- المنهج النبوي في دعم ذوي الاحتياجات الخاصة، للدكتورة نوال باسعد، طبعة خاصة بدون دار نشر.
- أصحاب الاحتياجات الخاصة (رؤية تنموية)، للدكتور محمد مراح، ضمن سلسلة كتاب الأمة، قطر ذو القعدة ١٤٣١ هـ، فقد خصص فصلا بعنوان: أسس معاملة الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة في السنة النبوية.
- تعامله ﷺ مع ذوي العاهات، ضمن سلسلة المنهج النبوي في التعامل مع الناس، للشيخ محمد صالح المنجد، مادة منشورة على موقعه الرسمي.

ويحسن بنا ألا نُخليَ المقامَ من اقتطافِ بعضِ أزهار تلك الحديقةِ النبويةِ المونقة؛ فمن ذلك:

١ - أنه ﷺ كان يحثُّهم على الصبر والاحتساب، ويبشِّرهم بما أعدَّه الله لهم من الجزاء على ذلك:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: (إن الله قال: إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه فصبِرَ عَوَضتُهُ منهما الجنة). [رواه البخاري: ٥٦٥٣].

---

- رعاية النبي ﷺ لذوي الاحتياجات الخاصة، لتيسير التمييم، بحث منشور في موقع إسلام أون لاين.

- رحمة النبي ﷺ بذوي الاحتياجات الخاصة، بحث منشور في موقع إسلام أون لاين.



قال ابن بطال رحمه الله: "هذا الحديث حجة بأن الصبر على البلاء ثوابه الجنة، ونعمة البصر على العبد، وإن كانت من أجل نعم الله تعالى عليه فعوض الله عليها بالجنة أفضل من نعمتها في الدنيا".

٢- وكان النبي ﷺ يدعو لأهل البلاء ويرشدهم إلى ما هو أنفع لهم في آخرتهم:

فعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ، قالت: إني أُصرعُ وإني أتكشَّف، فادعُ الله لي، قال: (إن شئتِ صبرتِ ولكِ الجنة، وإن شئتِ دعوتُ الله أن يعافيكِ)، قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشَّفُ فادعُ الله ألا أتكشَّف، فدعا لها.

[رواه البخاري: ٥٦٥٢، ومسلم: ٦٧٣٦].

٣- وكان ﷺ يزورهم ويحقق رغباتهم:

فعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: انطلقوا بنا إلى البصير الذي في بني واقفٍ نعوذُ، وكان رجلاً أعمى. [رواه البيهقي في السنن الكبرى:

[٢٠٨٥١].

ومن ذلك أيضًا ما جاء في حديث محمود بن الربيع الأنصاري، أن عتبان بن مالك، وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرًا من الأنصار أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني قد أنكرتُ بصري، وأنا أصلي لقومي، وإذا كانت الأمطارُ سأل الوادي الذي بيني وبينهم ولم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي لهم، وددتُ أنك يا رسول الله، تأتي فتصلي في مصلي، فأخذه مُصلي، قال: فقال رسول الله ﷺ: سأفعلُ إن شاء الله، قال عتبانُ: فغدا رسول الله ﷺ، وأبو بكر الصديق حين ارتفع النهار، فاستأذن رسول الله ﷺ، فأذنتُ له، فلم يجلس حتى دخل البيت، ثم قال: أين تحبُّ أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرتُ إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ، فكبَّر، فقمنا وراءه، فصلَّى ركعتين، ثم سلَّم... الحديث. [رواه البخاري: ٥٤٠١، ومسلم: ١٥٢٨].

وعن أنس رضي الله عنه أن امرأةً كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة، فقال: يا أم فلان انظري أيَّ السككِ شئت، حتى أقضي لك حاجتك، فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها. [رواه مسلم: ٦١٨٩].

٤- وكان ﷺ يجيبهم إلى ما يُريدون إن كان فيه مصلحة لهم ويبشّرهم بالخير:

فعن أبي قتادة رضي الله عنه، قال: "أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ، فقال: "يا رسول الله، أرأيت إن قاتلتُ في سبيل الله حتى أُقتل، أمشي برجلي هذه العرجاءِ صحيحةً في الجنة؟ فقال رسول الله ﷺ: (نعم)، فقتلوا يومَ أحد هو، وابنُ أخيه، ومولى لهم، فمرَّ عليه رسول الله ﷺ، فقال: (كأنِّي أنظرُ إليك تمشي برجليك هذه صحيحةً في الجنة). [رواه أحمد: ٢٢٥٥٣].

٥- وكان ﷺ ربما ولي منهم من كان أهلاً للولاية:

روى أنس أن النبي ﷺ (استخلفَ ابنَ أمِّ مكتوم على المدينةِ مرَّتينِ يصليُّ بهم وهو أعمى) رواه أبو داود، وأحمد.

صَلَّى الْإِلَهَ وَمَنْ يَخْفُ بِعَرْشِهِ \* وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارِكِ أَحْمَدُ

\*\*\*

وإن من خير العمل صناعة مشاريع وبناء مبادرات تقرب سيرة النبي ﷺ وسنته من المكلفين من ذوي الاحتياجات الخاصة، وقد فطن لذلك أهل الدعوة والخير، فبنوا عددًا من المشاريع والمبادرات، لكنها لا تزال دون المأمول، لا سيما في أيامنا هذه التي توفرت فيها أدوات تقنية لم تتوفر في زمان مضى، ومما وقف عليه الباحث من أعمال في هذا السياق:

- موقع الدليل إلى السنة النبوية، الذي أسسه مركز أصول بالرياض (الدليل إلى السنة النبوية | الرئيسية، (guidetosunnah.com))، وهو موقع مهم يحوي مشاريع ومواد تخدم ذوي الاحتياجات الخاصة ويحدث باستمرار، والمركز بصدد إنشاء دليل إلكتروني خاص بكل ما يتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة من مشاريع دعوية وتعليمية يشمل السيرة النبوية وغيرها من العلوم والمعارف الشرعية.

● أحاديث نبوية بلغة الإشارة - أحاديث نبوية

((islamweb.net وهو عمل مرئي جميل قدمته الشبكة

الإسلامية.

● قصص من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بلغة الإشارة -

<https://youtu.be/OAHempvOCUU?si=VkJ>

HdqaliWwCY\_wS

من إنتاج الشبكة الإسلامية كذلك.

● السيرة النبوية - (١١) السيرة النبوية - YouTube وهو عمل

مجود قامت عليه الجمعية الدعوية للصم بالرياض، وللجمعية

أعمال مرئية عديدة موجهة للصم نشرت في حساباتها على

منصات التواصل المختلفة يحسن الاطلاع عليها.

● مشروع الداعية يحيى عبد الرحمن جمعة (١١) الداعية يحيى

عبدالرحمن جمعة - YouTube وهو داعية مختص بالدعوة بلغة

الإشارة وله إنتاج غزير منشور على حساباته في منصات التواصل.

● مشروع الداعية على محمد زوادة - (١١) الصم / Deaf / الداعية على محمد زوادة - YouTube وهو كذلك داعية مختص بالدعوة بلغة الإشارة وله إنتاج غزير منشور على حساباته في منصات التواصل.

● وقد حوّلت عدد من مصادر السيرة النبوية إلى لغة برايل الخاصة بالمكفوفين، وما زالت الحاجة قائمة لتحويل المزيد من الكتب الملائمة لمختلف الشرائح العمرية والمكتوبة بلغة عصرية.

كما رصد الباحث بعض المبادرات الطلابية لإعداد قصص من السيرة متنوعة الصيغ بحيث تلائم المكفوفين والصم، وهي أعمال تحتاج أن تدعم وتتبنى من قبل الجهات والهيئات ليعم الانتفاع بها المسلمين في مختلف الأقطار.

وأختم حديثي بمعلومة مهمة تستوجب الانتباه من أهل الدعوة والمصلحين:

فبحسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية، يوجد في العالم اليوم ٤٣ مليون شخص مصابون بالعمى الكامل، ويمثلون ٥,٠٪ من سكان العالم. في حين أن حوالي ١,١ مليار شخص يعانون من أنواع مختلفة من ضعف الرؤية.

أما عن الصمم، فإن أربع مئة وثلاثين (٤٣٠) مليون إنسان مصابون بضعف السمع المُعيق عالمياً، مما يعادل ٥٪ من سكان العالم. ويُتوقع أن يرتفع هذا العدد إلى ٧٠٠ مليون بحلول عام ٢٠٥٠. أكثر من ١,٥ مليار شخص يواجهون نوعاً من ضعف السمع، يشمل حالات خفيفة إلى شديدة.

وهذا يقتضي من الدعاة والمصلحين والمؤسسات الإسلامية تهيئة محتوى دعوي وتعليمي مناسب لهم، مع ضرورة الانتباه لغير المسلمين منهم، ولم يجد الباحثُ منتجاتٍ دعويةً مخصّصةً لهم إلا قليلاً من الجهود التي ندعو لأصحابها بالتوفيق والسداد، ونستحثُّهم على بذل المزيد.

والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل.



# السيرة النبوية في رعاية المرضى

د/ أحمد إبراهيم العامولي<sup>١</sup>

---

<sup>١</sup> دكتوراة طب الاطفال استشاري الغدد الصماء وسكر الأطفال مستشفى الصباح كليه الدراسات الإسلامية جامعة الأزهر الشريف.

إن الله تبارك وتعالى خلق هذه الدنيا فجعلها دار تكليف بالعمل الصالح فقال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.

وقد قضى الله عز وجل بأن يرافق ذلك التكليف ابتلاءً بالمكروهات والمصائب؛ لكي يعود الناس إلى ربهم، ويتزودوا بالعمل الصالح ليوم اللقاء، وكي لا يركنوا إلى الحياة الدني ونعيمها فتنسيهم الدار الآخرة، وكان من تقدير الله وحكمته الابتلاء بالمكروهات: الابتلاء بالأمراض والأوجاع التي تصيب البدن فتقعد به عن نشاطه وسلامة أمره، وتفقده الراحة والاستمتاع بالحياة قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿وَنَبَلُّوكُمْ﴾ أي: نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال.

فقد يرى الإنسان متقلباً في أعطاف العافية نشيطاً مبتسماً متحركاً، يأكل ما يشاء ويشرب ما يشاء، وينام متى يشاء، ويذهب أينما يشاء؛ إذا به يهجم عليه المرض فيذبل بعد حيويته، ويعبس بعد بسمته، ويقعد بعد حركته، ويفتر بعد نشاطه، ويعاف ماأكله ومشربه ومنامه، ويصبح ملازم الفراش، تملأ المكان أصواتٌ وجعه وألمه.

والله تعالى ذو حكمة بالغة، فلا يكون في قضائه شر ولا عبث، ولا تقدير عارٍ عن الحكمة فكل أفعاله سبحانه لحكمة أو متضمنة حكمة أو مستلزمة حكمة وإن لم يبدو ذلك لكثير من الناس.

وإذا قلبنا ناظرينا في المرض النازل بالمخلوق الذي هو قضاء من

الحكيم العليم فنجده مشتمل على حكم كثيرة، فمن تلك الحكم:

- أن المرض يرد المخلوق إلى خالقه، والعبد إلى معبوده وسيده؛ فالصحة قد تنسيه العبودية فيلهو عن الله بغيره، ويتعلق قلبه بسواه، فيزوره المرض ليقول له: ارجع إلى ربك، وتعلق به، وانشغل به ولا تشغل عنه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ . يعني: ﴿ بِالْبَأْسَاءِ ﴾: ما يصيبهم في أبدانهم من أمراض وأسقام. ﴿ وَالضَّرَّاءِ ﴾ ما يصيبهم من فقر وحاجة ونحو ذلك، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ أي: يدعون ويخشعون ويبتهلون إلى الله تعالى في كشف ما نزل بهم.

♦ ومن حكم تقدير المرض: أن المرض يعرف الإنسان ضعفه وعجزه، فمهما كان قويا قادرا يمتلك أسباب العافية فإن المرض يحط رحاله عنده رغم أنفه؛ فيستيقن حينها بأنه عبد ضعيف عاجز يحتاج إلى مولاه المعبود القوي القادر؛ ليستمد منه عونًا وقوة.

♦ **ومن حكم تقدير المرض:** أنه يزهد الإنسان عن الدنيا ويرغبه في الآخرة، فيجعله يشتاق إلى الجنة فيسارع إلى العمل لها، ويباعده عن الانشغال بالدنيا المحفوفة بالأكدار والأحزان.

♦ **ومن حكم تقدير المرض:** أن المرض يعلم الإنسان دروس الرحمة والعطف على المرضى، فمن مرض ووجد ألم الوجع فإنه سيحس بأوجاع الآخرين، فإذا اعتبر فسيسرع إلى رحمة المرضى ومد يد الإحسان إليهم.

إن المرض ينزل بالإنسان صغيراً كان أو كبيراً، غنياً أو فقيراً، مسلماً أو كافراً. غير أن المرض في المؤمن الصابر يكون نعمة لا نقمة، وخيراً لا شراً، ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿عجباً لأمر المؤمن؛ إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له﴾ .

وتتجلى الخيرية والنعمة بالمرض في حق المؤمن: بكون المرض يستخرج من المؤمن عبودية الصبر والرضا بأقدار الله تعالى، والصبر من أعظم العبادات التي تربي النفس وتصلقها من شوائب الضعف والعجز والكذب، وترقيها إلى مراتب الصفاء.

والمرض يستخرج من العبد عبودية التضرع والابتهاال بين يدي الله تعالى، فيدعو العبد السقيم دعاء صادقاً حاراً تكاد نفسه أحياناً أن تخرج مع كل كلمة من شدة مناحاته، ومن عظم الحاجة إلى إجابة دعواته.

ومن ذلك الدعاء: الدعاء بالأدعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرض، فعن عثمان بن أبي العاص الثقفي أنه شكاً إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعاً يجده في جسده منذ أسلم، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ﴿ضع يدك على الذي تألم من جسدك وقل: باسم الله. ثلاثاً. وقل سبع مرات: أعوذ بالله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر﴾ قال عثمان: قال: ففعلت ذلك فأذهب الله ما كان بي، فلم أزل أمر بها أهلي وغيرهم.

والمرض إذا نزل بالمؤمن فصبر عنده كان سبباً لتكفير خطاياها، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة﴾. وكان اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالمرضى من جملة اهتمامه ببناء مجتمع مسلم متكاتف ومتعاون يتلاحم فيه أبناؤه كالجسد الواحد يتكاتفون اجتماعياً ومعنوياً واقتصادياً. وصحابته رضي الله عنهم من بعده ساروا مساره وانتهجوا نهجه فكان اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالمرضى واقع في محاور ثلاث:

### ➤ المحور الأول

- ما يلزم المريض إذا نزل به المرض:
- من الصبر وبيان عظيم الأجر في ذلك.
- واللهج بالدعاء وسؤال العافية وحسن الظن بالله.
- وأن لا يسب المرض.
- كذلك التسلي بحال الأنبياء والصالحين.

## المحور الثاني:

ما يلزمه من السعي الي التداوي والأخذ بالأسباب المشروعة.

## المحور الثالث:

ما يلزم المجتمع المسلم تجاه المرضى، وقد بين هذا صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله.

## المحور الأول:

ما يلزم المريض إذا نزل به المرض من الصبر وبيان عظيم الأجر في ذلك وكذلك التسلي بحال الأنبياء وبالْحِكْمَةِ من ذلك.

١- بَيَّنَّ صلى الله عليه وسلم ما للبلَاء من الأجر والجزاء عند الله تعالى وعلي المسلم إن نزل به المرض أن يصبر على مُرِّ ما نزل به، ولا يضجر مما حل به؛ فالخير فيما اختاره الله، ولا فرار مما قضى الله تعالى، ويستحضر قوله ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.



قالت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها﴾. صحيح البخاري - (٥٦٤٠).

وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: ﴿الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة﴾. (جامع الترمذي - ٢٣٩٨)

وقال صلى الله عليه وسلم: من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴿من يرد الله به خيرا يصب منه﴾ صحيح البخاري - (٥٦٤٥)

فبين صلى الله عليه وسلم: أن ما يصيب المؤمن من المرض والألم هو من إرادة الله به الخير ورفع المنزلة وتكفير الذنوب. فعليه أن يحسن الظن بالله

تعالى، ويعلم أن الله تعالى أراد له بذلك الخير تكثيراً لحسناته، وتكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته.

٢- وبين صلى الله عليه وسلم أن على المريض المسلم أن لا يسب المرض؛ لأنه قضاء الله، ولأن عاقبته حميدة له في العاجل والآجل. فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم\* دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال: (ما لك يا أم السائب أو يا أم المسيب ترفزين؟! -يعني: ترتعدين-). قالت: الحمى، لا بارك الله فيها. فقال: (لا تسبي الحمى؛ فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث الحديد\*).

٣- وأرشد المسلم الذي نزل به المرض أن يتسلى بمن نزل بهم البلاء فيتصبر ويصبر وأنبياء الله الذين هم صفوة الخلق وهم المثال والقودة وقد نزل بهم المرض عليهم الصلاة والسلام فكان حالهم الذي يهتدى به في مثل هذه الحال من الصبر والرضا؛

فرسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم الأكرم الأشرف قدوتنا ومرشدنا لما نزلنا به المرض، وذاق مرارة الألم فلم يتضجر ولم يتسخط. فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو يوعك وعكاً شديداً وقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً! - وقوله: توعك أي: يصيبك الألم والتعب من الحمى - قلت: إن ذاك بأن لك أجرين؟ قال: ﴿أجل، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجرين، قال: أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها﴾.

وقال أبو سعيد الخدري • دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو محموم فوضعت يدي من فوق القטיפفة فوجدت حرارة الحمى فقلت ما أشد حماك يا رسول الله قال ﴿إنا كذلك معشر الأنبياء يضاعف علينا الوجع ليضاعف لنا الأجر قال فقلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال " الأنبياء " قلت ثم من؟ قال " ثم الصالحون إن كان الرجل لبيتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباء فيحويها ويلبسها وإن كان أحدهم لبيتلى بالقمل حتى يقتله القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء

إليكم. (المستدرک علی الصحیحین - ٧٩٤٣) وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه)

وفي مرض موته - صلى الله عليه وسلم نزل به من الألم و المرض ما نزل فكان صابراً محتسباً مريداً لله والدار الآخرة، قال أنس رضي الله عنه: ﴿لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاها فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أباه! فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم).﴾

كذلك قد ابتلي نبي الله أيوب عليه السلام بالمرض الشديد فكان الصبر له عنواناً ودثاراً، حتى ضرب بصبره المثل، فما جزع ولا تسخط، بل كان عبداً صابراً محتسباً، وبذلك أثنى الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾. وقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

٤- ونص صلى الله عليه وسلم المسلم أن يسأل الله العافية في كل أحيانه

ويشكر الله ويحمده عليها،

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ﴿أيها الناس، لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا﴾.

وعن العباس قال: ﴿أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني شيئاً أدعو به؟ فقال " سل الله العفو والعافية " قال ثم أتيت مرة أخرى فقلت يا رسول الله علمني شيئاً أدعو به قال فقال " يا عباس يا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم سل الله العافية في الدنيا والآخرة ﴾ ( مسند أحمد بن حنبل - ١٨٠٨ )

فلهذا كان على المسلم أن يقي نفسه أسباب المرض، ويتخذ الوسائل الواقية من نزول السقم، والعملُ بالأسباب من التوكل على الله تعالى.

### المحور الثاني

حثه صلى الله عليه وسلم المريض على السعي لما يلزمه من التداوي والأخذ بالأسباب المشروعة.

وكان علاجه صلى الله عليه وسلم للمرض بأنواع من الادوية الطبيعية  
المجربة وكذلك الأدعية والرقى وهذا لتعليم المرضى المسلمين السعي  
والأخذ بالأسباب، لذا فالمريض يلزمه السعي في التداوي أخذاً  
بالأسباب التي جعلها الله أسباباً مشروعة، سوءاً بالرقية الشرعية أو  
بالعقاقير والأدوية الطبية اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم،

لذلك نبه صلى الله عليه وسلم وأرشد إلي البحث عن التداوي والأخذ  
به عموماً، فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿ما أنزل الله داء إلا أنزل له  
شفاء﴾. وقال: ﴿لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز  
وجل﴾ وفي السنن وعند أحمد: ﴿تداووا عباد الله﴾.

قالوا يا رسول الله نتداوى؟ قال ﴿تداووا عباد الله فإن الله تعالى لم ينزل  
داء إلا وقد أنزل له شفاء إلا هذا الهرم﴾ المستدرك على الصحيحين -

وبين صلى الله عليه وسلم حرصاً منه على رعاية المرضى أنواعاً من سبل  
التداوي خصوصاً، فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال ﴿الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية  
بنار وأنا أنهى أمتي عن الكي﴾ (صحيح البخاري - ٥٦٨١).

وعن زيد بن أرقم، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ﴿ينعت الزيت  
والورس من ذات الجنب﴾ (الترمذي (٢٠٧٨)).

وعن رافع بن خديج، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:  
﴿الحمى من فور جهنم فأبردوها عنكم بالماء﴾. (البخاري ٣٢٦٢).

وقد تداوي صلى الله عليه وسلم في مرض موته من الحمى، فعن عائشة  
رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي  
قبض فيه: ﴿صبوا علي من سبع قرب﴾. (المستدرك على الصحيحين -

(٥١٣)).

وروى الحاكم (٧٤٣٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا حَمَّ أَحَدُكُمْ فليشْن عليه الماء البارد ثلاث ليالٍ من السحر﴾.

واشتكى قومٌ اجْتَوُوا المدينةَ من داءِ الاستسقاءِ، فقال: ﴿لو خرجتُم إلى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فشرَبتُم مِنْ أَبْوَاهِهَا وَأَبَانِهَا﴾ ففعلُوا وصحُّوا .  
والجَوَى: داءٌ من أدواءِ الجوفِ، والاستسقاءُ: مرضٌ يسببُ انتفاخَ البطنِ.

وبعثَ إلى أَبِي بنِ كَعْبٍ طبيباً ففَطَعَ له عِرْقاً وكَوَاهُ عليه. وقال: ﴿الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مِحْجَمٍ وَكَيَّْةُ نَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّْ﴾  
وقال: ((وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَكْتُوِي)). إشارةٌ إلى أَنْ يُؤَخَّرَ الأَخْذَ به حتى تدفعَ الضرورةَ إليه، لما فيه من استعجالِ الألمِ الشديدِ.

وَاحْتَجَمَ - صلى الله عليه وسلم - وأعطى الحَجَّامَ أَجْرَهُ، وقال: ﴿خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ﴾ .



واحتجَمَ وهو مُحْرَمٌ في رأسه لصداعٍ، واحتجَمَ في وَرِكَه من وثءٍ كان به.

وكان يحتجم ثلاثاً: واحدة على كاهلهِ واثنتين على الأُخْدَعَيْنِ. واحتجم على الكاهلِ ثلاثاً لما أَكَلَ من الشَّاةِ المسمومةِ وأمر أصحابه بالحجامةِ.

وعن علي بن عبيد الله عن جدته سلمى وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم قالت ﴿ما كان يكون برسول الله صلى الله عليه وسلم قرحة ولا نكبة إلا أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضع عليها الحناء﴾.

جامع الترمذي - ٢٠٥٤

وَعَنْ هُرَيْرَةَ بَعْدُ قَالَ: ﴿قَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «لَا يُورَدَنَّ مُمْرَضٌ عَلَى مُصِحِّ»﴾ وهذا من حمايته ورعايته صلى الله عليه وسلم للمرضي.

ومن الادوية التي بينها صلى الله عليه وسلم الدعاء والرقى:

فعن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلاً من المسلمين قد خفتَ فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟ قال: نعم، كنت أقول: اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله لا تطيقه - أو لا تستطيعه - أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار؟ قال: فدعا الله له فشفاه.﴾

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: ﴿كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفث على نفسه في المرض الذي قبض فيه منه بالمعوذات.﴾  
وعنها رضي الله عنها ﴿أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل، كنت أنا أنفث عليه، بهن فأمسح بيد نفسه لبركتها، فسألت ابن شهاب: كيف كان ينفث؟، قال: ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه.﴾

وكان صلى الله عليه وسلم يتعوذ من الجن، ومن عين الإنسان، وأمر بالرقية من العين، وقال: ﴿العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين، وإذا استُغسل أحدكم فليغتسل﴾.

ورأى صلى الله عليه وسلم جارية في وجهها سفعة فقال: ﴿استرقوا لها؛ فإن بها النظرة﴾ والسفعة؛ أي: النظرة من الجن.

كذلك وقال لبعض أصحابه لما رقى اللديغ بالفاتحة فبرأ: ﴿وما يُدريك أنها رقية﴾.

وجاءه رجل فقال: لدغني عقرب الباردة، فقال: ﴿أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك﴾.

وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص - رضي الله عنه - أنه شكى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجعاً يجده في جسده، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ضع يدك على الذي يألم من جسدهك

وقُل: بِسْمِ اللَّهِ - ثلاثًا - وقل سبع مراتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ؛ رواه مسلم.

وكان إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قُرْحَةٌ أو جُرْحٌ، وَضَعَ سَبَابَتَهُ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا وَقَالَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا﴾.

وشكى له بعض صحابته وجعًا، فقال له: ﴿ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ﴾.

### المحور الثالث

ما يلزم المجتمع المسلم تجاه المرضى رعاية لهم.

حَتَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّلَاحِمِ وَالتَّرَابِطِ فِي كُلِّ شَأْنِهِمْ.

فعن النعمان بن بشير، قال ﴿قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى﴾. مثل صحيح مسلم - ٢٥٨٦.

وهذه المعاني التي هدف إليها صلى الله عليه وسلم بقوله قام مبينا لها بفعله صلى الله عليه وسلم حتى يُعلم الأمة من بعده كيف يُراعى المرضى وينظر إليهم

فمن خصائص المجتمع المسلم التكافل الاجتماعي، والتعاون في السراء والضراء، وأن يكون المجتمع في صورته المثالية الفريدة، من رعاية الضعفاء والفقراء، وكذلك من مواساة أهل المرض والابتلاء، ومن كان اليوم في عافية، فهو غداً قد تتقلب به أقدار الله تعالى.

فالمرضى دائماً من الجانب النفسي يحتاج بطبيعته البشرية إلى المواساة والرعاية لأمواره، ممن يُحيطون به؛ من أبٍ وأمٍّ، وأخٍ وأخت، وزوجٍ

وأولاد، وأقارب وجيران، وأصدقاء وأولياء؛ حيث يكونون قريين منه،  
 مُراعين لحاله، يَغْرِسون في قلبه الإيمان بالقضاء والقدر، ويزرعون في  
 نفسه اليقين والأمل، ويُذكرونه بفضل الله الدائم في العافية والابتلاء؛  
 حيث رُفِعَ الدرجات، وتكفير الذنوب والسيئات، وتصحيح المسار،  
 وإصلاح البدن، وغيرها من حِكَمِ الابتلاءات والأمراض.

وقد بيّن صلى الله عليه وسلم حق المريض من الرعاية والاهتمام على أخيه  
 المسلم فعن البراء بن عازبٍ - رضي الله عنهما - قال: ﴿أمرنا رسول الله  
 - صلى الله عليه وسلم - : بعيادة المريض، وأتباع الجنابة، وتشميت  
 العاطس، وإبرار المُقسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعي، وإفشاء  
 السلام﴾. متفقٌ عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم  
 - قال: ﴿حق المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعيادة المريض،  
 وأتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس﴾. متفقٌ عليه.

كما جعل عيادة المريض طريقاً لرحمة الله تعالى وفضله وجنته: فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿إِنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بَنَ آدَمَ، مَرِضْتَ فَلَمْ تَعُدَّنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرِضٌ فَلَمْ تَعُدَّهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ، لَوْجَدْتَنِي عِنْدَهُ﴾.

وعن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ﴿عُودُوا الْمَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَفَكُّوا الْعَانِي﴾؛ رواه البخاري.

وعن ثوبان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ﴾، قيل: يا رسول الله، وما خُرْفَةُ الْجَنَّةِ؟ قال: (جَنَاهَا)؛ رواه مسلم.

وهو صلي الله علي وسلم زار غلاماً يهودياً نزل به المرض وكان يخدم رسول الله وهذا من رحمته صلى الله عليه وسلم فعن أنس - رضي الله عنه

- قال: ﴿كان غلامٌ يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: (أسلم)، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار﴾؛ رواه البخاري.

كذلك شرع لنا الاطمئنان على حال إخواننا المرضى، والسؤال عن صحتهم وعافيتهم؛ لندفع عن نفوسهم بعضاً من صُور الجزع أو الهلع، وكذلك لإدخال السرور عليهم، وإظهار الاهتمام بهم؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - خرج من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً؛ رواه البخاري



وصحابته رضي الله عنهم فعلوا هذا التكافل أخذاً من سيرته وفعله  
 وقوله فعن أنس - رضي الله عنه - أنه قال لثابت - رحمه الله -: ألا  
 أريك برقية رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: بلى، قال: "اللهم  
 رب الناس، مُذهب البأس، اشفِ أنت الشافي، لا شافي إلا أنت، شفاءً  
 لا يغادر سقماً"؛ رواه البخاري.

وكان صلى الله عليه وسلم يحب سعد ابن أبي وقاص فعاده في مرضه،  
 قال سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه: عاذني رسول الله - صلى الله  
 عليه وسلم - فقال: (اللهم اشفِ سعداً، اللهم اشفِ سعداً، اشفِ  
 سعداً)؛ رواه مسلم.

معاني ليت القوم يعلموها ويعملوا بها فكم تركنا من هديه وأمره؟  
 ومن رعايته صلى الله عليه وسلم المرضى أنه حبب إلى الزائر لهم أن يدعو  
 لهم فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم  
 - قال: ﴿مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَاتٍ: أَسْأَلُ

الله العظيم ربَّ العرش العظيم، أن يَشْفِيكَ - إلا عافاه الله من ذلك المرض؛ رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن. وعنه ﴿أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل على أعرابي يعودُه، وكان إذا دخل على مَنْ يعودُه، قال: لا بأس، طهورٌ إن شاء الله﴾؛ رواه البخاري.

كذلك شرع لنا رسولنا صلى الله عليه وسلم الاطمئنان على حال إخواننا المرضى، والسؤال عن صحتهم وعافيتهم؛ لندفع عن نفوسهم بعضاً من صُور الجزع أو الهلع، وكذلك لإدخال السرور عليهم، وإظهار الاهتمام بهم؛ فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - خرج من عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا الحسن، كيف أصبح رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً. رواه البخاري

وكان يواسي صلى الله عليه وسلم غيره عن ما يعاينه بما هو عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة - رضي الله عنها - : وا رأساه، ﴿فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : بل أنا وا رأساه﴾، وذكر الحديث؛ رواه البخاري

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تذكر الخير عند المريض، وأن ترفع من روحه المعنوية، وتُطَمِّعُهُ في الشفاء وفي طول العمر، فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ﴿إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا لَهُ فِي الْأَجْلِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، وَهُوَ يَطِيبُ بِنَفْسِ الْمَرِيضِ﴾.

حَثَّ الْإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يَكُونُوا كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، فَإِذَا مَرَضَ أَحَدٌ عَادُوهُ وَسَارَعُوا فِي حَاجَتِهِ.

ففي هذا الحديث يحكي جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه مرض ذات مرة، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يزوره، ومعه أبو بكر الصديق رضي

اللهُ عنه، وكانا يمشيانِ على أقدامِهما، وكان هذا في عامِ حَجَّةِ الوَداعِ في العامِ العاشرِ مِنَ الهِجرةِ تخفيفاً عنه رضي اللهُ عنه مع ما قد يلاه صلى اللهُ عليه وسلم في مشيه من تعبٍ ونصبٍ.

هذه الأبعاد الإنسانية العميقة المعاني التي زرعها فينا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم بسيرته العطرة هي ميزان الاقتداء والعمل.

وقد جعل الشرع الحنيف المسلمين في كل عصور الحضارة الإسلامية يتعاملون مع المريض على أنه إنسان له حقوقه، ويحتاج إلى من يقف إلى جواره؛ فلم تكن الرعاية النبوية للمرضي إلا نموذجاً فريداً من سيرته الطيبة، وبل قد تعدّت ذلك إلى المساعدة النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وغير ذلك.

إننا في أزمنة تلهي كل مسلم بخاصة نفسه فجاره مريض أو وجيع أو جائع وهو عنه غافل، قد أنشأ كل واحد لنفسه المعاذير حتى غدا مجتمعنا ممزق الأشلاء متباعداً البنيان لا يشد بعضه بعضاً كما كان أولاً فسهل على

أعداء الملة الإسلامية افتراس كثيرين من أبناء لحاجتهم وضعفهم وتخلي  
إخوانهم عنهم وإن لله وإنا إليه راجعون.



مركز آيات البحوث والدراسات  
Ayat Center for Research and Studies

للتواصل معنا:

سعد العبدالله - ق 8 - ش 859 - م 54 - بالقرب من طريق 80

Saad Al-Abdullah - Block8 - Street859- M54 - near Road80

Tel: + 96524544051 / 2

[info@ayatt.org](mailto:info@ayatt.org)



[ayatt.org](http://ayatt.org)

[www.ayatt.net](http://www.ayatt.net)